الدكتور عزت السيد أحمد

تفجيرات أيلول وصراع الحضارات

الولايات المتحدة صنعت الحدث لتصنع المستقبل

إيانا للدراسات والترجمة والنشر
دمشق 2003

تفجيرات الأبلوال وضياع الحضارات

الدكتور عزت السيّد أحمد

السيد عزت أحمد

تفجيرات أيلول وصراع الحضارات

☆ الكتاب : **تفجيرات أيلول وصراع الحضارات:**
الولايات المتحدة صنعت الحدث لتصنع المستقبل.

☆ المؤلف : **الدكتور عزت السيد أحمد** .

☆ عدد الصفحات: ٢٥٦ صفحة.

☆ قياس الصفحة: ب ٥ = ١٧ X ٢٤.

☆ تصميم الغلاف بريشة المؤلف.

☆ الطبعة الأولى : **٢٠٠٣م.**

☆ **الحقوق جميعها محفوظة.**
تمنع طباعة هذا الكتاب أو بعضه بأي وسيلة من وسائل الطباعة والنشر والإعلام من دون موافقة المؤلف الخطية.

☆ النَّاشر: **دار إنانا للدراسات والترجمة والنشر.**

البريد الإلكتروني
Emil: sameah3@gmail.com

الدكتور عزيز السيد أحمد

تفجيرات أيلول وصراع الحضارات

الولايات المتحدة صنعت الحدث لتصنع المستقبل

السيد عزت أحمد

SEPTAEMBER ACT
AND
CIVILIZATION'S
CONFLICT

U.S.A. Makes The Action To Make The Future

BY
Ph.D. EZZAT AS-SAYED AHMAD

Published By
ENANA
(4)

Emil: sameah3@gmail.com
Damascus 2003.

الإهداء

مع ابتسامة يائسة ...
وحــوقلة صــادقة ...

إلى المظلومين في الأَرض ريثما ينتصفوا

المقدمة

كلُّ ما كان لم يكن إلا فيلماً هوليوديًّا على الطَّريقة الرُّومانيَّة. ربطٌ سرياليٌّ بَيْنَ هوليود اليوم والمسرح الروماني قبل ألفي عام. نعم هو ربطٌ سرياليٌّ، لأنَّ ما حدث في حقيقة الأمر هو كذَلكَ تماماً.

في روما كان الممثلون من العبيد. كان الممثلون من العبيد لأنَّ التمثيل يجب أن يكون حقيقيًّا؛ حقيقيًّا في كلِّ شيءٍ، في الضرب والقتل، القتل يعني الموت. الممثل الذي يقتل يجب يقتل فعلاً ويموت، يجب أن يستمتع السادة بالأداء الحقيقي للملحة.

وفي هوليود هناك الأكشن الاستعراضي المبهر. الذي استعاض عن الواقعية الرومانية بالحشد التقاني والمادي للوصول إلى حالة الإدهاش الفعليَّة، التي تأخذ بمشاعر المتتبع إلى أقصى حدود الدهشة والانبهار. ولٰكن بالمكياج والأدوات المساعدة التي توحي بواقعية الحدث أو المشهد.

ما حدث في الحادي عشر من أيلول قبل الماضي هو فيلمٌ هوليوديٌّ على الطَّريقة الرومانيَّة، أي إنَّهُ أكشن بكلِّ ما تحمله الكلمةُ من معنى، ولٰكنَّ الضَّحايا حقيقيون، والدَّمار حقيقيٌّ، والطائرات حقيقيَّةٌ، والفعل حقيقي من دون مونتاج أو مكياج أو ديكورات... وليس شيءٌ من ذَلكَ مصنوعاً في غرف المونتاج... كلُّ

شيءٍ واقعيٌّ تماماً، واقعيٌّ لأنَّهُ يجب أن يكون مقنعاً مئةً بالمئة من دون ترك أيِّ ثغرةٍ للتَّكذيب، أو التَّشكيك في الرواية التي ستروى عن الحدث... نعم الرواية التي ستروى عن الحدث، لأنَّهُ من غير المعقول أن يتمَّ الإعداد لمثل هٰذا الحدث من دون أن تتبعه روايةٌ كبيرةٌ، وتنبني عليه أهدافٌ كبيرةٌ وكثيرةٌ.

الحدث ليس سهلاً بحال من الأحوال. حسني مبارك الرئيس المصري الطيار السَّابق، الصَّديق الحقيقيِّ لأمريكا، قال عن الطائرة الثانية التي اصطدمت بالبرج الثَّاني: إنَّها حركةٌ لا يمكن أن يقوم بها إلا طيارٌ محترف. لندع هٰذا الكلام جانباً، وهو شاهدٌ واحدٌ من شواهد كثيرةٍ على دقَّة العمليَّة وتعقيدها. العمليَّة معقَّدةٌ تعقيداً هائلاً وليست سهلةً أبداً. العمليَّة ليست محض صدم أربع طائراتٍ بأربعة أهدافٍ على الإطلاق. إنَّهَا أعقد من ذٰلكَ بكثيرٍ، وهٰذا ما سنأتي على توضيحه في سياق الكتاب.

ولذٰلك، ولغيره مما سنأتي عليه، فإنَّ افتراض أنَّ تنظيم القاعدة نفَّذ هٰذا العمل بهٰذا النَّجاح وهٰذه الدِّقَّة يعني أنَّ الولايات المتحدة ليست دولةً ولو عاديَّة، ولا أقول دولةً قويَّةً، فكيف وهي دولةٌ عظمى بل هي إمبراطورة العالم؟!

ليس في ذٰلكَ تقليل من شأن العرب أَو القاعدة. فتنظيم القاعدة ليس إلا عاصفة إعلامية صنعا الإعلام الأمريكي لمثل هٰذا اليوم. صنعها الإعلام الأمريكي وضخم فيها ليجعل منها القوة العظمى التي يحارب العرب والإسلام بسببها ومن خلالها. القاعدة ليست صنيعة المخابرات الأمريكية بمعنى أنَّها عميلة للمخابرات الأمريكيَّة. ولٰكنَّهَا ظاهرة صنعتها المخابرات الأمريكية إعلاميًّا وظلت تنفخ فيها حَتَّى صارت بعبعاً مرعباً على قدر أن تحشد له الولايات المتحدة دول العالم وراءها لمحاربته، ومحاربة العالم العربي والإسلامي، والإسلام من خلالها. فيما هي في حقيقة

الأمر بضع مئات وربَّما آلاف من المجاهدين الذي أرهقهم الجهاد في أفغانستان والشيشان واستلقوا في كهوف تورابورا ليستريحوا بعد هٰذا العناء مع قيام دولة الخلافة الإسلامية في أفغانستان. لنبقي الخلافة الإسلامية في بالنا فإن لها مكانها.

نحن لا نقلِّل من شأن القاعدة من خلال هٰذا التَّصوير. ولٰكنَّ القاعدة ليست أكثر من ذٰلكَ على أيِّ حالٍ. ويضاف إلى ذٰلكَ هي أنَّ بعض الشبان في أكثر من مكان من العالم راحوا يتكنُّون بالتَّنظيم، من دون يكون هناك تنظيمٌ أو حَتَّى تواصلٌ تنظيميٌّ في حدود تصوُّري. بغض النظر عن أيِّ اعتبار فإن تنظيم القاعدة أعجز عن أي يقوم بمثل هٰذه العمليَّة. هو قادرٌ على القيام بجزءٍ واحدٍ منها، ولٰكنَّهَا عاجز عنها كاملة، بل إنَّ دولاً بكامل استعدادها وأجهزتها العسكريَّة والاستخباراتيَّة عاجزة عن القيام بهٰذه العمليَّة، وسيبدو لنا ذٰلكَ جليًّا من خلال تحليلنا للحدث.

وإنما اضطرني إلى هٰذا القول هنا هو أني بعد خبر الطائرة الثالثة رسمت تصوري وتحليلي للحدث، وتوقعت أن الذي قام بالفعل هو إسرائيل على أساسٍ سيتم ذكره، أو الولايات المتحدة وفق ما سأبين في هٰذا الكتاب. وأرسلت هٰذا التصور ببضع أسطر إلى قناة الجزيرة، التي فتحت بثًّا مباشراً للحدث، وسألتهم أن يوجهوا التحليل باتجاه إسرائيل أو أمريكا، لا أن يقعوا في فخ الضخ الإعلامي الأمريكي الموجَّه نحو القاعدة منذ الدقائق الأولى. وكان عبد الباري عطوان ضيف الاستديو، وفوراً سألته المذيعة: ولماذا لا نوجه الاتهام إلى إسرائيل؟ فاستشاط غضباً وقال: ولماذا نستهين بأنفسنا وقدراتنا؟ العرب لديهم إمكانات هائلة، القاعدة قادرة... و... و... و... وكأنما كان توجيه الاتهام إلى إسرائيل في هٰذا الحدث حطٌّ من شأن القاعدة أو العرب...

كانت هٰذه قناعتي بالحدث بعد الطائرة الثالثة وترسخت ترسخاً يقينيًّا مع الطائرة الرابعة. إنها مبنيَّة تحليلٍ منطقيٍّ وواقعيٍّ للحدث، وقبل ذٰلكَ على حدس تولد لدي بعد الطائرة الثَّانية، راح يترسخ مع تتبع الحدث حَتَّى نهايته. والحقيقة أن هٰذا الكتاب بروحه ومجمله كتب خلال الأيام الأولى التالية للحدث، وتم استكماله فيما بعد ببعض التحليلات والشواهد.

لأنَّ هٰذا التحليل أو الفهم للحدث تحليل عربيٌّ فسيكون مطعوناً فيه، وسيكون دفاعاً عن **أسامة بن لادن**، وسيكون وسيكون... ولن يصدقه أحدٌ. ولذٰلك تريثت قليلاً في النشر. انتظرت قليلاً لظهور بعض الحقائق التي أؤكِّد بها قناعتي في الحدث. ولٰكنَّ الوقائع والحقائق راحت تنداح انداياحاً سريعاً عجيباً... تدفق معلومات عجيب من مختلف وجهات النظر، ولٰكنَّ التركيز كله كان منصبًّا على اتهام القاعدة وتوجيه الفكر إلى القاعدة...

لا شكَّ في أنَّ الطائرات الَّتي فجَّرت أعزَّ المواقع على قلب الولايات المتحدة قَدْ هزَّت العالم كلَّه أيضاً. وعلى الرُّغم من أنَّها أدهشت العالم كلَّه وأصابته بذهولٍ رُبَّما لم يسبق بمثيلٍ طوال القرن الماضي على الأقلِّ، وعلى الرُّغم من أنَّ العالم كلَّه أبدى أسفه على هول هٰذه التَّفجيرات، فإنَّ ما لا يقلُّ عن نصف العالم أيضاً قَدْ خامرته في الساعات الأولى، إلى جانب الذُّهول والأسف، بعضُ مشاعر الفرح، ورُبَّما الشماتة. ولكنَّ المؤكَّد أنَّ هٰذا الفرح ليس لعدد الضَّحايا، ولا للضَّحايا ذاتهم. وإنَّمَا للحرج الذي أصاب الولايات المتحدة، وللتَّحدي الصَّارخ لعنجهيَّة الولايات المتَّحدة من خلال استهداف أكثر رموزها قيمةً وأهميَّةً... إلا أنَّ هول المصيبة جعل الذُّهول يستبدُّ بمشاعر الفرح ويقمعها في النُّفوس.

رُبَّما المصادفة وحدها هي الَّتي جعلت هٰذه المأساة تقع في عهد **جورج بوش الابن**، هٰذا العهد الذي ما فتئ منذ بدأ يوقع الولايات المتحدة الأمريكية في المأزق بعد المأزق، ولٰكن ليس **جورج بوش الابن** هو الَّسبب على الإطلاق وإنَّما المرحلة التَّاريخيَّة الَّتي تُقبلُ عليها الولايات المتحدة هي السَّبب غير المباشر، والسِّياسات الَّتي اتبعتها الولايات المتحدة على مدى ما انصرم من نصف القرن الماضي هي السَّبب المباشر في بدء وقوع الولايات المتحدة في المآزق، وكثرة هٰذه المآزق، ومنها الاختراق الذي حصل مؤخراً في ترتيباتها الأمنية ضمن حرمها المقدس الذي هو أرضها، واستهدف رموز عزتها وكرامتها.

ولكنَّ المشكلة لا تنتهي عند هذا الحدِّ ولن تنتهي عنده، وعلى الرُّغم من كلِّ ما قيل، وكلِّ ما قَدْ يقال فإنَّ التساؤلات الَّتي أثارها هٰذا الحدث ستظلُّ في ازدياد، والإجابات ستظلُّ في ازديادٍ، ولن تظهر الحقيقة إلا بعد زمنٍ قَدْ يكون بعيداً جدًّا، وقد يكون إن شاء الله قريباً.

ولكنَّ افتراض تأخُّر ظهور الحقيقة لا يعني انعدام إمكان معرفتها أو التَّكهُّن بها من خلال القرائن المرافقة، والمعطيات الظَّاهرة على الصَّعيد الدُّولي. وأعني بذٰلكَ أنَّ النتائج الَّتي ستعلنها الولايات المتحدة ليست موثوقةً بالضَّرورة لأسبابٍ كثيرةٍ، منها على الأقل أنَّ مصلحتها قَدْ تفرض عليها تزوير الحقائق أو إخفاءها أو غير ذٰلكَ. ولذٰلك فإنَّ الموقف بحاجة إلى نظرةٍ تحليليَّة شاملةٍ قدر الإمكان.

المؤكَّد أولاً أنَّ الولايات المتحدة بحاجة إلى هدفٍ أو متهمٍ تصب جام غضبها عليه، وتثبت للشَّعب الأمريكي والعالم أنَّها منيعةٌ لا تسكت على حقٍّ ولا تقبل الضَّيم... وليس من المهم أبداً أن يكون هٰذا المتهم مذنباً أم بريئاً... وخير من يحقِّق شروط الاتهام والمخطَّط الأمريكي معاً هو **ابن لادن** وطالبان الَّتي تؤيه...

ستنتقم انتقاماً شكلياً حَتَّى وإن كان فظيعاً ومروعاً، وبعد ذَلكَ أو في أثنائه تعيد ترتيب الأوراق والمخطَّطات الَّتي غالباً ما تكون معدَّةً سلفاً. ولهٰذا ما سنبينه من خلال مجموعة من النقاط والعناصر.

يعزُّ على الأمريكيين تصديق أنَّ المخابرات الأمريكية هي التي فعلت ذَلكَ، ولو رأت الدليل بعينيها لأنكرت الدَّليل ولم تصدِّق، كما سيفعل الشَّعب الأوروبي أيضاً. وليست شعوب العالم الأخرى ببعيدة عن هٰذا المنطق على أي حالٍ... لن يعدو مثل هٰذه الكلام سوى هلوسات وتخريفات. ورُبَّما يمرُّ أكثر من جيلٍ غيرُ قابلٍ لتصديق ذَلكَ. ومن هنا تنبع صعوبة هٰذا الكتاب. لقد قام باتهام أمريكا وإسرائيل غيرُ واحدٍ. وأكثر من واحدٍ توقع ذَلكَ. ولٰكنَّ إقناع الناس بما لا يتَّسق مع العقل والمنطق أمرٌ صعب وخاصَّة فيما يجب أن يقتنع به. من غير الممكن تصديق أن الولايات المتحدة قامت بهذه العملية على أرضها. أوقن أنَّ الأمر صعب التَّصديق. ولٰكنَّ كلَّ الأدلة والقرائن تقودنا إلى هٰذه الحقيقة.

المسألة ليست مسألة رأي أو قناعة شخصية. أنا لا أقدم فلسفتي. هناك قراءة للحدث من خلال مقدماته ونتائجه، وسياقه، وما توافر من معلومات مقترنة به. كل ذَلكَ مما سنعرضه، وثَمَّة الكثير مما سينجلي بعد صدور الكتاب، يؤكد تأكيداً قاطعاً ضلوع الولايات المتحد بالحدث، بل قيام هبه. هل يمكن أن تكون الحقيقة عكس ذَلكَ؟ لا أدري. الزمن هو الذي سيكشف. ولٰكنَّ الواقع حَتَّى الآن هو أنَّ الولايات المتحدة هي التي خططت ونفذت واستثمرت. والتفاصيل آتية في فصول هٰذا الكتاب.

الباب الأول

أبعاد الحدث وتداعياته

هول الصدمة والتعاطف الزائف
أصحاب المصالح في الثأر
المستفيدون من التفجيرات
بصمات الفاعل الحقيقي

الفَصْل الأوَّل

هول الصدمة والتعاطف الزائف

ليست هٰذه أوَّل هزيمةٍ تتعرَّض لها الولايات المتحدة الأمريكيَّة فقد انهزمت في فيتنام، وانهزمت في لبنان، وانهزمت في الصُّومال، ولٰكنَّ هول هٰذه الهزيمة غيرُ مسبوقٍ بالنسبة للولايات المتحدة. ولم تكن هٰذه الضَّربة هي الأولى ولا الوحيدة الَّتي تتعرض لها الولايات المتحدة أو مصالحها فقد تعرَّضت لعشرات الضَّربات المتفاوتة الجسَامة والقوَّة؛ سفارتها وبوارجها وأبنيتها وقوَّاتها... ولكنَّ هٰذه الضَّربة غيرُ مسبوقة القوَّة والخطورة للولايات المتحدة على الأقل فهي في عقر دارها، وفي أعزِّ مواقعها، ورُبَّما تفوق خسائرُها فيها خسائرَها من كلِّ ما تعرَّضت له من ضرباتٍ وخسائر منذ استقلالها.

هذه هي صورة الحدث... طائرةٌ تجارية تصدم ببرج التجارة العالمي في مانهاتن بنيويورك... تمر عشرون دقيقة من الأسى والألم وإذا بطائرةٍ ثانية تخترق البرج الثاني المجاور للأول... لم يعد الأمر أمر صدم بالخطأ، هناك حرب شنت على الولايات المتحدة... ولٰكنَّ المصادفة ما زالت أمراً محتملاً، بعد نحو ساعةٍ بددت المصادفة الطائرة الثالثة التي تخترق البنتاچون؛ وزارة الدفاع الأمريكيَّة. وبدا الأمر على أنَّها حرب عالميَّة شُنَّت على الولايات المتحدة عندما تسرب خبر الطائرة الرابعة المخطوفة أيضاً، والاتصالات من ركَّابها مع ذويهم التي تقول إنَّ الطائرة مختطفةٌ والخاطفون يتكلَّمون العربيَّة... ومحاولات إنقاذها أو إسقاطها... ولٰكنَّهَا سقطت أخيراً في صحراء ولاية بنسلفانيا...

إنَّ هول الصَّدمة وعظمة الحدث الذي أصاب الولايات المتحدة الأمريكيَّة هو الذي أصاب العالم كلَّه بالذُّهول، وخَلَطَ جميعَ الأوراق والمشاعر وحال دون التَّفكير المنطقيِّ في تناول الحدث، وجعل معظم المحللين والمفكرين يستبعدون بعضاً رئيساً من المتهمين أو المخطِّطين للعمليَّة. ولا يُسْتَغْرَبُ مثلُ هٰذا الأمر أبداً فقد استهدفت الهجمات أعلى مبنى في العالم إلى سنوات قليلة فَقَطْ، كما استهدفت البنتاغون (مقر وزارة الدفاع الأمريكية)، وكلا البناءين أهم الرُّموز الَّتي تعبر عن قوَّة الولايات المتحدة الأمريكيَّة وهيمنتها وعزَّتها وكرامتها؛ فالأوَّل رمز الهيمنة الاقتصاديَّة الأمريكيَّة على العالم، والثَّاني رمز المنعة والهيمنة العسكريَّة على العالم. ويضاف إلى ذٰلكَ أنَّ الولايات المتحدة هي الرُّعب الذي يجتاح كلَّ القلوب ولا يجرؤ أحدٌ على محض التَّفكير في القيام بمثل هٰذه العمليَّة ولا بأدنى منها، هٰذا إلى جانب النِّظام الأمني الدَّقيق والمعقَّد الذي يضبط الولايات المتَّحدة بكلِّ مستويات الحياة فيها، وخاصَّةً الحركة الجويَّة في سمائها، وعلى نحوٍ خاصٍّ فوق البنتاغون الذي يتمتع بمنظومةٍ دفاعيَّةٍ شاملةٍ وأكثر من متطوِّرةٍ..!! بل الأكثر من ذٰلكَ أن الولايات المتحدة لم تتعرَّض عبر تاريخها كلِّه لمثل هٰذه الضَّربة على الإطلاق!!

والسُّؤال الذي يفرض ذاته بقوة هنا: هل قوَّة الضَّربة هي الَّتي جعلت العالم كلَّه يتعاطف مع الولايات المتحدة، ويعلن إدانته وشجبه لهٰذه العمليَّة، ويذرف الدُّموع السَّخية على ضحاياها؟

الحق أنَّنا أمام أكثر من نظريَّةٍ لتفسير هٰذا التَّعاطف الكاذب أو الزَّائف مع الولايات المتَّحدة، ولٰكن قبل ذٰلكَ لا بدَّ من الإشارة إلى أنَّ الولايات المتحدة ليست بحاجةٍ إلَى أيِّ تعاطفٍ صادقٍ أو كاذبٍ، ولن تنتظر أيَّ دعمٍ كي تنفِّذ ما تريد تنفيذه. ولكِنَّها على الرُّغم من ذٰلكَ ستفرض على جميع دول العالم أن

تتعاطف معها، وستفرض على جميع الأطراف أن تعلن تأييدها لما ستقوم به، ليس لأنَّها بحاجة إلى ذَلكَ ولٰكن لتؤكِّد لذاتها أولاً وللجميع ثانياً أنَّها السَّيد الأوحد لهذا العالم، ولا معنى للسيد من دون وجود العبيد، فكيف ستكون سيداً ما لم يعترف العبيد بأنهم عبيدٌ، وكيف ستكون قائدة العالم ما لم يتمسَّك الجميع بذيلها؟!!

أمَّا النَّظريات الَّتي تفسر هٰذا التَّعاطف فيما خلا النَّظرية السَّابقة الَّتي تقوم على الإكراه، فقد نكون أمام نظرياتٍ كثيرةٍ، تتفاوت قيمتها ما بَيْنَ النَّظرية والنَّظرة، منها النفسيَّة ومنها الاجتماعيَّة ومنها السياسيَّة والاقتصاديَّة... ورُبَّما أمكننا الرجوع إلى **ابن خلدون** في نظريَّته في التَّقليد الَّتي تقوم على أن المغلوب مولع أبداً بالاقتداء بالغالب... وغير ذَلكَ مما قَدْ يكون كثيراً، ولن نطيل الحديث في ذَلكَ لأنَّهُ بإمكاننا إجمال كلِّ هٰذه النَّظريات، إلى حدٍّ كبيرٍ، في نظريتين أوَّلهما نظريَّة النِّفاق وثانيهما النَّظرية الانتهازيَّة، إذ يمكن قراءة هاتين النَّظريتين انطلاقاً من الأسس العلمية لكلٍّ من النَّظريات السابقة.

تقول النَّظريَّة الانتهازيَّة إنَّ الدَّول أو الأمم الَّتي لها مشكلات من أيِّ نوعٍ؛ مع الولايات المتحدة، مع جيرانها، مع خصومها من خصوم الولايات المتحدة... وغير ذَلكَ، وجدت في هٰذه التَّفجيرات فرصةً لركوب القطار الأمريكي وتصفية خلافاتها مع الولايات المتحدة، أو لكسب دعمٍ في حلِّ مشكلاتها، أو في الوقوف معها ضدَّ خصومها أو غيرِ ذَلكَ مما يجري في سياقه. ولَعَلَّ من أبرز الشَّواهد على التَّسابق الباكستاني الهندي على كسب الودِّ الأمريكي لكسبها في صفِّه في خلافاتهما على ما بينهما من قضايا عالقةٍ وأبرزها كشمير.

أمَّا نظريَّة النِّفاق فتقول إنَّ النِّفاق وحده هو الذي دَفَعَ الجميع إلى التَّباكي والنواح وإعلان الأسف والألم على المصاب العظيم الذي ألمَّ بالولايات المتحدة

الأمريكيَّـة، ودفعهـم إلى التَّسـابق إلى سـفارات الولايـات المتحـدة وإلى الولايـات المتحدة ذاتها للمشاركة في العزاء والمصاب وتقبل التَّعازي والتَّبرع بالدَّم، وليس هول المصاب بحدِّ ذاته أبداً هو الذي استنفرهم إلى ذَلكَ، لأنَّ ما أصاب الولايات هو أعظم ما أصابها على يد بشر منذ عشرات السِّنين، ولكنَّهُ ليس أعظم مما أصاب الأمم والشُّعوب على أيدي البشر وعلى يد الولايات المتحدة الأمريكيَّة ذاتها دون غيرها.

إنَّنا إذا استعرضنا الأمم والشعوب الَّتي تعرَّضت لعمليات إرهابيَّة أو عدوانيَّةٍ همجيَّةٍ لوجدنا عشرات الأمم والشعوب وعلى رأسها الفلسطينيين الذي ما انفكُّوا يتعرَّضون للعنف والإرهاب منذ بدء الاستيطان اليهودي وحَتَّى الآن. ولٰكنَّنا لم نجد أبداً أيَّ تعاطفٍ معهم، ولا أيَّ حملةٍ تبرعات بالأموال أو الدماء لإنقاذ ضحايا هٰذه الاعتداءات، ولم تنطلق أبداً أي فكرة لتحالفٍ يحارب هٰذا الشَّر والإرهاب. والأمر عينه ينطبق علي بقيَّة الأمم والشعوب الَّتي تعرضت للإرهاب، إذ لم تنطلق أبداً أيُّ فكرةٍ لإنشاء تحالفٍ يقتصُّ من الإرهابيين، ويستدُّ من الظالم. بل على العكس تماماً كانت الأمور تسير دائماً على عكس ما يقتضيه المنطق والعقل والأخلاق إذ يقف الغرب تحديداً في صفِّ الظالم وتتحالف معه على الضَّحية.

من ذَلكَ يتبيَّنُ لنا جليًّا أنَّ كلَّ المشاعر الَّتي تدفَّقت من غير حسبانٍ في التَّعاطف مع الولايات المتحدة، وإعلان تأييدها في كلِّ ما ستقوم به إنَّما هو ضربٌ من النِّفاق في الدَّرجة الأولى، ولا سيما من دول العالم الثالث قاطبةً.

قَدْ يقول بعضهم بل هو نوع من الخوف، ولهٰذا حقٌّ أيضاً، ولكنَّهُ يظلُّ في إطار النِّفاق لأنَّ الضَّعيف أو الخائف هو الذي ينافق وليس بالقوي حاجة إلى النِّفاق أبداً. ولٰكنَّ المشكلة أنَّ الخوف الذي دفع هؤلاء إلى النِّفاق ليس الخوف

على مصالح الشَّعب أو الأمة أو مكتسباتهما، وإنَّما هو الخوف على الكراسي الَّتي يجلسون على الرُّغم من إرادات شعوبهم. والذي يؤكِّد ذلكَ خير تأكيدٍ هو اندفاع الجميع لتأييد الولايات المتحدة الأمريكيَّة من دون أن يعرفوا ماذا تريد الولايات المتحدة، ولا أين ستوجِّه طائراتها وصواريخها، وإصرارهم على السَّير وراءها حَتَّى عندما علموا أنَّ الولايات المتحدة تريد أن يحارب هؤلاء الحكام شعوبهم ودينهم، وأن تمعن في امتهان كرامة الأمَّة ومقدَّساتها وطموحات أبنائها...

قَدْ يعترض معترضٌ هنا بأنَّ تأييد الدول الغربيَّة وروسيا والدول الكبرى جاء حفاظاً على مصالحها وليس نفاقاً ولا خوفاً فلماذا نسم التَّأييد العربي والإسلامي بأنَّهُ نفاقٌ وجبنٌ؟

الحقُّ أنَّ الفرق شاسع بَيْنَ الموقفين فالدُّول الغربيَّة جزءٌ من أصل التحالف وليست ملحقاً به، ولا مضافاً إليه، كما أنَّها ليست هدفاً للضَّربة المعلنة للتحالف، ومن ثمَّ ليس ثَمَّةَ ما يخيفها أو يدعوها إلى النِّفاق وإن كنَّا لا ننفي أنَّها لم تخل من النِّفاق. أمَّا العالم العربي والإسلامي فهو المستهدف بالضَّرب والقمع والحرب بالكلام الصَّريح لا السريِّ ولا الخفيِّ. فأيُّ مفارقةٍ هٰذه هي الَّتي ورَّطوا أنفسهم فيها؛ العرب يتحالفون مع الغرب لضرب العرب والمسلمين، والمسلمون يتحالفون مع الغرب لضرب الإسلام والمسلمين؟!

نحن لا ننكر أنَّ من المعيب أن نتحدث بهٰذا النوع من التقسيم الديني، ولٰكنَّ الولايات المتحدة والغرب عامَّةً هو الذي فرض هٰذا الإيقاع من الكلام، وفوق ذٰلكَ يتَّهموننا بأنَّنا نحن الذين فرضناه، فعلى الرُّغم من أنَّ القرائن معظمها تؤكِّد تلفيق هٰذه التُّهمة للعرب والمسلمين فقد أصرَّ العالم الغربي كلُّهُ تقريباً على إلصاقها بالعرب والمسلمين والتَّشنيع بالعرب والإسلام والمسلمين وعلى الكثير من

الممارسات اللاإنسانيَّة بحقِّ العرب والمسلمين في كلِّ أنحاء العالم الغربيِّ. وأيًّا كان الأمر، لَقَد أفسحت هٰذه الضَّربة المريعة في المجال لكثيرٍ من الإيحاءات وخاصَّةً في اللحظات الأولى:

أولها أنَّ الْمَنَعَةَ الأمريكيَّةَ بدأت بالتَّراجع على طريق الانهيار، وهٰذا ما عبَّر عنه المفكر الأمريكي الشهير **بول كنيدي** المختص بتاريخ الحضارات بقوله: «لَقَد كان القرن حَتَّى الحادي عشر من أيلول قرن الولايات المتحدة»[1].

وثانيها أنَّ الولايات المتحدة الأمريكيَّة تتعرَّض لحرب حقيقيَّةٍ لا تقلُّ خطورة عن أيِّ حربٍ شاملةٍ.

وثالثها أنَّ هٰذه التَّفجيرات كانت نقطة الفصل والحسم بَيْنَ الشَّرق والغرب بكلِّ ما يمكن أن تحمله هٰذه الثُّنائيَّة من مفردات.

ورابعها ما يترتب على ذٰلكَ على مختلف الأصعدة والمستويات... وغير ذلك كثير مما سيؤخذ بعين النَّظر هنا.

على أنَّ الذي تجدر الإشارة إليه هنا هو أنَّ هذه التَّداعيات أو الإيحاءات كلِّها تدور في إطاري الرَّغبات والمخاوف، وتعبِّر عنهما تعبيراً صميميًّا، كُلاًّ على حدةٍ، وكلاًّ من جهته، مع ارتباطهما معاً بجسامة الضَّربة الَّتي تلقتها الولايات المتحدة الأمريكيَّة وخطورة دلالاتها. وهذان الإطاران كلاهما؛ الرَّغبات والمخاوف، ثنائي الدَّلالة والاتجاه. أعني أنَّ هٰذه التَّداعيات والإيحاءات قَدْ عَبَّرَتْ في الآن ذاته عن رَغبات الولايات المتَّحدة ورغبات أصدقائها وخصومها وأعدائها في الوقت ذاته، وعبَّرت كذٰلكَ عن مخاوف الولايات المتحدة ومخاوف أصدقائها وخصومها وأعدائها في الوقت ذاته أيضاً. ولذٰلك لا عَجَبَ في أن يكون ثمَّة تقابلٌ بَيْنَ رغبات

---

١ ـ لوس أنجلوس تايمز ـ عدد ١٨ أيلول ٢٠٠١م.

الولايات المتحدة ومخاوف خصومها وأعدائها، ورُبَّما أصدقائها، وبَيْنَ مخاوف الولايات المتحدة ورغبات خصومها وأعدائها ورُبَّما أصدقائها أيضاً. ومن ذَلكَ على سبيل المثال أنَّ رغبة الخصوم والأعداء هي أن تزلزل هٰذه الضَّربةُ مكانة الولايات المتحدة وهٰذا ما تخافه الولايات المتحدة، ورغبة الولايات المتحدة أن تستغل هٰذه الضَّربة لإحكام قبضتها على العالم وهٰذا ما يخشاه خصومها وأعداؤها!! وهكذا يكون شأن كلِّ التَّداعيات والإيحاءات الأُخْرى. ولا عَجَبَ أبداً في أن تنطوي هٰذه المتناقضات كلُّها على جوانب كبيرةٍ من الحقيقة، وهٰذا ما سيبدو لنا من خلال ما سيلي من النقاط الَّتي سنعالجها.

ولكن من هي الجهة الَّتي قامت بهٰذه التَّفجيرات؟

رُبَّما هٰذا هو السُّؤال الأكثر أهميَّة، والسؤال الذي ينتظر إجابته الكثيرون الكثيرون على امتداد أرجاء العالم، وسيظلُّ الجميع بانتظار الجواب الشافي أكثر مهما كثرت الإجابات وتنوعت. سيظلُّ هناك تعطش للإجابة الأكثر جلاء ووضوحاً وإقناعا.

ولٰكنَّ في الوقت ذاته فإنَّ الكلام في الحيثيات والأبعاد والتساؤلات السابقة على هٰذا السُّؤال واللاحقة عليه... لا تقلُّ أهميَّة عن الإجابة على السؤال الرئيس والمحوري: من الجاني؟ وفي الوقت ذاته فإنَّ مشكلة الإجابة ذاتها أنَّهُ ستفتح مزيداً من الآفاق على مشكلات أخرى كثيرة لا تقل خطورة عن خطورة الفعل أو الجريمة.

إنَّ تحديد هوية الجاني أو الفاعل تقطع ثلثي مساحة الطريق إلى إدراك كل الحيثيات والأبعاد السابقة والمرافقة واللاحقة للحدث. والحقيقة التي يجب توكيدها أنَّ كل هٰذه المعطيات السابقة والمرافقة واللاحقة تؤكِّد تفسيرنا للحدث وتنسجم

معه انسجاماً منطقيًّا وواقعياً إلى أبعد الحدود. بل إنها كلها لا تسمح بفتح باب تفسيرٍ آخر أو تحليلٍ آخر للحدث. والأمر الأكثر خطورة في ذلك أنَّ أن ما سيترتب على الحدث أخطر بألف ألف مرة من خطورة الحدث ذاته. وهٰذا ما سنكشف عنه أو تكون لنا محاولة للكشف في تفاصيل الفصول القادمة. نترك الاقتناع بها للقارئ.

الفصل الثاني

أصحاب المصالح

في الثأر والانتقام من الولايات المتحدة الأمريكيَّة

يقول المفكر الفرنسي **آلان جريش** في محاضرة له:

«لو كان على الولايات المتحدة أن تعترف بالأخطاء الَّتي اقترفتها على امتداد القرن المنصرم، وكما فعلت جزئيًّا حيال إيران، لأمضت الألفيَّة الثَّالثة على كرسيِّ الاعتراف»[٢].

لسنا بحاجةٍ إلى كثيرٍ من البداهة لندرك أنَّ لهذه الأخطاء والجرائم الَّتي اقترفتها الولايات المتحدة إنَّما كانت بحقِّ غير أبنائها. ناهيك عمَّا اقترفته بحقِّ أبناء القارة الأصليين في قبل القرن المنصرم، مع ما سمي حروب الاستقلال والوحدة، وقبل ذَلكَ في حروب الاستيطان. ورُبَّما لا نبالغ إذا قلنا إنَّ هؤلاء الآخرين كلَّهم مرشَّحون للانتقام من الولايات المتَّحدة والثأرِ منها بطريقةٍ لا تقلُّ عنفاً ودمويَّة عن التَّفجيرات الَّتي حدثت في واشنطن ونيويورك وأزالت أعلى برجين في العالم إضافة إلى عددٍ من الأبنية الَّتي لا تقلُّ عن أربعين طابقاً، إلى جانب تدمير جناحٍ شبه كاملٍ من أجنحة البنتاغون.

من المؤكَّد أنَّنا نستطيعُ استثناء بريطانيا وكندا من قائمة المرشحين للثأر من الولايات المتحدة، ولٰكن رُبَّما يصعب استثناء غيرهما إذ تكاد تكون كلُّ أمم الأرض ودولها صاحبة ثأرٍ من الولايات المتحدة، وإن لم تكن كلُّها الغالبية العظمى منها، بما في ذَلكَ أصدقاء الولايات المتحدة الآن من الدُّول الأوروبيَّة الغربيَّة الَّتي يهمها زعزعة مكانة الولايات المتحدة وإزاحتها عن كرسيِّ الصدارة.

---

٢ ـ نبيه البرجي: **ما وراء كرسي الاعتراف** ـ ضمن جريدة **العهد** ـ العدد ٨٤٢ ـ الجمعة ١٨ذو الحجة ١٤٢٠هـ الموافق لـ ٢٤ آذار ٢٠٠٠م.

هٰذا يعني أنَّ تناول كلَّ الاحتمالات أمرٌ متعذِّرٌ، فكلُّ دولةٍ في أمريكا الوسطى واللاتينية صاحبة ثأر من الولايات المتحدة الأمريكيَّة، وألمانيا واليابان وروسيا مرشَّحون أقوياء للثأر من مصائب كبرى سببتها لهم الولايات المتحدة، ونمور آسيا والصين مرشحون كذٰلكَ... والقائمة على هٰذا الأساس طويلة... ولذٰلك سنكتفي بالوقوف عند أبرز المحتملين للقيام بهٰذه العمليَّة. على أنَّ الذي لا بدَّ أن نتفق عليه أوَّلاً وقبل كلِّ شيءٍ هو أنَّ الأشخاص الذين نفذوا العملية إن تمكَّن التَّحقيق من الوصول إلى هُوِيَّاتِهِم فعلاً من دون تزوير، ليسوا مؤشِّراً أبداً على هُوِيَّةِ صاحب العمليَّة والواقف وراءها، لأسباب كثيرة. وهٰذا ما سنُبَيِّنُه في فقرة تالية. وفيما يلي احتمالات أصحاب المصالح:

أولاً: العرب والمسلمون

ليس من عجبٍ أن يكون العالم العربيُّ خاصَّة ثمَّ العالم الإسلامي من أوائل المرشحين للقيام بهٰذه العمليَّة لأنَّ العالم العربيَّ ثمَّ العالم الإسلاميَّ هما أكثر من تعرض للجرائم الأمريكيَّة، والإذلال الأمريكيِّ، والازدواجيَّة الأمريكيَّة. ولٰكن وعلى الرُّغم من ذٰلكَ، وعلى الرُّغم من أنَّه من العار ألا يكون العرب هم الذين خطَّطوا لهٰذه العمليَّة ونفذوها فإنَّهُ من المتعذَّر اتِّهام العالم العربي أو العالم الإسلامي بعموم اللفظ والمعنى بهٰذه العمليَّة لأنَّه لا يوجد ما يربط هٰذين العالمين إلا الشَّحناء والبغضاء والتَّنافر، ولأنَّ هٰذين العالم في وقتهما الرَّاهن أجبن من أن يقوم أحدهما أو كليهما بهٰذه العمليَّة، وأبعد ما يكون عن هٰذا المستوى من التَّخطيط الدَّقيق والمحكم والقدرة على هٰذا الاختراق العظيم للترتيبات الأمنية في الولايات المتحدة الأمريكيَّة. وهٰذه حقيقةٌ لا جدال فيها على الإطلاق في ظَنِّي لأنَّهُ لو أمكنهم النَّجاح في إتمام هٰذه المعادلات كلِّها لكان بإمكانهم أشياء كثيرةٌ أقلُّ منها، ولا سيَّما

إذا ما عرفنا أنَّ هٰذا التَّخطيط المحكم الذي تمَّت فيه العمليَّة لا يمكن أن تقوم به أيُّ جمعيةٍ أو منظمةٍ تقلُّ إمكاناتها عن إمكانات دولةٍ كبيرةٍ وقويةٍ.

على هٰذا الأساس يجب استثناء أيِّ تعاونٍ عربيٍّ أو إسلاميٍّ في هٰذه العمليَّة، خاصَّة وأنَّ فكرة التَّعاون في أيِّ شيءٍ فكرةٌ محرمةٌ بَيْنَ دول العالمين العربيِّ والإسلاميِّ، وخاصَّةً أيضاً أنَّ معظم حكومات الدول العربيَّة والإسلامية صديقةٌ أو عميلةٌ للولايات المتحدة الأمريكيَّة. ويضاف إلى ذٰلكَ، مع استثناءٍ أو اثنين، أنَّه لا توجد دولة عربيَّة أو إسلاميَّة لها من الثَّأر الإفرادي ما يكافئ جسامة هٰذا الانتقام أو الثَّأر. فإذا ما أخذنا هٰذا بعين النَّظر وجدنا أنَّهُ لو كان منفِّذوا العملية من العالم العربيِّ والإسلاميِّ لما كان أمامنا سوى جماعاتٍ منظمةٍ أو أفرادٍ غير منظمين لأنَّه لا توجد دولةٌ عربيَّةٌ أو إسلاميَّةٌ قادرةٌ على القيام بذٰلكَ، أو حَتَّى قادرة على التفكير في ذٰلكَ لمحض التَّفكير فَقَطْ، بما في ذٰلكَ العراق الذي لو فَجَّرَ مثل هٰذه التَّفجيرات عشرات المرات لما ردَّ عُشْرَ ثأرِهِ من الولايات المتحدة الأمريكية[٣]. وبما في ذٰلكَ أيضاً بقية الدول الأُخْرى الَّتي لا يشكِّل التَّفكير في مثل هٰذه التفجيرات أي جزءٍ من همِّها أو انشغالها، لأنَّها كلَّها، بما فيها العراق وأفغانستان وليبيا... تفكِّر في كيفيَّة إرضاء الولايات المتحدة أو اتقاء شرها على أقلِّ تقديرٍ.

الاحتمال القائم هنا إذن هو أن تكون جماعةٌ منظَّمةٌ أو أفرادٌ، وليس هٰذا بمستبعدٍ من النَّاحية المنطقيَّة لأنَّ العالم الإسلاميَّ هو أكثر المتضرِّرين على الإطلاق من الولايات المتحدة الأمريكيَّة على كلِّ المستويات. لذٰلك قد يفكِّر بعض الأفراد

(٣) . عشرات بل مئات المراجع تحدثت عن التنكيل الأمريكي بالعراق الذي لم تعرف البشرية له مثيلاً، ويمكن من خلالها استنتاج أن التفجيرات الَّتي هزت الولايات المتحدة لا تعدل عشر الجريمة الأمريكية المرتكبة بحق العراق أرضاً وشعباً.

أو الجماعات العربيَّة أو الإسلاميَّة في الانتقام من الولايات المتحدة بهٰذه الطَّريقة أو غيرها بسبب عجز الحكومات العربية والإسلاميَّة عن مثل ذٰلكَ. ولٰكنَّ التَّفكير المنطقي ذاته يكشف بكلٍّ وضوح أنَّ من المتعذَّر على أيِّ جماعةٍ عربيَّةٍ أو إسلاميَّةٍ أن تقوم بمثل هٰذه العمليَّة في الولايات المتحدة الأمريكيَّة لأسبابٍ كثيرةٍ جدًّا:

أولها أنَّ كلَّ هٰذه الجماعات تقريباً مكشوفةٌ بالنسبة للمخابرات الأمريكيَّة، وتحركاتها كلها محسوبة.

ثانيها أنَّ كثيراً من هٰذه الجماعات مرتبطة بالولايات المتحدة ذاتها تمويلاً وتوجيهاً.

ثالثها أَنَّهُ لا يوجد أيُّ تنظيمٍ عربيٍّ أو إسلاميٍّ كبيرٍ يوازي حجم التَّفجيرات والتَّخطيط لها، باستثناء جماعة **ابن لادن** الَّتي سنتحدث عنها بعد قليل.

رابعها أنَّ الاختراق الواضح للأجهزة الأمنيَّة الأمريكيَّة ونظامها الأمني يؤكِّد بما يقطع دابر أيِّ شكٍّ تعذُّر قيام أيِّ جماعةٍ عربيَّةٍ أو إسلاميَّةٍ بالتَّخطيط لها من دون موافقة رسميَّةٍ أمريكيَّةٍ على الأقلِّ بسبب مشاعر الحقد والكره الَّتي تبثُّها الصهيونيَّة والأجهزة والأمريكيَّة في أوساط الشَّعب الأمريكي، بما أنَّهم لو نجحوا في اختراق حاجزٍ أمني لما نجحوا في الثَّاني وهٰكذا. فكيف يمكن أن ينجحوا في اختراق عشرات الحواجز والتَّرتيبات الأمنيَّة بما فيها حماية البنتاغون؟!!

والذي يؤكِّد عدم ضلوع العرب أو المسلمين بهذه التَّفجيرات تأكيداً إن لم يكن قاطعاً فهو شبة قاطعٍ هو فضيحةُ الأسماء الَّتي أعلنتها الولايات المتحدة مسؤولةً عن العمليَّة، فكانت ورطةً غضَّ العالم عنها النَّظر على الرُّغم من فظاعتها. فقد تأكَّد، من جهةٍ أولى، بما لا يقبل الشكَّ أنَّ بعض أسماء المتهمين بالتَّفجيرات مازالوا على قيد الحياة، وبعضهم توفي منذ سنتين أو أكثر، ومنهم من كان في

الطائرة مع زوجته وأولاده. وهٰذا يعني إمكان أنَّ يكون الكذبُ قائماً والتزوير مؤكَّداً، ولا يوجد ما يمنع أن تكون الأسماء الأُخْرى ملفَّقة أو وهمية وهٰذا ما يستحق وقفة خاصَّة مستقلة[٤]. ومن جهة ثانية وهي الأكثر أهميَّة: أيعقل أن يقوم عرب أو مسلمون باستخدام أسماء عربيَّة مزوَّرة للقيام بهٰذه العمليَّة؟ وما الغرض من ذٰلكَ؟ أهو نسب التُّهمة إلى العالم العربيِّ والإسلاميِّ؟ لو كان هٰذا غرضهم لاستخدموا أسماءهم الحقيقية.

ثانياً: ابن لادن وجماعته

الاحتمال الأخير المتبقي من العالم الإسلامي هو **أسامة بن لادن**، وهو الشَّخص الذي اتُّهِمَ مباشرةً قبل أيِّ تحقيقٍ، وقبل انكشاف أيِّ وثيقةٍ أو حقيقةٍ. وليس بمستبعدٍ من الناحية النَّظريَّة أن يوجَّه الاتهام إلى **ابن لادن** لأنَّهُ هو ذاته أكَّد غير مرَّة أنَّهُ قَدْ أعلن الحرب على الولايات المتَّحدة الأمريكيَّة، وأنَّهُ سيضرب المصالح الأمريكيَّة في كلِّ بقاع العالم. ولن نناقش هنا ما إذا كان **ابن لادن** هو أيضاً صنيع الولايات المتَّحدة الأمريكيَّة، ولا كيف نُفخ اسمه من غير موجبٍ ليصير على كلِّ لسان في العالم باتِّهامه بكلِّ تفجيرٍ أو عمليَّةٍ ضدَّ المصالح الأمريكيَّة قبل أيِّ تحقيقٍ أو دليلٍ حَتَّى صار عنوان الإرهاب في العالم الغربيِّ وعنوان الجهاد ومعاداة الولايات المتحدة الأمريكيَّة في نَظَرِ شعوب العالم الإسلاميِّ. وقد أسهمت الولايات المتحدة في تكريس كلمة الجهاد حَتَّى في هٰذه الأزمة، وتأكيد أنَّ ما يقوم به **ابن لادن** هو الجهاد، على الرُّغم من براءته وبراءة الجهاد من ذٰلكَ. ولٰكنَّ الغرض الخبيث الذي تريد تكريسه الولايات المتحدة هو إظهار الجهاد الإسلاميِّ على أنَّهُ إرهابٌ،

٤ . سنناقش مشكلة أسماء مرتكبي العملية وملابساتها بالتفصيل في الباب الثاني الذي يحمل عنوان: الخداع الواضح في العمليَّة.

والعمل من ثَمَّ، وَثَمَّة مساعٍ كثيرةٌ في هٰذا الإطار، لحذف كلمة الجهاد من الدين الإسلامي، والتَّنكر لهٰذا المفهوم بوصفه معادلاً للإرهاب.

والسُّؤال الذي يفرض ذاته الآن هو: هل **ابن لادن** هو المخطِّط لهٰذه التَّفجيرات؟ أو لنقل بالدلالة الأوسع: هل تنظيم القاعدة هو المنفذ لهٰذه العملية بقيادة **ابن لادن** سواء بإشرافه المباشر أم غير المباشر؟

أشرنا إلى أنَّ **ابن لادن** يرغب في ذٰلكَ حسبما أعلن غير مرَّةٍ، ولٰكن متى كانت الرَّغبة دليلَ اتهامٍ؟ ومتى كانت الرَّغبات تتحقَّق دائماً؟ وهل كلُّ رغبةً قابلةً للتَّحقق بهٰذه السُّهولة؟

لو كان الاتهام محكوماً بالرَّغبة لوجبَ اتِّهامُ تسعة أعشار العالم على الأقلِّ بهٰذه التفجيرات، ولا أظنُّ أنَّ ثمَّة من ينكر ذٰلكَ. وفي المقابل من ذٰلكَ تماماً فإنَّ الإنكار ليس دليل براءةٍ. وكما أنكر العالم كلُّهُ مسؤوليَّته عن هٰذه التَّفجيرات فقد أنكر **ابن لادن** أن يكون المسؤول عنها. ولٰكنَّ الفرق بَيْنَ الإنكارين؛ إنكار العالم كلِّه وإنكار **ابن لادن**، هو أنَّ مصداقيَّة **ابن لادن** في إنكاره أعلى من غيره بكثيرٍ، لأنَّهُ على الأقلِّ يعرف أَنَّهُ المتهم الوحيد، ويعرف أَنَّهُ يعيش برسم الموت منذ أعلنت الولايات المتحدة الحرب عليه. ولو كان هو الفاعل لما وجد من حرجٍ في الاعتراف واكتساب شرف هٰذا النَّصر العظيم على الولايات المتحدة الأمريكيَّة.

وإذا ما تركنا هٰذا كلَّه جانباً فإنَّ **ابن لادن**، وهو في الظروف الَّتي وُضِعَ فيها منذ بدأت الولايات المتحدة بحصاره وحصار الحكومة الأفغانيَّة بسببه، عاجزٌ عن تنفيذ هٰذه العمليَّة للأسباب الآنفة الذِّكر من جهة وللأسباب التالية:

أولاً: لأنَّه مجرَّد من كلِّ أسلحته ووسائل الاتصال.

ثانياً: الذي لا يمكن نكرانه هنا هو أنَّ حركة طالبان تفرض على كلِّ حركاته قيوداً شديدةً لا يستطيع من خلالها القيام بأيِّ عملٍ لا من هٰذا القبيل لا مما هو دونه بآلاف المرَّات، وهٰذا ما تشهد به وكالات الأنباء الَّتي تحاول منذ زمنٍ أن تأخذ منه تصريحاً إعلاميًّا دون أن تفلح لأنَّهُ ملتزمٌ بقيود حركة طالبان.

ثالثاً: كما أَنَّهُ لا يستطيع التَّصرُّف بأمواله بسبب الحصار المفروض عليه من كلِّ دول العالم ولا سيما العالم الغربي، ومن دون هٰذه الأموال لا يستطيع تحريك شيءٍ على أرض الواقع.

رابعاً: نضيف إلى ذٰلكَ كلِّه أنَّ **أسامة بن لادن** منذ عام ١٩٩٥م تقريباً، أي منذ تشديد الحصار عليه على الصَّعيد العالميِّ، وإعلانه مطلوباً للعدالة الأمريكيَّة، وخنق حكومة طالبان الأفغانية بسببه ظاهريًّا، لم يعد يفكِّر إلا في الفوز بالنَّجاة، وإن كان يصرح بَيْنَ الفينة والأُخْرى أَنَّهُ سيحارب المصالح الأمريكيَّة.

خامساً: وما لا يجوز تغافله هنا هو إعلانه بكلِّ جرأة، وكذٰلكَ إعلان حركة طالبان، أَنَّهُ رهنٌ للأدلَّة، وعلى الولايات المتحدة إثبات أَنَّهُ المتهم فعلاً.

سادساً: وعلى أيِّ حال فإنَّ التَّحليلَ المنطقيَّ والواقعيَّ للتَّفجيرات بكلِّ معطياتها يشير إلى صعوبة أن يكون **ابن لادن** هو الذي يقف وراء هٰذه التفجيرات.

سابعاً: ويضاف إلى ذلك كلِّه، وهٰذا ما أجمع عليه المحلِّلون بمن فيهم الأمريكيُّون، أنَّ العمليَّة؛ تخطيطاً وترتيباً وتمويلاً، أكبر من إمكانات **ابن لادن**.

ولكن ماذا لو كانت جماعته هي الَّتي قامت بذٰلكَ من دون علمه؟

هٰذا الافتراض قائمٌ من النَّاحية النَّظريَّة، ولكنَّهُ أكثر صعوبةً من الأوَّل للأسباب سالفة الذِّكر كلِّها. ويضاف إلى ذٰلكَ أنَّ قيام بضعَ أفرادٍ من حزبٍ أو

جماعةٍ بعمليةٍ تتطلَّب إمكانات أكبر من إمكانات الحزب أو الجماعة كلَّها. يعني أنَّ تكون إمكانات هؤلاء الأفراد القلَّة أكبر من إمكانات الحزب أو الجماعة كلِّها، وهٰذا مفارقٌ للمنطق والتَّاريخ والواقع، وهٰذا يجعلنا ننفي أن يكون أفراد من جماعة **ابن لادن** هم الذين قاموا بهٰذه العمليَّة تحت اسم الجماعة أو باجتهاد منهم من دون الرجوع إلى **ابن لادن**.

ولكنَّ الاحتمال المرجَّح هنا، وهو الممكن واقعيًّا، هو أن يكون أفرادٌ من جماعة **ابن لادن** قَدْ قاموا بهٰذه العمليَّة ولٰكن بتوجيهٍ وتدبيرٍ من جماعاتٍ أو منظمات أُخْرَى قادرةٍ على التَّخطيط لهٰذه العمليَّة وعلى الاختراقات الَّتي تَمَّت في الأجهزة الأمنيَّة الأمريكيَّة، ولا يتطلَّب الأمرُ غالباً أكثر من الإيحاء واستفزاز المشاعر وضمان نجاح العمليَّة. والذي ينبغي ألاَّ يغيب عن الأذهان أبداً هو أَنَّهُ من الممكن جدًّا أن تقوم جهةٌ ما باستئجار أو خداع أفرادٍ عربٍ أو مسلمين ليقوموا بهٰذه العمليَّة لإلصاق الجريمة بالعرب والمسلمين وليس **بابن لادن** تحديداً لأنَّهُ لا يشكِّل شيئاً من المعادلة الأمريكيَّة اللهم إلا استخدامه وسيلةً لتشويه صورة العرب الإسلام والعالم الإسلامي من دون أن يريد هو ذٰلكَ. طبعاً هٰذا إن كان المنفِّذون هم فعلاً من جماعة **ابن لادن** أو غيرها من الجماعات الإسلاميَّة كما حاولت أن توحي التَّقارير الَّتي قدَّمتها الأجهزة الأمنيَّة الأمريكيَّة. لأنَّ الحقائق الَّتي تظهر تكذِّبُ قوائم الأسماء الَّتي أعلنتها التَّحقيقات الأمريكيَّة كما سنبين فيما سيأتي من فصولٍ.

وأيًّا كان الأمر فإنَّ احتمال أن يكون **ابن لادن** هو منفِّذ العمليَّة، أو حَتَّى جماعته أو أيِّ جماعة إسلاميَّة أو عربيَّة، يظلُّ احتمالاً، وهو لا يزيد قوَّة أبداً عن أيِّ احتمالٍ آخر لمن هم في قائمة الاحتمالات.

ثالثاً: اليابان

من الاحتمالات الَّتي أصرَّ الإعلام على استبعادها من ساحات المناقشة هو أنَّ تكون اليابان؛ دولةً أو منظَّمات، هي الَّتي قامت بهٰذه العمليَّة، على الرُّغم من أَنَّهُ عقب التَّفجيرات مباشرةً تناقلت بعضُ وسائل الإعلام أنَّ شخصاً أجنبيًّا أعلنَ في الأردن أَنَّهُ من منظَّمة الجيش الأحمر الياباني، وأنَّ هٰذا الجيش هو المسؤول عن التَّفجيرات. ولو بحثنا في هٰذا الاحتمال لوجدناه جدَّ وجيهٍ ومقبولٍ من النَّاحيتين المنطقيَّة والواقعيَّة، فمنظمة الجيش الأحمر الياباني قَدْ تأسَّست عقب الحرب العالمية الثانية مباشرة وغَرَضُها الرَّئيس والوحيد هو الثَّأر من الولايات المتحدة الأمريكيَّة بسبب القنبلتين الذريَّتين اللتين ألقتهما على مدينتي هيروشيما وناغازاكي اليابانيَّتين وأدَّيتا إلى استسلام اليابان وإلحاق أفدح الأخطار والخسائر بها، ولا أظنَّ أن ثَمَّةَ من يجهل الآن أخطار التَّفجيرات النَّووية.

إنَّ مناقشة الدوافع اليابانيَّة لهزِّ الصُّورة الأمريكيَّة وزعزعة مكانتها في العالم تبدي لنا أنَّ اليابان أيضاً من أكبر المرشحين لتنفيذ هٰذه العمليَّة ويحدوها إلى ذٰلكَ أكثر من سببٍ:

أولها أنَّ اليابانيين يؤرِّخون[٥] بدء علاقاتهم مع الولايات المتحدة الأمريكيَّة بما يعدُّونه إهانةً لا تنسى ترجع إلى عام ١٨٥٣م عندما جاء «الكوماندور **ماثيو بيري** ضابط البحريَّة الأمريكيَّة الذي دخل بأربع سفن حربيَّة ميناء ييدو الياباني في تموز/ يوليو عام ١٨٥٣م... وأعلن تصميمه على أن يسلِّم الإمبراطور الياباني

٥ ـ سمير كرم: **الحرب الباردة الثانية؛ أمريكا ضد اليابان** ـ ضمن مجلة **الكفاح العربي** ـ بيروت ـ العدد ٧٠١ ـ ٦ كانون الثاني/ يناير١٩٩٢م ـ ص٢١.

رسالة من الرئيس الأمريكي **ميلارد جيلور** يطلب فيها إقامة علاقات دبلوماسيَّة مع الولايات المتحدة...».

وثانيها الدستور الياباني الذي وضعته الولايات المتحدة الأمريكيَّة إثر الحرب العالميَّة الثانية الذي يجعل اليابان شبه مستعمرةٍ أو محميَّةٍ أمريكيَّةٍ، وما زال هٰذا الدستور قائماً حَتَّى الآن.

وثالثها الهزيمة النَّكراء الَّتي فرضتها الولايات المتحدة على اليابان في الحرب العالمية الثَّانية.

و**رابعها** وهو مرتبط بالسَّابق فهو القنبلاتان الذريَّتان اللتان ألقتهما الولايات المتحدة على اليابان وكانتا سبب إذلال اليابان أمام الولايات المتحدة من جهة، وباستسلامها في الحرب من جهة ثانية.

وخامسها أنَّ من مصلحة اليابان إزاحة الإمبراطورية الأمريكيَّة من أمامها لتحل هي هٰذا الموقع أو على الأقل تتمدَّد على حساب الهيمنة الأمريكيَّة خاصَّةً وأنَّ الإمكانات كلَّهَا في صالح اليابان في المرحلة التَّاريخيَّة لتحلَّ محلَّ الهيمنة الأمريكيَّة، لا سيِّمَا أيضاً أن الولايات المتحدة تضيِّق على اليابان كثيراً في الأسواق والمواد الأوليَّة ومصادر الطَّاقة والطاقة الإنتاجية...

وسادسها وهو الأكثر أهميَّة هو أنَّ اليابان تشعر أنَّها إن لم تثأر من الولايات المتحدة في هٰذه المرحلة؛ أي مرحلة عزِّ اليابان وعزِّ الولايات المتحدة فإنَّها لن تستطيع ذٰلكَ إلا بعد عشرات ورُبَّما مئات السِّنين، إلى جانب افتقاد الثَّأر لذته وقيمته بعد مضي هٰذه السِّنين.

وسابعها، وهو شبيه بالسَّابق، فهو أَنَّهُ إذا انتظرت اليابان انهيار الولايات حَتَّى تحقق إمبراطوريتها الَّتي حلمت بها وسعت لأجلها ولم تفرح بها بسبب

الولايات المتحدة أيضاً فإنَّها ستخسر هٰذا الحلم لأنَّها كُلَّما تقدَّم بها الزَّمن قليلاً مالت إلى الشَّيخوخة والعجز بحكم أعمار الحضارات ومراحل ازدهارها.

ولذلك كلِّه يمكن القول إنَّ اليابانٌ مرشَّح قويٌّ لتنفيذ هٰذه العمليَّة، والذي يعزِّز هٰذا الاحتمال هو التَّغلغل الياباني في الولايات المتحدة الأمريكية الذي قَدْ لا يقل عن التَّغلغل الصهيوني، وقد وضع **باست شوات** كتاباً كاملاً لتبيان هٰذه الحقيقة جعل عنوانه: وسطاء النفوذ: كيف يتلاعب اللوبي الياباني في الولايات المتحدة بالنِّظام السِّياسي والاقتصادي. ومما يقول: «إنَّ اليابان وحدها من بَيْنَ كلِّ الأمم تفهم على أكمل وجه أنَّ السُّلطة السِّياسيَّة في أمريكا سلعةٌ يمكن الحصول عليها لمن يدفع أكبر ثمن»[٦]. هٰذا إلى جانب أنَّ قدرتها التِّقانية والماليَّة على التَّخطيط الدَّقيق لمثل هٰذه العمليَّة. ويتأكَّد هٰذا الاحتمال أكثر إذا ما علمنا أنَّ أحد التَّحليلات ذَهَبَ إلى أنَّه ليس هناك أيُّ اختطاف للطائرات وإنَّما تمَّ العبث ببرنامج الطَّيار الآلي الذي انتزع القيادة من الطَّيار واتجه بالطائرة إلى الهدف. ويتعزَّز هٰذا الاحتمال أو التَّحليل إذا ما علمنا أنَّ التحقيقات ذهبت إلى أنَّ الصناديق السَّوداء للطائرات قَدْ تعطلت أو دُمِّرت كلَّها، وهٰذا ما لم يقتنع به معظم خبراء الطَّيران. ولو تبعنا الأدبيَّات اليابانيَّة منذ انتهاء الحرب الباردة على الأقل لتبيَّنا مدى التَّحفز الياباني للانعتاق من الهيمنة الأمريكية وطرد القواعد العسكرية الأمريكيَّة.

رابعاً: ألمانيا والاتحاد الأوروبي

تشترك ألمانيا واليابان بكثيرٍ من الدَّوافع للقيام بهٰذه العمليَّة، ويشترك الاتحاد الأوروبي مع اليابان ببعضها. فمن النَّاحية الأولى نجد أنَّ اليابان وألمانيا شريكتان في

٦ . م. س . ص٢٢.

الحرب العالمية الثانيَّة من أوَّل المعركة حَتَّى الهزيمة النَّكراء الَّتي تعرضتا لها. ومن ثمَّ فإنَّ كلَّ العوامل الَّتي تحدثنا عنها لقيام اليابان بهٰذه العمليَّة تنطبق على ألمانيا بما فيها الدوافع الاقتصاديَّة والسياسيَّة. ولذٰلك لن نكرِّرها هنا. أمَّا النَّاحية الثَّانية وهي اشتراك الاتحاد الأوروبي مع اليابان ببعض الدَّوافع فالمقصود بها الدَّوافع الاقتصاديَّة والسياسيَّة على نحوٍ خاصٍ، إذ إنَّ أوروبا وهي الَّتي تحمل اسم القارَّة العجوز شاءت أم أبت، تشعر بحرجٍ أمام تاريخها بسبب الهيمنة الأمريكيَّة شبه المطلقة عليها. وقد سعت مع انتهاء الحرب الباردة إلى أن تكون شريكاً للولايات المتحدة في الهيمنة على العالم، إذ ستكون القطب الثَّاني. بل هذا ما كانت تعتقد أنَّهُ سيحدث حتماً. وباشرت السعي بإقامة الوحدة الأوروبيَّة. ولكنْ مع مضي الأيام راحت توقن أنَّ الولايات المتحدة لن تسمح بلعب هٰذا الدَّور على الإطلاق، فالولايات المتحدة تدسُّ أنفها في كلِّ شاردةٍ وواردةٍ في الاتحاد الأوروبيِّ، وتفرض ذاتها على أوروبا في كلِّ شيءٍ، ولذٰلك لم تنفعها كلُّ محاولات الانعتاق الَّتي تراوحت بَيْنَ الخجل والجرأة.

هٰذا يوحي بأنَّ من مصلحة الاتحاد الأوروبي هزَّ مكانة الولايات المتحدة الأمريكيَّة، وإشعارها بأنَّها ليست القطب الأوحد، وأنَّها قابلةٌ للاختراق مثل غيرها، وغير ذٰلكَ كثيرٌ مما يساعد على تحييد الولايات المتحدة الأمريكيَّة عن التَّفرد على عرش الزعامة. وإذا نظرنا إلى إمكانات الاتحاد الأوروبي وصلاته مع الولايات المتحدة، ونظرنا إلى دقَّة التَّخطيط والتَّدبير في الحادث وجدنا أنَّ الاتحاد الأوروبي، بصورة من الصور[٧]، من أكبر المرشحين للقيام بهٰذه العمليَّة أيضاً.

٧ ـ لا نقصد بالاتحاد الأوروبي اشتراك كل الدول وإنَّما فريق عمل محدد قَدْ يكون من دولة أو اثنتين أو أكثر، على مستوى معين من المسؤولية والسرية... وربَّما يكون منظمات مستقلة.

خامساً: صربيا (يوغسلافيا)

قَدْ يعتقد كثيرون أنَّه ليس للصرب ذَلكَ الثَّأر الكبير من الولايات المتحدة، فقد اعتدوا على قوميات أُخْرَى وكان دور الولايات المتحدة أن تردعهم، من دون أن تصل إلى حدِّ العقاب. والحقُّ أنَّ هٰذا الفهم خاطئٌ أو مجافٍ للحقيقة لأنَّ ما فعله الصرب من وجهة نظرهم ونظر من ساندهم إنَّما هو حقٌّ لهم، أو ثأر خاصٌّ أو أي شيءٍ من هٰذا القبيل الذي يبرِّؤون ذاتهم من خلاله، ومن ثمَّ ليس من حقِّ أحدٍ أن يردعهم أو يعاقبهم على ذَلكَ، وليكون ما فعلته الولايات المتحدة بتحالفها ضرباً من الاعتداء على الصرب يستدعي الرَّد، ويضاف إلى ذَلكَ أنَّ فريقاً كبيراً منهم قَدْ رأى في تسليم زعيمهم **ميلوسوفيتش** امتهاناً لكرامة أمَّتهم. ويضاف إلى ذَلكَ كلِّه ما قَدْ يكون أخطر منه بمئات المرَّات وهو استخدام اليورانيوم المخفَّف في عملياتها العسكريَّة في يوغسلافيا، وهٰذا ما لا يقلُّ، بمعنى أو بآخر، من جهة المفعول عن القنبلتين الذرِّيتين اللتين ألقيتا على اليابان. ولا أظنُّ أنَّ ثمَّة إنسانٌ في الأرض أو في السَّماء يسكت على مثل الجريمة الَّتي لا تعدلها جريمةً أبداً، وليس ثمَّة شعبٌ يحترم ذاته أقلَّ الاحترامِ يسمحُ لمثل هٰذه الجريمة أن تمرَّ من دون عقاب إن كان يمكنه العقاب. وقد ذكرت بعض وسائل الإعلام وشبكة المعلومات الدُّولية أنَّ فريقاً من الطَّيارين الصرب قَدْ شكلوا منظَّمة للثَّأر من الولايات المتحدة الأمريكيَّة بسبب ما ألحقته بيوغسلافيا من خراب ودمار.

سادساً: النُّمور الآسيويَّة

تجاهلت كلُّ وسائل الإعلام أو نسيت الثأر الكبير للدول الآسيويَّة المسماة بالنُّمور من الولايات المتحدة بسبب الضَّربة القاصمة الَّتي وجهتها الولايات المتحدة الأمريكيَّة في عام ١٩٩٨م، بوساطة **جورج سورس**، لاقتصاد هٰذه الدُّول وأدَّت

إلى انهياره. وَنَجَمَ عن ذَلكَ أمران على الأقل **أوَّلهما** انهيار اقتصادات هٰذه الدول ومن ثَمَّ تكبدها خسائر بمليارات الدُّولارات في فترةٍ جدٍّ قصيرةٍ، **وثانيهما** وهٰذا ما لم يكن في الحسبان أبداً انعكاس ذَلكَ على كلِّ دول العالم بما فيها الولايات المتحدة ذاتها واليابان وأوروبا. حتَّى إنَّها لم تتعافى من هٰذه الأزمة إلى هٰذه اللحظة. ورُبَّما لا تقلُّ خسائر هٰذه الدُّول من النَّواحي الماديَّة والمعنويَّة والاستراتيجيَّة عن الخسائر الَّتي أدَّت إليها تفجيرات نيويورك وواشنطن. ولا أحد يستطيع أن ينكر أن الاقتصاد العالمي قَدْ دخل في نفق الركود والكساد منذ تلك الأزمة ولم يزل يسير في ظلمة هٰذا النَّفَقِ. ولن نزعم أنَّ هٰذا كان عقاباً على ما اقترف بحقِّ النمور الآسيويَّة، فرُبَّما المصادفة هي الَّتي وقفت وراء ذَلكَ، ورُبَّما هو بمعنى من المعاني انقلاب السِّحر على السَّاحر.

إنَّ علاقة النمور الآسيويَّة بالتَّفجيرات، من النَّاحية النَّظريَّة، لا تتوقَّفُ عند محض الثَّأر بل تتعدَّاه إلى محاولة إزاحة الإمبراطوريَّة الأمريكيَّة من طريق المنافسة عن طريق هزِّ مكانتها وزعزعتها على الصعيدين الداخلي والعالمي، شأنها في ذَلكَ شأن اليابان وأوروبا. بل إنَّ استفادة هٰذه الدُّول من تراجع الدَّور الأمريكي وتقهقر المكانة الأمريكيَّة على الصعيد العالمي تفوق استفادة أوروبا واليابان على الصعيد الاستراتيجي. ففي حين أنَّ اليابان وأوروبا كلهما تعاني من أعراض العجز والشَّيخوخة وترهل الأوصال والأعضاء الذي يشير إلى أنَّ عمر الحضارتين لن يدوم طويلاً. أمَّا الدول الأسيويَّة فإنَّها ما تزال في أوَّل الطَّريق، إلى جانب تمتعها بالحيويَّة والشَّباب. وإذا فَقَدَتْ فرصة إزاحة العملاق الأمريكي والحلول مكانه في إطار ما تستغرقه الفترة الانتقاليَّة لتبادل الأدوار الحضاريَّة فإنَّها ستفقد هٰذه الفرصة إلى الأبد، أو إلى فترة دورةٍ حضاريَّة كاملةٍ على الأقلِّ. فإذا كانت النُّمور الآسيويَّة

تدرك هٰذه الحقائق وتأخذها بعين النَّظر والحسبان، ومن المعيب ألا تدرك ذٰلكَ، فإنَّها ستكون أيضاً مرشَّحاً قويًّا للضلوع بهٰذه العمليَّة.

سابعاً: قائمة الاحتمالات اللامنتهية

الحقُّ أنَّ الاستمرار في عرض الاحتمالات الممكنة للمتَّهمين بالتَّفجيرات الَّتي هزَّت الولايات المتحدة الأمريكيَّة والعالم كله أمرٌ سيطول بنا كثيراً، ويرجعنا إلى ما بدأنا به فقرة الاحتمالات هٰذه من أنَّ العالم كلَّه من دون مبالغةٍ برسم الاتِّهام بهٰذه العمليَّة، فالأوروبيُّون أنفسهم يعلنون من دون حرج أنَّهم يكرهون الأمريكيين، وإذ ذاك لا عَتَبَ ولا حَرَجَ على أيِّ شعبٍ في العالم كلِّه أن يكنَّ الحقد غير المحدود للأمريكان، إلى جانب مختلف مشاعر الكراهية. وهٰذا يعني أنَّ استعراض أصحابَ المصالحِ الممكنِ اتِّهامهم بهٰذه العمليَّة يستدعي استعراض الكثير جدًّا من دول العالم من جهةٍ، والأعداد العظمى من المنظمات العلنيَّة والسِّريَّة في دول العالم كلِّها بما فيها الولايات المتحدة الأمريكيَّة، وهٰذا مربكٌ بحدِّ ذاته.

والمشكلة الَّتي تعترضنا هنا هي أنَّنا كُلَّما ظنَنَّا أنَّه من الممكن الاقتصار هنا على أبرز الممكن اتهامهم بهٰذه العمليَّة وجدنا أنَّ كثيرين غيرهم مؤهلون لأن يدرجوا في القائمة. فإذا تجاهلنا الصِّين مثلاً. وتجاهلنا كوريا. وتجاهلنا كوبا. وتجاهلنا روسيا وثأرها من انهيار إمبراطوريتها العظمى بأيدي الولايات المتحدة، ويقف إلى جانب روسيا الحزب الشِّيوعي أو الحركة الشِّيوعيَّة التي لم تكفكف دمعها على انهيار الاتحاد السوفيتي حَتَّى الآن. وتجاهلنا قيتنام مع كلِّ ما كابدته من ظلمٍ وقهرٍ وخسائر من الولايات المتحدة. وتجاهلنا القارة الإفريقيَّة الَّتي لا تقلُّ أهبة للثأر من تاريخ كبيرٍ من العبوديَّة والاسترقاق تحمل الولايات المتحدة أكبر الوزر فيه.

وتجاهلنا المافيا أخطر المنظمات الإرهابيَّة. وتجاهلنا المنظمات المناهضة للعولمة الَّتي مالت بعض التَّحليلات في البداية إلى اتهامها بالتَّفجيرات مستندة إلى تاريخها القصير والكبير في مناهضة العولمة، وإلى أنَّ التَّفجيرات قصدت مبنى مركز التِّجارة العالمي. وتجاهلنا كذلكَ أكثر من ستين منظَّمةً إرهابيَّةً منتميةً إلى الولايات المتحدة الأمريكيَّة ذاتها... فإذا ما تجاهلنا ذَلكَ كلَّه لم نستطع تجاهل أمريكا اللاتينيَّة كلَّها تقريباً بدولها والمنظمات أو التنظيمات الموجودة فيها، إذ إنَّ تاريخ الولايات المتحدة مع دول أمريكا اللاتينيَّة لا يقلُّ مأسويَّة عن تاريخها مع دول العالم الأُخْرى، فحظُّ هٰذه الدُّول من السِّياسة الأمريكيَّة كلُّه، إن لم نبالغ، ضربٌ من الاستعباد والاستبداد الذي حفر في قلوب شعوب هٰذه الدُّول أخاديد من الحقد.

وإذا ما تجهلنا ذَلكَ أيضاً فإنَّهُ من المتعذَّر تجاهل التَّهديدات الَّتي تلقتها الولايات المتحدة قبل أسبوع من التَّفجيرات الَّتي استهدفت واشنطن ونيويورك، وجاءت هٰذه التَّهديدات من أتباع أكبر مهرِّب مخدرات في كولومبيا **فابيو أوشوا** الذي سلَّمته بلاده إلى (العدالة الأمريكيَّة)، فقد هدَّد هؤلاء بتحويل الولايات المتحدة الأمريكيَّة إلى جحيمٍ إذا ما تمَّ تسليم **أوشوا**. وتوعَّد هؤلاء الأتباع الحكومة الأمريكيَّة بأنهم سيجعلونها تندم على محاكمة الرجل المصنف من الأمريكيين بأنَّهُ أكبر مطلوب لعدالتها بجرم تهريب المخدرات. ومن المعروف أنَّ جماعة **أوشوا** البالغ من العمر أربعاً وأربعين عاماً سبق لهم أن قاموا بعشرات التَّفجيرات في كولومبيا وقتلوا أكثر من خمسمئة رجل من أمن الشرطة... والملفت للنظر هنا أيضاً أن هٰذه العملية قَدْ تزامنت مع زيارة وزير الخارجية الأمريكي **كولن باول** إلى كولومبيا... ولٰكن كما تمَّ التَّعتيم على كثيرٍ من الأخبار المتعلقة بهٰذه العمليَّة وتجاهلها فقد

تجاهلت معظم وسائل الإعلام هٰذا الخبر، وأصرَّت على ملاحقة أفغانستان **وابن لادن**. ولا بأس هنا من الإشارة إلى **ليندون لاروش** عالم الاقتصاد والمرشح للرئاسة الأميركية كان قد حذَّر بشدَّةٍ من وقوع هجماتٍ إرهابيَّةٍ تستهدف الولايات المتَّحدة لاسيِّمَا في المرحلة الراهنة من أزمة انهيار النِّظام العالمي... ورفض في حديثٍ لشبكة W.G.I.R أيَّ اتهام للمسلمين بأحداث الحادي عشر من أيلول. وأكَّد أنَّ هٰذه العملية من عمليَّات القوَّات العسكريَّة الخاصَّة، بل هي عمليَّةٌ سريَّةٌ استراتيجيَّةٌ... (٨)

هٰذا الكلام الذي سقناه كلُّه رُبَّما يكون عند بعض الناظرين أحلاماً ومخيلاتٍ هوليوديَّة. ولٰكن لا بُدَّ منها في حقيقة الأمر، لا بُدَّ أن تظلَّ في الذَّاكرة... ولا بُدَّ أن يؤخذ بعين النَّظر بوصفها احتمالاتٍ منطقيةً وواقعيَّةً لأصحاب المصالح في الثَّأر من الولايات المتحدة الأمريكيَّة مثل هٰذا الثأر الكبير.

طبعاً هٰذا الكلام كلُّه في إطار الإمكان والاحتمال الذي نريد أن نؤكِّد من خلاله أَنَّهُ لا يوجد من هو قابل للاتهام أكثر من دون غيره باستثناء الفاعل الحقيقيِّ الذي تنطبق عليه شروط الاتهام كلها كما سنرى فيما سيأتي من فصول.

والطَّامَّة الكبرى، والمأساة العظمى، في هٰذا الحادث الجلل، هي أَنَّهُ على الرُّغم من وضوح أنَّ كلَّ المرشحين الآخرين للقيام بهٰذه العمليَّة، أو كثيرٌ منهم:

أولاً: يمتلكون دوافع الثَّأر من الولايات المتحدة والحقد عليها أكثر من **أسامة بن لادن** والعرب والمسلمين، ورُبَّما مجتمعين معا.

---

(٨) . إبراهيم الداية: **الصحفية الأميركية موريل ميراك؛ هجمات أيلول خطط لها منذ عام ١٩٩٨ ونفذتها قوات عسكرية خاصة**. جريدة **تشرين**. دمشق. الخميس ٣٠ كانون الثاني ٢٠٠٢م.

ثانياً: يمتلكون مقومات التَّخطيط من كفاءات علمية واستخباراتية وإدارية وبشرية أيضاً أكثر من **ابن لادن** وتنظيم القاعدة وبقية السلسلة.

ثالثاً: يمتلكون أرجحيَّات النَجاح من الناحية المادية والمعنوية واللوجستية والقدرة الاختراقيَّة، وسهولة الحركة اللازمة في الولايات المتحدة الأمريكية لتفيذ مثل هٰذه العمليَّة... أكثر من **ابن لادن** والقاعدة والسلسلة التَّالية.

رابعاً: لـذٰلك كلِّه، ولغيره مما لم يخطر في بالنا، أو فات ذاكرتنا، فإنَّ مسوِّغات اتِّهام كلٍّ المذكورين في الاحتمالات السابقة؛ كلٍّ على حدة، أو باجتماع طرفين أو أكثر... أكثر من مسوِّغات **ابن لادن**، فإنَّ الجمع والجميع بالقض والقضيض، بالشعور واللاشعور، بغريزة القطيع، وغريزة النفاق... هرول مع الولايات المتحدة الأمريكيَّة في الإصرار على ملاحقة هٰذا الرَّجل الذي تشير معظم الدَّلائل على براءته من هٰذه العمليَّة. ويرتبط بذٰلكَ مأساةٌ أُخْرَى وهي أنَّه على الرُّغم من أنَّ العالم معظمه يناصب الولايات المتحدة الأمريكيَّة العداء، فإنَّ الولايات المتحدة والغرب لم يجدوا في غير العرب والإسلام متَّهماً يناصبونه العداء... فلماذا كلُّ ذٰلكَ؟ هٰذا ما سنعالجه في فقرة تالية.

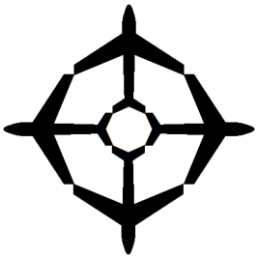

الفصل الثالث

المستفيدون من التفجيرات

فَقَطْ عندما نتيقَّنُ من أنَّ هٰذه العمليَّة الكبيرة عمليَّةٌ حمقاء غيرُ مسؤولةٍ وغير هادفةٍ، وأنَّ الذي قام بها شخصٌ غيرُ مسؤولٍ أو جماعةٌ غيرُ مسؤولةٍ ولا غرض لها إلا الإرهاب... هنا فقط يحقُّ لنا ورُبَّما ينبغي علينا أن لا نسأل عن المستفيدين من هٰذه التَّفجيرات.

ولكنَّ واقع الحال يؤكِّد بما يدفع معظم الشُّكوك أنَّهُ من المتعذِّر على أيِّ شخصٍ أو جماعةٍ أن تقوم بهٰذه التَّفجيرات لمحض العبث أو الثَّأر. وعلى افتراض إمكان ذٰلكَ فإنَّهُ من المتعذَّر أنَّ يتمَّ أو يكتمل ما لم يكن هناك تعاونٌ كبيرٌ من أشخاصٍ على قَدْرٍ كبيرٍ من المسؤوليَّة في الحكومة الأمريكيَّة. وإذا نفينا هٰذا الاحتمال، على صعوبة نفيه، أي احتمال تعاون فريقٍ من الحكومة الأمريكيَّة، فإنَّ الأمر سيزداد تعقيداً بكلِّ تأكيدٍ، وسيزيد من تعذُّر إمكان أيِّ جماعةٍ معروفةٍ من جماعات العنف أو الإرهاب أن تقوم بهٰذه العمليَّة، ورُبَّما تعذَّر أن تقف إمكانات دولةٍ أُخْرَى وراء هٰذه العمليَّة، اللهم إلا دولةٍ لها نفوذٌ واسعٌ في الولايات المتحدة، ولها معرفةٌ واسعةٌ بخصوصيَّات الولايات المتحدة الأمنيَّة، بل بأكثر هٰذه الخصوصيَّات سريَّةً وأهميَّةً. وإذا نظرنا في هٰذا الاحتمال لم نجد من ينطبق عليه هٰذا الشَّرط مثل إسرائيل أولاً ثُمَّ بريطانيا ثُمَّ كندا

واليابـان وربَّمـا ألمانيـا... ومـن المتعـذَّر في مختلـف الأحـوال أن تكـون هٰـذه الإمكانيـة متاحـةً لأيِّ دولـةٍ عربيَّـةٍ أو حـتَّى منظمـةٍ عربيَّـةٍ أو إسـلاميَّةٍ لأسباب سبق الحديث فيها.

على الرُّغم من وضوح كلِّ هٰذه الحقائق والحقائق الَّتي سبقتها والَّتي لا تحتاجُ كلُّها إلاَّ إلى أقلِّ قليلِ البداهة كي تدرك فقد أجمع الغرب في لحظةٍ واحدةٍ، واستمرَّ على ذٰلكَ، على أنَّ العرب والمسلمون هم الذين قاموا بهٰذه العمليَّة، وكان ذٰلكَ في اللحظات الأولى من العمليَّة، أي قبل ظهور أيِّ دليل أو مؤشِّر على أنَّ المسلمين والعرب ضمناً هم الذين يقفون وراء هٰذه التفجيرات.

إنَّ هٰذا الإجماع الإعلاميَّ الغربيَّ والتَّركيز المنقطع النَّظير على المسلمين والعرب واستعداء العالم عليهم، واستعداء العرب على العرب، والمسلمين على المسلمين، فَرَضَ على كثيرٍ من الأذهان أن تطرح الذي يجب طرحه من دون أيِّ إبطاءٍ: من المستفيد من هٰذه التَّفجيرات؟

أيًّا كانت الإجابة عن هٰذا السُّؤال فإنَّها تسترعي بسط كلِّ الاحتمالات ومناقشاتها، وكذٰلكَ مناقشة التَّداعيات الَّتي لحقت التَّفجيرات.

من البداهة بمكانٍ أنَّ السُّؤال الأول الذي يسير على هديه المحقِّق في أيِّ جريمةٍ هو: من المستفيد من هٰذه الجريمة؟ ولو سار المحقِّقون على الطَّريقة الأمريكيَّة خصوصاً والغربيَّة عامَّةً لدخلت النَّاس كلُّها السُّجون، في كلِّ جريمةٍ، قبل الوصول إلى الجاني الحقيقي.

إذا عدنا إلى ما تقدَّم من تحليلنا لأصحاب المصالح وأصحاب الثَّأر من الولايات المتَّحدة أمكننا أن نشتقَّ منها بسهولةٍ المستفيدينَ من هٰذه التَّفجيرات، ويقف على رأس هؤلاء من النَّاحية النَّظريَّة اليابان والاتحاد الأوروبي والصِّين ونمور

آسيا. والتَّحليلُ المنطقيُّ والواقعيُّ للحدث يؤكِّد أنَّ العرب أو المسلمين مستفيدون مثل غيرهم، بل نقول إنَّهم آخر المستفيدين من هٰذه التَّفجيرات لأنَّ انهيار الولايات المتحدة أو تزعزعها أو تقهقرها... لن يقدِّم للعرب أيَّ فائدةٍ فيما هم فيه من ظروف، اللهم إلاَّ فائدة عدم دعم إسرائيل وهٰذا في حقيقة الأمر ما لا تقبله كثيرٌ من الدُّول العربيَّة أصلاً ممثَّلةً بحكامها الذين هم الحماة الحقيقيون لإسرائيل وحراس حدودها. وفوق ذٰلكَ كلِّه فإنَّ انهيار الولايات المتحدة أو خروجها من ساحة الصِّراع والقوة لن يحرم إسرائيل من الدَّعم، لأنَّها لن تعدم من يدعمها إذا ما انهارت الولايات المتحدة.

ولكنَّ المناقشة المنطقيَّة والواقعيَّة للحدث ذاته تفرض علينا أيضاً أن نَضَعَ الأمورَ في نصابها، وتكشف لنا عن معطياتٍ جديدةٍ. والذي لا بُدَّ من تبيانه أوَّلاً هو أنَّنا نناقش هنا المستفيدين المحتملين من هٰذه العمليَّة سيَّان أكانت ثأراً وانتقاماً أم كانت من أجل تحقيق هٰذه الاستفادة بحدِّ ذاتها.

فإذا ما نظرنا إلى الدُّول المستفيدة من هٰذه الضَّربة سيَّان أكان تنفيذها من قبل الدَّولة أو من قبل منظَّمات تنتمي إليها على افتراض ذٰلكَ، وجدنا أنَّ لكل حالةٍ أو دولةٍ خصوصيتها الَّتي لا نستطيع البتَّ فيها لأنَّها وحدها القادرة على تحديد قدرتها على الضَّربة والردَّ عليها في حال اكتشاف أمرها. كما أنَّ ذٰلكَ ذاته يفرض على الولايات المتَّحدة نوع السُّلوك الممكن استخدامه مع هٰذه الدَّولة أو تلك.

إنَّ قيام أيٍّ من هٰذه الدول، أو منظَّماتٍ منها، بهٰذه العمليَّة يعني ومن دون كثيرٍ من الجدال أنَّها تعرف ما تقوم به وأنَّها قادرةٌ على الدِّفاع عن ذاتها بصورة أو بأخرى ضدَّ أيِّ هجومٍ أمريكيٍّ، ويعني من جهة أُخْرَى أنَّ الولايات

المتَّحدة ستقف مليًّا أمام أيِّ ردٍّ على هٰذه الدَّولة أو تلك، وليس من الضَّروري أن يكون الرَّدُّ عسكريًّا، ولذلك إذا تيقَّن للولايات المتحدة، افتراضاً، أنَّ الفاعل يندرج ضمن هٰذا الاحتمال فإنَّها ستعمل على إيجاد ضحيَّة تُفرغ عليها جام غضبها، وتثبت للعالم من خلالها أنَّها لا يموت لها ثأرٌ، وأنَّها ما تزال الدَّولة العظمى الَّتي لا يجوز الاقتراب من حماها، وبعد ذٰلكَ تُفَكِّر في تصفية حسابها مع هٰذه الدول أو تلكَ بطريقةٍ أو بأُخْرَى.

إنَّ الوقوف عند هٰذا الاحتمال، بالدُّول الَّتي أشرنا إليها، أمرٌ من الصَّعب التَّحقُّق منه، لأنَّ هٰذه الدُّول ذاتها هي القادرة على تحديد مرادها وكيفيَّات تحقيق مصالحها، وعلى الرُّغم من تكافؤ هٰذه الدُّول في احتمال ضلوعها بالتَّفجيرات، وترجيح احتمال قيامها بها على عدمه. إلاَّ أنَّ احتمال براءتها منها أمرُ يظلُّ قائماً بغضِّ النَّظر عن مدى أرجحيَّته.

الجديرُ بالذكر هنا هو أنَّ هٰذا التَّحليل تحليلٌ نظريٌّ سابقٌ على التَّفجيرات وليس لاحقاً عليها، أي هٰذا ما يَفْتَرِضُ القائم بالتَّفجيرات حدوثه، ولكنَّ الذي حدث بعد التَّفجيرات اختلف بعض الشيء. فمن النَّاحية النَّظرية أيضاً شعرت كثيرٌ من الدول أنَّها ستستفيد من هٰذه العمليَّة، ورُبَّما تستفيدُ منها، ومع مرور السَّاعات تلو السَّاعات شعر العالم كلَّه تقريباً أنَّهُ سيخسر كلَّ شيءٍ بسببها، وبعد أيَّام صار من الممكن الحديث عن مستفيدين وعن متضرِّرين على المدى القريب والمدى البعيد. وإن كان هٰذا ليس يعنينا كثيراً هنا فإنَّه من الضَّرورة الإشارة إلى أنَّ هٰذه الضَّربة قَدْ كشفت الغطاء عن زعم الأمن الأمريكيِّ الحصين أيًّا كان الفاعلون. إلا إذا كانوا هم الأمريكان ذاتهم. وفتحت الباب من ثَمَّ أمام

الأمم أو الأطراف القويَّة الأُخْرى للسَّعي إلى كسر القطبية الأحاديَّة الَّتي تتفرَّد بها الولايات المتحدة، وهٰذا ما لن يتمَّ في سنوات قليلةٍ بكلِّ تأكيدٍ.

ولٰكنَّ الأمر الذي لم ينتبه إليه أحدٌ هو أنَّ الولايات المتحدة هي أكبر المستفيدين من هٰذه التَّفجيرات، إلى الدَّرجة الَّتي تجعل الظَّنَّ في أَنَّ الولايات المتحدة ذاتها هي الَّتي تقف وراء هٰذه التَّفجيرات ليس بالأمر المستبعد أبداً. والأمر الثَّاني الذي يبعده الكثيرون عن الأذهان بمن فيهم العرب ذاتهم هو الفوائد الَّتي ستجنيها إسرائيل من هٰذه التَّفجيرات إلى الدَّرجة الَّتي تجعل من الصَّعب معها الظنَّ بأنَّ دولةً سواها يمكن أن تقوم بهٰذه العمليَّة وهٰذا ما أشرنا إليه في السَّاعات الأولى من العمليَّة.

إنَّ النَّظرة المنطقيَّة والواقعيَّة لما حدث؛ قبل الحدث وبعده، تؤكِّد بما يقطع دابر أيِّ شكٍّ أنَّ إسرائيل هي المحتمل الأوَّل للتَّخطيط لهٰذه العمليَّة وتنفيذها من جهة ما سيترتَّب عليها من نتائج، والذي حَدَثَ بعد العمليَّة فوراً والأفكار الَّتي راجت بسببها تؤكِّد أيضاً بما يقطع دابر أيَّ شكٍّ أنَّ إسرائيل هي أكبر المستفيدين مما ستقوم به الولايات المتحدة الأمريكيَّة من أعمال انتقاميَّة. وفي الوقت ذاته أيضاً وبالنَّظرة التَّحليليَّة ذاتها نستطيع القول إنَّ التَّخطيط لهٰذه العمليَّة وتنفيذها سيجعل الولايات المتحدة تحقِّق الكثيرَ من المكاسب الَّتي لا يمكن تحقيقها إلا بمثل هٰذه العمليَّة الكبيرة، والمخطَّطات الَّتي أظهرتها الولايات المتحدة توحي على نحوٍ كبيرٍ وقويٍّ بأنَّ الولايات المتحدة ذاتها مرشحٌ قويٌّ للقيام بهٰذه العمليَّة. وقد تأكَّد ذٰلكَ كثيراً مع تتالي ظهور الحقائق والأدلَّة.

والـذي يؤكِّـد وجهـة النَّظـر هٰـذه أنَّ الطَّريقـة الَّـتي تَمَّـت بهـا العمليَّـة ودقَّـة التَّخطـيط واخـتراق التَّرتيبـات الأمنيَّـة تجعـل مـن المتعـذَّر تصـديق أنَّ الجانـب الأمريكي غيرُ مشترك في هٰذه العمليَّة، وترشح الموساد الإسرائيلي ليكون شريكاً فاعلاً أولاً أو ثانياً في هٰذه العمليَّة خاصَّة وأنَّ للمنظمة الصهيونيَّة سوابق كثيرةً من هٰذا النَّوع من العمليَّات منها على سبيل المثال:

أولاً: مثل تفجير الباخرة باتريا التي كانت تقلُّ نحو ألفي يهوديٍّ مهاجرٍ إلى فلسطين في الخامس والعشرين من تشرين الثاني عام ١٩٤٠م.

ثانياً: تفجير الباخرة ستروما التي كانت تقلُّ نحو ثمانمئة يهودي مهاجرٍ إلى فلسطين، قرب السَّواحل التركية في شباط من عام ١٩٤٢م.

ثالثاً: كذٰلكَ نسف عدد من المباني اليهوديَّة في بغداد لإرغام اليهود العراقيين على الهجرة في عام ١٩٤٨م[٩]،

رابعاً: «قام الجواسيس الإسرائيليون في العراق بكشف وثائق مزورةٍ تثبت معاداة اليهود العراقيين لوطنهم، وَعَمَدَ هؤلاء الصَّهاينة إلى تعميم مثل هٰذه الوثائق على العالم العربيِّ كلِّهِ، ولهٰذا السَّبب نفسه قام الجواسيس الإسرائيليون بخزن الأسلحة في المعابد اليهوديَّة على نحوٍ ملفت لنظر السُّلطات المحليَّة بسرعةٍ...

خامساً: كما أشعل اليهود أنفسهم الحرائق في معابد اليهود، وفجروها بهدف نشر الرعب بَيْنَ السُّكَّان اليهود... كان اسم هٰذه

٩ ـ انظر مثل ذلك بالتفصيل في كتابنا: **انهيار أسطورة السلام؛ مصير السلام العربي الإسرائيلي** ـ دار الفتح ـ دمشق ـ ١٩٩٦م.

العمليـة: ***عمليـة علـي بابـا***، وأدَّت إلى هجـرة نحـو مئـة وأربعـين ألـف يهـوديٍّ إلى فلسطين.

كانت نتائج تلك الأعمال مفيدةً للصَّهاينة، فالمعابد صارت تحت مراقبة السُّلطات، وخضع اليهود للاعتقال والتَّحقيق، وهٰذا ما فرض عليهم مشاعر الكره تجاه مجتمعاتهم ودفعهم للهجرة»[١٠].

وغير ذَلكَ الكثير مما اعترف به قادة اليهود بعد أعوام، وليعلقوا ببرودِ غير المكترث على هٰذه المجازر اليهودية بحقِّ اليهود قائلين: «من الضَّروري التَّضحية بالقليل من أجل إنقاذ المجموع».

ولٰكن أيعقل أن تقوم إسرائيل أو الولايات المتحدة بالقيام بهٰذه العمليَّة؟ ومن ثمَّ أليس من الحماقة بمكان أن توجه أصابع الاتهام بالجريمة إلى المجني عليه ذاته؟ أيعقل أن يكون الضحية هو الجاني؟ ولا نخترع جديداً إذا قلنا إنَّ إسرائيل وأمريكا طرفٌ واحدٌ في معادلةٍ واحدةٍ.

إنَّ التَّحليل النَّظريَّ المحض يوحي ببعد هٰذا الاحتمال، وعدم جوازه. لأنَّنا إذا قسنا الفائدة الَّتي تستفيدها إسرائيل من هٰذه العملية على غرار الدُّول الأُخْرى وجدنا أَنَّهُ رُبَّما لا يكون لإسرائيل مكان بينها، وكذَلكَ شأن الولايات المتحدة. بل السُّؤال الذي يجب أن يفرض ذاته هنا وبكل قوَّةٍ: أيعقل أن تقوم إسرائيل بهٰذه العمليَّة ضدَّ ربِّ نعمتها وضامن وجودها وحليفها الأكبر والأعظم؟ يبدو ذَلكَ جدُّ صعبٍ من النَّاحية العاطفيَّة، ورُبَّما ممتنعاً. وإذا افترضنا أنَّ ذَلكَ كان ممكناً بالنسبة لإسرائيل فكيف سيكون من الممكن أن تقوم الحكومة

١٠ . سيرغي سيدروف: **الصهيونية ونهج الإرهاب** . ص ٣٣.

الأمريكيَّة بذلكَ أو تقبل به؟ أليس ذلكَ ضرباً من الجنون، بل أليس من الجنون تصور ذلكَ أصلاً؟!!

لا يبتعد الأمر من النَّاحية النَّظرية عن إطار هٰذه التَّساؤلات، ولٰكنَّ الإمعان في التَّفكير في هٰذه العمليَّة وأبعادها الاستراتيجيَّة، والمرجو منها، والنَّتائج الَّتي سَتَتَرَتَّبُ عليها يجعل هٰذا الاحتمال هو الأقرب إلى الواقع من كلِّ الاحتمالات الأُخْرى، وهو الأكثر رجحاناً على غيره، وهٰذا ما سنحاول تبيانه في الفقرة التالية من تحليلنا لما حدث.

الفصل الرابع

بصمات الفاعل الحقيقي

على الرَّغْمِ من الاحتمالات الكثيرة والمتنوِّعة للفاعلين المحتملين على ضوء المصالح والاستفادة وتاريخ العلاقات مع أمريكا وغير ذَلكَ كثيرٍ من شروط الاحتمالية وأنواعها فإنَّنا لم نجد في مسرح الجريمة سوى بصمات طرفين اثنين. البصمات الواضحة الصَّريحة التي اكتشف قبل إزالة معالم الجريمة، وفي أثناء طمس الأدلة ومعالم الأدلَّة، والعمل على زرع أدلَّةٍ جديدةٍ وبصمات فاعلين مختلفين... قبل ذَلكَ كلِّه وفي أثنائه كانت البصمات الجلية الموجودة هي لطرفين اثنين فقط هما إسرائيل والولايات المتحدة الأمريكيَّة.

إسرائيل

ما كادت تستقرُّ أحجار الأبنية المنهارة حتَّى بدأت تظهر الأدلَّة الَّتي تؤكِّد ضلوع إسرائيل بالتَّفجيرات. والغريب هو أنَّ وسائل الإعلام معظمها راحت تتجاهل هٰذه الأدلة بكلِّ صفاقةٍ. وبكلِّ صفاقةٍ تصرُّ على التَّوجُّه باتهاماتها إلى العرب **وابن لادن**. والحقُّ أنَّه حَتَّى ولو لم تظهر الدَّلائل الَّتي تشير إلى اتهام إسرائيل، وحَتَّى ولو لم يظهر دليلٌ واحدٌ منها فإنَّ الحقائق المنطقيَّة والواقعيَّة تؤكِّد أنَّ إسرائيل وحدها، ومعها الولايات المتحدة بصورة أو بأخرى، هي المرشَّح الوحيد للقيام بهٰذه العمليَّ.، ويقف وراء ذَلكَ أسباب كثيرةٌ هي المقدِّمات والنَّتائج في آن معاً لهٰذه العمليَّة.

لَقَد بدأت إسرائيل منذ نحو السنتين تفقد قداستها ومكانتها في العالم الأوروبيِّ على المستويين الرسَّمي والشَّعبي على نحوٍ غير مسبوقٍ. وبدأت هالة

القداسة والخصوصيَّة والفرادة الَّتي تتمتَّع بها في أوروبا بالاضمحلال على طريق الزَّوال. وهٰذا ما سيؤدِّي بطبيعة الحال إلى بدء زعزعة مكانتها على المستوى الشعبي في أمريكا. وهٰذا كلُّه ما سيؤدِّي إلى موت الأسطورة الَّتي تهيمن بها إسرائيل على أوروبا وعلى أمريكا. وسيؤدِّي من ثَمَّ إلى فقدان إسرائيل مسوِّغ وجودها لأنَّ وجودها قائمٌ في أصله على أنَّها حامية المصالح الغربيَّة في المنطقة العربيَّة، وعلى أنَّها قطعةٌ من العالم الغربيِّ في العالم الشَّرقي، وعلى أنَّ اليهود شعبٌ مضطهدٌ يجب على الشعوب جميعها أن تحرم نفسها اللقمة لتقدمها لليهود تكفيراً عن الاضطهاد الذي ذاقه اليهود.

قَدْ يبدو هٰذا الكلام غير كافٍ لقيام إسرائيل بهٰذه العمليَّة الَّتي هزَّت العالم عامَّةً والعالم الغربيَّ خاصَّةً. ولٰكنَّ عدم الكفاية هٰذه تنتفي قيمتها إِذا ما علمنا أنَّ الحكم الذي صدر على **روجيه جارودي**، الذي كان مفتاح انهيار النَّجم اليهودي من السَّماء الأوروبيَّة، إنَّما كان لأنَّهُ أنكر خصوصيَّة المجازر الَّتي تعرَّض لها اليهود عندما عدَّهم مثل غيرهم من الشُّعوب الَّتي تعرَّضت للمجازر. فقد عنى هٰذا لهم بدء التَّطاول على قداسة مكانتهم الَّتي يجب ألا يتشبَّه بها أحد.. إنَّهُم الاستثناء الذي لا ينبغي القياس به ولا إليه. وبدء التَّطاول هٰذا يعني إمكان الاستمرار فيه، والاستمرار فيه يعني إمكانية التمادي فيه، والتمادي يعني قطع شرايين حياة إسرائيل، وفقدانها كلَّ مسوِّغات وجودها، وفقدها مسوغات وجودها هٰذا سيضرب المصالح الأمريكيَّة ذاتها وسيؤدِّي إلى القضاء على مصالحها في المنطقة العربيَّة، وهٰذا أحد مداخل الاشتراك الأمريكي في العمليَّة.

لَقَد سعت إسرائيل كثيراً لتكمَّ الأفواه وتحول دون الوصول إلى حدِّ التَّمادي، فاستمرت في حصار من يتطاول عليها، وضيَّقت عليهم سبل العيش، وحاكمتهم،

ولكِنَّها لم تستطع أن تضع حدًّا لهذا التَّطاول، ووصل إلَى الحدِّ الذي لا يمكن السُّكوت عليه عندما رُفِعَتْ دعوى على رئيس الحكومة الإسرائيلية لمقاضاته بوصفه مجرم حرب فهٰذه الدعوى وحدها وبحدِّ ذاتها تعني لإسرائيل أنَّها فقدت كلَّ حرمتها واحترامها ومصداقيتها الَّتي كانت موضع القداسة في كلِّ أوروبا. وفي هٰذا وحده ما يكفي لهزِّ الكيان اليهودي في العالم وفقدان اليهود وإسرائيل سطوتها على العقول في مختلف أسقاع أوروبا. وهٰذا ما اعترفت به المنظمة الصهيونية من حيث تدري ولا تدري عندما نشرت إعلاناً في صفحةٍ كاملةٍ في جريدة **دي فيلت** الألمانية التابعة لدار إكسل شيربنجر للنشر، الصهيونية الميول، وقالت فيه باسم جمعيةٍ تدعى: «المسيحيون من أجل إسرائيل»: «إنَّ هناك ضغوطاً شديدةً تمارس من المعادين للسامية، وللصهيونية ولليهودية ولإسرائيل في الشَّرق الأوسط وألمانيا وأوروبا في حملةٍ حاقدةٍ على اليهود تهدِّد حقَّ بقاء اليهود ودولة إسرائيل، وتدمر جميع القيم الإنسانية والمسيحيَّة»[11]، ولنلاحظ كيف أنَّ العبارة الأخيرة هي الَّتي هيمنت على الخطاب الأمريكي والأوروبي والإسرائيلي إثر العمليَّة، على الرُّغم من أنَّ هٰذا الكلام قَدْ سبق التَّفجيرات بنحو الشَّهرين. وهٰذه العبارة ذاتها هي مفتاح النَّتائج المرجوة أو المعلقة على التَّفجيرات.

وإذا ما تتبعنا وسائل الإعلام الأوروبيَّة بمختلف مستوياتها وأنواعها في السَّنتين الأخيرتين وجدنا مدى التَّحرر من الهيمنة الصهيونيَّة، وتزايده المستمرِّ الذي يوحي بانهيار النَّجم الإسرائيلي من السَّماء الأوروبيَّة، بدءاً من محاكمة **روجيه جارودي** وصولاً إلى محاكمة **شارون** مروراً بالفيلم الذي عرضته الـ بي.بي.سي عن

---

١١ ـ وليد الشيخ: **صورة إسرائيل تهتزُّ في الإعلام الغربي واليهود يردون بالإعلانات** ـ ضمن جريدة **الأسبوع** ـ القاهرة ـ العدد ٢٣٣ ـ ١٦ جمادى الأولى ١٤٢٢هـ الموافق لـ ٦ آب ٢٠٠١م.

مجزرة صبرا وشاتيلا، ومروراً بمجموعةٍ تذكِّر بدير ياسين الَّتي تتخذ من لندن مقرًّا لها، وكل أعضائها من الأوروبيين، وإصرارهم على إقامة النُّصب التذكاري لهٰذه المجزرة في مكان وقوعها، ومروراً بانتقادات وزير خارجيَّة الدانمارك لإسرائيل، وكذٰلكَ رئيس بلدية برلين، وكذٰلكَ زعيم الحركة العالمية لمناهضة العولمة، وغيرهم الكثير، إلى جانب سيل المقالات المكتوبة بأقلامٍ أوروبيَّةٍ الَّتي تزايدت في السنتين الأخيرتين ضدَّ إسرائيل في شبكة المعلومات الدوليَّة وكبريات الجرائد الأوروبيَّة مثل: ديرشبيجل، والإندبندت، والأوبزيرفر، والنيو ووركر، ولوموند ديبلوماتيك... وغيرها.

وقد تضافر مع هٰذه الميول الأوروبيَّة اندلاع الانتفاضة في الأراضي المحتلة والوحشيَّة الصهيونيَّة في التَّعامل مع الفلسطينيين، ومساهمة الفضائيَّات في فضح أقلِّ قليل هٰذا الإرهاب وهٰذه الوحشيَّة، وأقل هٰذا القليل هزَّ مشاعر كثيرٍ من الأوروبيين وروَّعهم وفرض على كثير منهم إعلان أنَّ ما تمارسه إسرائيل هو إرهاب دولةٍ علنيٍّ.

وبذٰلكَ لم يعد همُّ إسرائيل إيقاف الانتفاضة بقدر ما تريد وقف انهيار الصورة الإسرائيليَّة في العالم الأوروبي. وكيف يمكنها ذٰلكَ بعدما بدأت كرة الثلج بالتدحرج وإيقافها بالوقوف أمامها ضرب من الانتحار؟!! ليس أمامها إلا عمليَّةٌ انتحاريَّةٌ أشدَّ خطورةً من الوقوف أمام كرة الثلج هٰذه. وهٰذه العمليَّة الانتحارية هي التَّفجيرات الَّتي ضربت مبنى مركز التِّجارة العالمي والبنتاغون لأنَّ مثل هٰذه العمليَّة الكبرى وحده الذي يعيد الأمور إلى نصابها.

إنَّ اختيار مبنى مركز التِّجارة العالمي اختيارٌ دقيقٌ جدًّا لأنَّه ليس رمزاً للولايات المتحدة وحسب، بل هو رمز الهيمنة الغربيَّة عامَّةً، رمز الرفاهيَّة الأوروبيَّة عامَّةً، رمز وحدة العالم الغربيِّ... ومن ثَمَّ فإنَّ استهدافه يعني استهداف العالم

الغربيِّ كلِّهِ لا الولايات المتحدة وحدها. وهٰذا يعني على الفور دعوة العالم الغربي إلى الاتحاد وتوطيد الأواصر والصلات. وبإثبات التُّهمة على العرب والمسلمين سيكون من الواجب على أوروبا أن تقتنع أنَّ إسرائيل هي ملاذها الوحيد وصديقها الوحيد الذي يضمن مصالحها وسط هٰذا العالم المتوحش والهمجي والإرهابي الذي هو العالم العربي والعالم الإسلاميُّ. وهٰذا ما ظهر على ألسنة معظم المسؤولين الأوروبيين والأمريكيين عندما قسَّموا العالم إلى عالمٍ إنسانيٍّ حرٍّ حاملٍ للقيم هو العالم الأوروبي ومعه إسرائيل، وعالمٍ همجيٍّ متوحشٍ ليس من البشر هو العالم العربي والإسلامي.

إنَّ تحقُّق ذٰلكَ يعني أنَّ على العالم الأوروبي أن يعيد النِّظر في الرقابة على إعلامه وسياساته ومسؤوليته في التعامل مع إسرائيل وإحياء القدسيَّة التي كانت تتمتع بها في الوسط الأوروبي. وهٰذا ما لن يكون إلا بمثل هٰذه الضَّربة التي اعتادت إسرائيل على أمثالها لمثل هٰذا الغرض.

والغرض الرئيس الثاني الذي خطَّطت إسرائيل له هو ضرب الحركات الإسلاميَّة وإحكام القبضة الصهيونية عن طريق الولايات المتحدة الأمريكيَّة على العالمين العربي والإسلاميِّ لتجفيف منابع كلِّ نضالٍ ضدَّ الصهيونيَّة، والهيمنة على كلِّ مراكز القوى الفعليَّة والممكنة والمحتملة التي ترفض الوجود الصهيوني واحتلاله فلسطين. وهٰذا ما سنوضحه في فقرة تالية.

إنَّ مقارنة الدَّوافع الإسرائيليَّة للقيام بهٰذه التَّفجيرات مع دوافع المحتملين الآخرين، والنَّتائج المعلَّقة عليها فيما يخصُّ الأطراف جميعها، تكشف لنا بمزيدٍ من الجلاء والوضوح أنَّ إسرائيل هي أقوى المرشَّحين للقيام بهٰذه العمليَّة، بل رُبَّما المرشح الوحيد للقيام بها. ويتعزَّز هٰذا الحكم

أكثر إذا ما أخذنا بعين النَّظر أنَّ المنظَّمات الصهيونية واليهوديَّة هي المنظمات الوحيدة الَّتي تصول وتجول في الولايات المتحدة الأمريكيَّة من دون رقابةٍ أو حسابٍ، خلاف كلِّ ما يخصُّ الأمم والشعوب الأُخْرى أيًّا كانت على وجه العموم، والمنظمات العربيَّة والإسلاميَّة وما يخصُّ شعوبها ودولها على وجه الخصوص. وإذا ما ربطنا ذَلكَ بالدقَّة والخطَّة المحكمة الَّتي نُفِّذَتْ فيها العملية والاختراق الذي حصل للترتيبات والأجهزة الأمنيَّة الأمريكيَّ استطعنا القول من دون أيِّ حرجٍ أو خوفٍ من الخطأ: إنَّهُ من المتعذِّر على أيِّ جهةٍ أُخْرَى غير إسرائيل، والاستخبارات الأمريكية طبعاً، أن تقوم بهٰذه العمليَّة.

ولٰكنَّ الأدلَّة على ضلوع إسرائيل بهٰذه العمليَّة لم تتوقَّف عند هٰذا التَّصور النَّظريِّ، إذ سرعان ما انفضح الأثر الإسرائيلي في هٰذه التَّفجيرات من خلال ما لا يقلُّ عن خمسة أدلَّةٍ دامغةٍ لا تقبل أيَّ جدالٍ، كشفت عنها وسائل الإعلام بالمصادفة الَّتي كانت بمنزلة الغلطة الَّتي لم يُسمح لأيٍّ منها بالتَّكرار. وتمَّ التَّعتيم عليها وتجاهلها ومنع الحديث فيها على الرُّغم من كونها الدَّليل الأكيد على ضلوع أجهزة الاستخبارات الإسرائيليَّة بالتَّفجيرات، أو على الأقلِّ الأقلِّ درايتها بها درايةً واثقةً.

أوَّل هٰذه الأدلَّة أنَّ أربعة آلاف يهوديٍّ يعملون في مبنى مركز التجارة العالمي تغيبوا جميعهم عن الدَّوام في هٰذا اليوم تحديداً ونجوا جميعهم من الموت[١٢].

١٢ ـ انكشف هذا الأمر بعد أربعة أيام من التفجيرات، وقد ذكرته كثيرٌ من وسائل الإعلام ولكِنَّها كلها تقريباً لم ترجع إليه بأي صورة من الصور، ولم تتوسَّع أي وسيلة إعلاميَّة في تحليل هذا الخبر ومراجعة الاختصاصيين فيه.

وعندما سُئل أحد المسؤولين الأمريكيين عن تفسيره لذلك، في مؤتمرٍ صحافيٍّ عرضته أكثر من محطَّة فضائية، أجاب إجابةً أكثر من غبيَّة عندما قال: «مصادفة...». ويا لهذه المصادفة الَّتي لا يمكن أن يقبلها أيُّ عقلٍ علميٍّ، أو أيُّ عقل إيمانيٍّ، أو أيُّ عقل خرافيٍّ... حَتَّى المخبولين لا يمكنهم أن يقبلوا هذه المصادفة، ولا يمكن أن تفسَّر إلاَّ بأنهم قَدْ أمروا بالتَّغيب، وليس من الضَّروري أن يعرفوا لماذا. ولٰكن من الذي سيأمرهم أو يطلب منهم تحديداً هٰذا الطلب؟؟!! أظنُّ أنَّه من الخبل أن لا نعدُّ ذٰلكَ دليلاً على ضلوع الاستخبارات الإسرائيليَّة بهٰذه العمليَّة.

ثاني هٰذه الأدلة أنَّ الطَّائرة الأولى الَّتي اقتحمت مبنى مركز التجارة، الَّتي يفترض أنَّها مفاجئةٌ، وأنَّهُ من أغرب المصادفات أن يكون هناك من ينتظرها ليصورها وهي تقتحم المبنى، قَدْ صُوِّرت، والذي صوَّرها إسرائيليٌّ من فريق يتألف من خمسة أشخاص إسرائيليين، شاهدتهم مواطنة أمريكيَّة يصورون الانفجارات وهم يهللون ويرقصون فرحاً، فارتابت في أمرهم واتَّصلت بالـ إف.بي.أي فاعتقلوهم، ولٰكن ليسلموا للسَّفارة الإسرائيليَّة الَّتي ستعيدهم إلى إسرائيل. ولأنَّه انفضح أمرهم قالت إسرائيل إنَّهُ طيش مراهقين. ولٰكنَّ الفرح الذي أبدته قلَّةٌ من الشَّباب الفلسطينيين، وهم محقُّون فيه لما لاقوه من الولايات المتحدة، أعادته وسائل الإعلام الغربيَّة مئات المرَّات وجعلته ظاهرةً عربيَّةً وإسلاميَّةً. وكم كان العالم العربي والإسلامي جباناً لأنَّه لم يخرج إلى الشَّوارع ليعبِّر عن فرحه. ومثل هٰذا ما عبَّر عنه المفكر الأمريكي **هاري براون** عندما كتب في النيويورك تايمز في السَّابع عشر من شهر أيلول قائلاً: «سمعنا كلمة هٰذا العمل الجبان تتكرَّر كثيراً على ألسنة المسؤولين وَلٰكِنِّي لا أعتقد أنَّ هٰذا العمل عملاً جباناً إنَّهُ عمل في غاية الشَّجاعة... العمل

الجبان هو ما يقوم به الرؤساء الأمريكيون عندما يختبؤون في المخابئ ويأمرون صواريخهم أن تدكَّ الدُّول البريئة في العالم»[١٣].

على أنَّ ما يستحقُّ التَّوضيح هنا هو أنَّ صور الفرح والابتهاج الَّتي راحت تتناقلها وسائل الإعلام الغربيَّة زاعمةً أنَّها التقطت للفلسطينيين إثر الانفجارات تبيَّن أنَّها ملتقطة منذ عشر سنوات، فمن محاسن المصادفات أنَّ «مدرساً برازيليًّا كان يحتفظ بتسجيلٍ لهٰذه الاحتفالات الفلسطينيَّة على شريط فيديو نقلاً عن قناة الـ سي.إن.إن عام ١٩٩١م في أثناء حرب الخليج. وقد أرسل عدَّة نسخ إلكترونيَّة لمحطة الـ سي.إن.إن لعلَّهَا تصحِّح غلطها. ولكِنَّها لم تفعل. فأرسل نسخة من الشَّريط والرسائل لقناة جلوبو الأوسع انتشاراً بالبرازيل، ولعدَّة جرائد، وأدار معركة على شبكة المعلومات لفضح التَّلفيق والزيف الذي محطة الـ سي.إن.إن... ودعا كلَّ من أرسل إليهم عبر الشَّبكة للعمل على كشف زيف القناة الأمريكيَّة»[١٤].

ثالث هٰذه الأدلة يتصل بما سبق الكلام تقريباً، ويتصل بما سيأتي أيضاً، فبعد مرور أسبوعٍ من التفجيرات أذاعت وكالة أنباء فوكس التلفزيونية الأمريكيَّة بياناتٍ مؤكَّدةً عن حضورٍ إسرائيليٍّ عسكريٍّ ومخابراتيٍّ كثيفٍ في الولايات المتحدة قبل أحداث الحادي عشر من أيلول... غير مسبوق، وملفتٍ للانتباه. وأكَّدت الوكالة أنَّ هؤلاء لهم صلةٌ بالأحداث. ويؤكد ذٰلكَ معلومات من مصادر أخرى تناقلتها بعض وسائل الإعلام وشهود عن اعتقال أكثر من مئتي يهودي بعد التفجيرات والإفراج عنهم لاحقاً ثمَّ ترحيلهم إلى إسرائيل... وللعلم فإنَّ بعضهم

---

١٣ ـ نيويورك تايمز ـ عدد ١٧ أيلول ٢٠٠١م.

١٤ ـ انظر ذلك ضمن جريدة **العربي** ـ القاهرة ـ العدد ٧٧٦ ـ الأحد ٦ رجب ١٤٢٢هـ/ ٢٣ أيلول ٢٠٠١م ـ ص٧.

ضُبط يهلل بفرحٍ لحظة ضرب الأبراج، وبعضهم الآخر كان يحمل جوازات سفر لا تخصهم، وبعضهم كان في سيارته آثار لمادة التي تي إن الشديدة الإنفجار وسكاكين. ولٰكنَّ تقرير الوكالة لم يستطع نشر أكثر من ذٰلكَ نظراً لسريَّة المعلومات... ناهيكم عن محاربة من يسير عكس تيار الخط الإعلامي الموجه نحو **ابن لادن**. تماماً مثلما فعلت إمبراطورية **مردوخ** الإعلامية في محاربة الصحافي الأمريكي **كريستوفر بولين** الذي أدرك منذ البداية ضلوع إسرائيل والولايات المتحدة بالحدث، وحاول فضح هٰذه الحقيقة، من أجل ثنيه عن البحث عن حقيقة ما حدث. وكانت الحكومة الأمريكيَّة ذاتها تتفادى دائماً الحديث عن حقيقة ما جرى، بل كانت تركِّز في إعلامها على شحن الشَّعب الأمريكيِّ انفعاليًّا لتصل به إلى الموافقة بل الرَّغبة في الانتقام من الإرهاب الإسلامي. وهي لا تريد لأيِّ صوت نشاز أن يعكِّر معزوفتها التي تعزفها مهما كلفها ذٰلكَ من ثمن.

رابع هٰذه الأدلَّة جاء من مصادرَ مختلفةٍ، وذكرته عدَّة وسائل إعلاميَّة غربيَّة وعربيَّة، وأيضاً تَمَّ التعتيم عليها إعلاميًّا، وفيه أنَّ منظمات يهوديَّة في أمريكا كانت تنوي تنظيم مظاهرةٍ حاشدةٍ للتَّضامن مع إسرائيل في مركز مانهاتن بنيويورك، وكان من المفترض أن يشارك رئيس الحكومة الإسرائيليَّة **شارون** فيها بهدف كسب الرَّأي العام الأمريكي ضدَّ الانتفاضة الفلسطينيَّة. ولٰكن ما إن علم قادة الشَّاباك والموساد بالتَّظاهرة لتوفير الحراسة للشَّخصيات اليهوديَّة حَتَّى قامت هٰذه الأجهزة بإخبار **شارون** بأنَّ مكان التَّظاهرة خطيرٌ جدًّا، وطالبوه بعدم الحضور. وحين استفسرت المنظمات اليهوديَّة عن سبب عدم مجيء **شارون** نصحتهم إسرائيل بإقامة التَّظاهرة في مكان آخر. وأضافت المصادر الغربيَّة أنَّ رئيس الوكالة اليهوديَّة كان مع **شارون** في موسكو وأبلغه هناك بضرورة عدم السَّفر إلى نيويورك، وحين استفسر **شارون**

عن السَّبب من أجهزته الأمنيَّة نصحته بعدم الذهاب. كما أوضحت هٰذه المصادر أَنَّهُ قبل يومٍ من الحادث اتَّصلت سكرتيرة رئيس الحكومة الإسرائيليَّة بقادة الأجهزة الأمنيَّة في تل أبيب وأبلغتهم بإلغاء الحجوزات.

والسُّؤال الذي يفرض ذاته بعد هٰذه الأدلَّة: هل يمكن أن يقبلَ عقلٌ أن تكون غيرُ إسرائيل هي الَّتي قامت بهٰذه العمليَّة من أوَّلها إلى آخرها؟ بل أليس محض التَّفكير في اتهام غيرها خيانةً للعقل والمنطق والأخلاق، استغباءً لكلِّ ذي عقلٍ، واحتقاراً لكلِّ ذي ضميرٍ، واحتقاراً للإنسانيَّة جمعاء؟؟

يحقُّ لي أن أزعمَ أَنِّي أَوَّلُ من اتَّهَمَ إسرائيلَ، لأنَّ هٰذا التَّحليل هو ذاته الذي وضعته ليس في السَّاعات الأولى من التفجيرات وحسب بل إثر الكلام عن الطائرة الرابعة في أقصى تقديرٍ. وَلكِنِّي كنت متأكِّدا في تلك الساعات من أَنِّي لن أكون الوحيد لأنَّ الحقَّ لا بدَّ أن يظهر، وقد بدأت تتوجَّهُ أصابع الاتِّهام إلى إسرائيل من العالم غير العربيِّ وغير الإسلاميِّ، فقد كتب محرِّر الأوبزيرفر في السَّادس عشر من أيلول قائلاً: إنَّ الصحافة الغربيَّة عامَّةً والبريطانيَّة خاصَّةً لا تتجرأ على ذكر أنَّ إسرائيل هي العامل الرئيس وراء الهجوم الذي تعرضت له الولايات المتحدة يوم الثلاثاء الماضي... وأنَّ أحداً في وسائل الإعلام البريطانيَّة حَتَّى المعروفين بجرأتهم لا يتجرَّأ على التَّطرق للدور الإسرائيلي في الهجمات. وفي موسكو أكَّد حزب روسيا العظمى في بيان له في التَّاسع عشر من أيلول الحالي «أنَّ تفجيرات نيويورك وواشنطن نفَّذتها إحدى المجموعات الأمريكيَّة وجاءت لمصلحة إسرائيل». وهذا ما يقودنا إلى الدَّور الأمريكي في هٰذه التَّفجيرات.

الولايات المتحدة

لا شكَّ في أَنَّهُ من أن أغرب الغرائب أن نفكِّر في اتِّهام الولايات المتَّحدة بالضُّلوع بالتَّفجيرات المروِّعة الَّتي حَدَثَتْ على أرضها، والأغرب من ذَلكَ أن نتَّهمها فعلاً، والأغرب من ذَلكَ كلِّه هو أن تكون ضالعةً فعلاً بهٰذه التَّفجيرات. والمشكلة المعضلة هي أنَّ هٰذا الأكثر غرابةً من أغرب الغرائب هو الذي حدث فعلاً.

ولكنَّ ما ينبغي ألا يغيب عن الأذهان هو أنَّه ليس من الضَّروري أن يكون التَّورط الأمريكي في العمليَّة على أعلى المستويات، أو بعلم الرئيس أو تدبيره، أو حتَّى أو يكون مخطَّطاً حكوميًّا أو استخباراتيًّا شاملاً، يكفي أن يشترك أحد أفرع الاستخبارات، أو فريق عمل استخباراتي، أو غير ذَلكَ من هٰذا القبيل. ولكنَّ المؤكَّد الذي يصعب جدًّا قبوله هو أن ألا يكون هناك أمريكيون على مستويات عليا من المسؤوليَّة قَدْ اشتركوا في هٰذه العمليَّة إمَّا اشتراك المخطِّط الفاعل، أو اشتراك المرتشي الذي يسرُّ الأمر سيَّان أكان يدري بخطورة الأمر أم لا، أو اشتراك المطلع الساكت لسببٍ من الأسباب.

إلا أنَّ ضلوع مسؤولين أمريكيين في تدبير هٰذه العمليَّة تخطيطاً وتنفيذاً ليس بالأمر المستبعد أبداً، بل إنَّ التَّحليل المنطقيَّ والواقعيَّ لمسار العمليَّة بدءاً من الدَّوافع، مروراً بالحملة الإعلاميَّة من أولها إلَى آخرها، والتَّصريحات، واختيار مفردات الاتهام والأخبار... وصولاً إلى يمكن أن تحقِّقه للولايات المتحدة الأمريكيَّة يجعلنا نجزم بأنَّها ضالعةٌ بالتَّخطيط لتنفيذ هٰذه العمليَّة على نحوٍ أو آخر، وهٰذا ما أكَّده معظم المحللين المختصين بالقضايا العسكريَّة. والذي يدعونا إلى ذَلكَ كثيرٌ من الحقائق الَّتي

ستستغرق منَّا الكثير في سردها وتحليلها[١٥]، ولكِنَّها على العموم من الوضوح بما يجعل إيجازها كافياً.

إنَّ أوَّل ما يستحقُّ الإشارة إليه هنا هو أنَّ الولايات المتحدة لها سابقةٌ بل سوابق من هٰذا النَّوع. فقد أصدر معهد فوكس قبيل أحداث أيلول «بحثاً يتضمَّن معلوماتٍ خطيرةً تُشير إلى أنَّ هيئة الأركان المشتركة الأمريكيَّة كانت قَدْ خصَّصت قبل نحو أربعين عاماً ميزانيَّة ضخمةً لتفجير بعض المباني في فلوريدا لتبرير حملتها العسكرية ضدَّ كوبا»[١٦]. وكذلكَ أيضاً كشفت بعض التَّقارير الَّتي نُشرت في الصحافة الأمريكيَّة أنَّ الاستخبارات الأمريكيَّة هي الَّتي خطَّطت لدفع اليابان إلى الاعتداء على ميناء بيرل هاربر كي توجد لنفسها ما يسوِّغ لها دخول الحرب العالميَّة الثانية[١٧]، وتسوِّغ لنفسها من ثمَّ ارتكاب أبشع الجرائم في تاريخ البشريَّة بإلقاء القنابل النوويَّة على اليابان للثأر من هٰذه العمليَّة. والأكثر بشاعة من ذٰلكَ أنَّ إلقاء القنابل النَّوويَّة بحدِّ ذاته كان تجربة لهٰذا السِّلاح الجديد لمعرفة فاعليته وقدرته التَّدميريَّة... للولايات المتحدة باعٌ طويلٌ في مثل هٰذه التَّجارب في أسقاع مختلفةٍ من العالم لَعَلَّ أبرزها استخدام اليورانيوم المنضَّب في العراق، وفي كوسوفو، من دون أن ننسى الدراسات الكثيرة الَّتي تؤكِّد أنَّ مرض نقص المناعة المكتسب المسمى اختصاراً بالأيدز قَدْ ولد في أحضان

---

١٥ ـ سنخصُّ فصول الباب الثاني لذٰلك كاملة تقريبا.

١٦ ـ إبراهيم الداية: **الصحفية الأميركية مورييل ميراك؛ هجمات أيلول خطط لها منذ عام ١٩٩٨ ونفذتها قوات عسكرية خاصة**. جريدة تشرين. دمشق. الخميس ٣٠ كانون الثاني ٢٠٠٢م.

١٧ ـ جاء هذا الكلام على لسان الأستاذ محمد عاصي الأمريكي العربي الأصل في لقاء معه في برنامج الاتجاه المعاكس في ٢٠٠١/٩/١٨م.

مخابر الاستخبارات الأمريكيَّة وهم الذين قاموا بنشره!!! ولا نسترسل في العد في ما تقوم الولايات المتحدة بتجريبه بالبشر فهو أكثر من أن يحصى.

إنَّ الذي ينبثق عن هٰذا الكلام مباشرةً، ويدور في إطاره هو السُّؤال الذي غَفَلَ عنه الكثيرون: ترى ماذا لو أنَّ الولايات المتحدة تقوم بتجربةٍ تريد منها أشياء تعرفُها هي وحدها فَقَطْ، كأَنَّ تكون مثلاً قَدْ وضعت في الطَّائرات شيئاً تريد تجريب فاعليته، أو أنَّها تريد أن تعرف الجاهزيَّة الأمريكيَّة جيشاً وشعباً إذا ما تعرَّضت الولايات المتحدة لضرباتٍ كبرى من هٰذا النَّوع بالطائرات أو الصواريخ أو غير ذٰلكَ؟؟!!

إنَّ هٰذا الاحتمال على بعده النَّظريَّ غير مستبعدٍ في التَّفكير الاستخباراتيِّ الأمريكيِّ ولا سِيَّمَا أنَّه بالمصادفة قَدْ عَرَضَتْ قناة الجزيرة قبل التَّفجيرات بأيَّامٍ فيلماً وثائقياً أمريكيًّا عن إعلان حالة الاستنفار في الجيش الأمريكي للقضاء على تمرد في بعض السُّجون الأمريكيَّة وقد تَمَّت العمليَّة بنجاحٍ. وذهب ضحيتها كثيرٌ من القتلى... وليتبين أخيراً، وبعد زمن أنَّ هٰذه العمليَّة برمتها كانت تجربةً للجاهزيَّة العسكريَّة في مثل هٰذه المواقف... أمَّا الضحايا فهم فئران تجارب ولا عجب.

والغريب في هٰذا الإطار أنَّه قبل التفجيرات بعامٍ بدأت شبكة فوكس المملوكة **لروبرت مردوخ** وبتمويل منه بإنتاج فيلم يصوِّر فيه وبدقَّة مدهشة هجمات الحادي عشر من أيلول على مركز التجارة العالمي: طائرة ركاب تُختطف، المختطف يُعطل أنظمة التحكم في الطائرة، ويقوم بتوجيهها نحو برج التجارة العالمي. وتتجه الطائرة إلى البرج. ولٰكن كما هو الحال في العقلية الأمريكية سيوجد من ينقذ الحضارة والقيم والأخلاق من الإرهاب وتعلو الطَّائرة البرج بقليلٍ جدًّا[١٨]. الذي فكر في

١٨ . اسم الفيلم: المسلحون الوحيدون، أو الرجال الوحيدون المسلحون (TheLone Gunmen)..

الفيلم وأنتجه هو **روبرت مردوخ** إمبراطور رأس المال والإعلام والسَّياسة الإسرائيلي الشَّهير. وفي مشهدٍ عرضته قناة الجزيرة يدور الحوار بَيْنَ الخاطفين:

يقول الأوَّل: ولكنَّنا سنقتل بذلكَ أكثر من خمسة آلاف واحدٍ.

فيجيب: لا مشكلة، وسنلصق التهمة بهٰذا العربي، مثل العادة...

فأيُّ مصادفةٍ هٰذه؟ وأيُّ مصادفة في أنَّها تشبه مصادفة فيلم الدِّفاع الأفضل الذي صوَّر اجتياح العراق للكويت وقيام الجيش الأمريكي بتدمير الجيش العراقي وتحرير الكويت بناء على طلب الكويت، ولٰكنَّ قبل تنفيذ السيناريو على أرض الواقع فعليًّا بأكثر من عشر سنوات[١٩]؟!

بل ماذا أيضاً لو أنَّ الولايات المتحدة اكتشفت أنَّ البرجين أو أحدهما معرَّضٌ للانهيار لسببٍ أو لآخر، أو أنَّ ثَمَّةَ خللاً فيهما، وأرادت أن لا تفوِّت فرصة استثمار ذٰلكَ؟!

هٰذا الاحتمال أرجِّحه أنا بشدَّةٍ. أرجِّح أنَّ البرجين أو أحدهما على الأقلِّ بحكم فاقد الصَّلاحيَّة، ووشوك الانهيار بطريقةٍ أو بأخرى، لسببٍ أو آخر. رُبَّما العمر الافتراضي مثلاً قد انتهى، رُبَّما اكتشفوا أنَّ خللاً هندسيًّا أو إنشائيًّا في تركيبة المواد المكوِّنة للبناء تستدعي تدمير البرج أو الاثنين. وانهيار مثل هٰذا البرج أو تدميره لا يجوز أن يمرَّ هٰكذا عفو الخاطر. فلماذا لا تقوم الاستخبارات الأمريكيَّة باستثمار هٰذا الانهيار؟

العقليَّة الذرائعيَّة الأمريكيَّة لا تسمح بمرور المصادفات أو ضياع الفرص من دون استثمارها. إنهم على عكس الشَّرق في التَّرميم والتَّريث والمماطلة بحثاً عن حلٍّ. لننظر في طريقة اليابان إذا أرادت أن تمرِّر طريقاً في مكانٍ فيه بناءٌ عزيزٌ؛ إنها

١٩ ـ أنتج فيلم الدفاع الأفضل في عام ١٩٨٤م.

تخترع من الأدوات والأجهزة ما يمكِّنها من نقل البناء كما هو. بينما إذا أرادت الولايات المتحدة أن تهدم بناءً لسببٍ وآخر تستنفر كلَّ الجهات لاستثمار الحدث تلفزيونيًّا وسينمائيًّا وإعلاميًّا وسياسيًّا. بل إنَّ تدمير أحد الفناق استثمر في كاميرا خفيَّة قبل بضع سنوات، إلى جانب ما تمَّ استثماره من هٰذا التَّدمير. هٰذا الكلام ليس نكتةً ولا اجتهاداً، هٰذا واقعٌ يمكن للمتتبع أن يجد الكثير من الشَّواهد عليه والأمثلة.

ويعضد هٰذا الفهم والتحليل طريقةُ انهيار البرجين والبرج المجاور لهما الذي لم يستهدف ولم تصل إليه رصاصةٌ ولا شظيَّة. وقد كشف المختصون أنَّ انهيار المبنيين لم يكن بفعل الطائرات وإنَّما كان بفعل فاعلٍ من الأساسات. يبدو أنَّ ثَمَّة متفجِّرات وُضِعَتْ في الأساسات وأماكن متعددةٍ تمَّ تفجيرها بعد ارتطام الطائرتين بالبرجين.

رُبَّما توقع الكثيرون انهيار برج أو الاثنين، ولٰكن توقَّع الجاهل أو الرَّاغب. أمَّا المختصون والدَّارسون فلم يتوَّقع أحدٌ انهيار أيٍّ من البرجين، فهما مصمَّمان بالضَّرورة، وبالوثائق التي تثبت ذٰلكَ، تصميماً مقاوماً للزلازل وحَتَّى صدم الطَّائرات، لأنهما عندما بنيا كان ثَمَّة توقُّعٌ صريحٌ لارتطام الطائرات بهما بالخطأ.

لا ندري عمَّ ستكشف الأيام القادمة من دراساتٍ وأبحاثٍ في الموضوع، ولٰكنَّ المختصين أكَّدوا إنَّ ارتطام الطائرتين بالبرجين غير كافٍ لانهيارهما. وكان أصلاً انهيارهما العمودي المباشر مؤشراً واضحاً على أنَّ ثَمَّة انفجارات في أساسات البناء أدت إلى هٰذا الهبوط التَّدريجي في الانهيار، مثلما رأينا في التَّفجيرات التي تسقط الأبنية التي يراد هدمها. ولو كان الانهيار بسبب الصدم، لبناءٍ بهٰذا الارتفاع،

وصدمٍ بالطائرة بهٰذه القوَّة، لكان ثَمَّة على الأقل شيءٌ من الميل والانهيار الجانبي ولن نقول الأفقي.

على أيِّ حالٍ لست من اخترع هٰذا التَّحليل، ولست أوَّل من قال به، وإنما هو تعليقاتٌ أطلقها الباحثون المختصُّون، وقيل إنَّ ثَمَّة شهادات من الحاضرين عن تفجيراتٍ كانت من أسفل البرجين. ولا أظنُّ إلا أنَّ فريقا على قَدْرٍ من البراعة التَّلفيقية سيقوم بتقديم تحليلٍ مقنعٍ جدًّا يقول بأنَّ انهيار البرجين كان من دون تفجيرات، وإنما بسبب الطائرات فقط. ليدحض المواقف والدراسات التي ستؤكِّد التفجيرات من أسفل البرجين. لأنَّ إثبات ذٰلكَ ورطة لا حدود لها للحكومة الأمريكية والاستخبارات الأمريكية. ومهما يكن من أمرٍ فإنَّ ثبوت أنَّ الطائرتين هما سبب الانهيار وليس التَّفجيرات المدبَّرة من الأسفل لا يغيِّر في قيمة تحليلنا بشيءٍ، والذي ذهبنا فيه إلى أنَّ ثَمَّة خللاً يستدعي تدمير البرجين فتمَّ تدميرهما بالطائرات. ومع ذٰلكَ سيظلُّ سؤالٌ معلَّقاً عن سبب انهيار البرج المجاور من دون أن يلمسه حجرٌ أو شظيَّةٌ من الحدث.

إنَّها حوادث تتداعى في الذَّاكرة ولكِنَّها تقدِّم قرائن أساسيَّة ومؤشِّرات على آليَّة التَّفكير الأمريكيِّ الذي يفرض علينا ألا نستبعد أن تكون الولايات المتحدة ذاتها هي الَّتي قامت بهٰذه التَّفجيرات سيَّان أكانت منفردة في ذٰلكَ أم بالاشتراك مع اللوبي الصُّهيوني أو الموساد. ولا فرق هنا في أن يكون الإسرائيليون هم رأس الحربة أم الأمريكيون فالنتيجة واحدةٌ، والدَّوافع واحدةٌ، والمكاسب مشتركةٌ.

ولكن التَّفكير في اتِّهام الولايات المتحدة ليس لهٰذا السَّبب وحده، فهو واحدٌ من احتمالات الأسباب، ولعلَّهُ أقلها احتمالاً. ذٰلكَ أنَّنا إذا نظرنا إلى وضع الولايات المتحدة وظروفها مقرونة مع الظُّروف الدوليَّة منذ انهيار الاتحاد السُّوفيتي

أمكننا أن نجد الدَّافع الأكبر لقيام الولايات المتحدة بهٰذه العمليَّة إمَّا مباشرة أو بالاشتراك أو التحريض أو الإيحاء... مع خلق الظروف المناسبة المساعدة على ذٰلكَ. ولَعَلَّ في هٰذا ما يفسِّر لنا سبب الكشف عن تقرير لوكالة الاستخبارات الأمريكيَّة صدر في عام ٢٠٠٠م يقول: «إنَّ **أسامة بن لادن** سيقوم بعملية تفجيراتٍ كبيرةٍ في الولايات المتحدة في عام ٢٠٠١م»، وكأنَّ وكالة الاستخبارات هٰذه الَّتي تقوم بتنفيذ تعليمات **ابن لادن**، أو أنَّها هي الَّتي تخطِّط له!!

السُّؤال الذي يفرض ذاته هنا شئنا أم أبينا هو: ألا يعدُّ نشر هٰذا التَّقرير بحدِّ ذاته دليلاً على تورُّط الاستخبارات الأمريكيَّة، على نحوٍ أو آخر، بهٰذه التَّفجيرات حَتَّى ولو كان **ابن لادن** هو الذي قام بها فعلاً؟

فإذا عدنا إلى الظُّروف الأمريكيَّة والدوليَّة الَّتي يمكن أن تكون هي التي دفعت الولايات المتحدة للقيام بهٰذه العمليَّة على نحوٍ من الأنحاء أمكننا القول إنَّ الولايات المتحدة على تفردها بدأت تشعر بتخلل علاقاتها مع حلفائها بسبب غياب العدو المحدَّد الذي كان ممثلاً بالاتحاد السُّوفيتي المنهار. ولقد أدركت الولايات المتَّحدة هٰذه الحقيقة مع انهيار الاتحاد السوفيتي، وعرفت أنَّها ستفقد سيطرتها على أتباعها فاخترعت عدوًّا جديداً هو الإسلام والعرب، «على الرُّغم من أنَّ هذا العدو هو الأكثر خطورة في تصورها وسياستها منذ ما قبل نشأة الاتحاد السوفيتي، وفي أثناء وجوده» على حدِّ تعبير اليهودي الأمريكي **نعوم تشومسكي**[٢٠]، وإعادة إحياء هٰذا العدو ليست بالاختراع الجديد. إلا أنَّ المأزق الذي وقعت فيه، هو ما لم يكن في الحسبان، هو أنَّ هٰذا العدو ليس عدواً محدداً، فالعرب يبدون دائماً مزيد الانصياع للإرادة الأمريكيَّة، وفي كلِّ تجربةٍ يظهرون أنَّهم أكثر إخلاصاً

٢٠ ـ هذا ما ذكرة في لقاء أجرته معه محطة الجزيرة الفضائية في أواسط عام ٢٠٠١م، في برنامج بلا حدود.

للولايات المتحدة وللغرب عموماً من الغرب نفسه، ناهيك عن تسابقهم لكسب الرِّضا الأمريكي والغربي تسابقاً محموماً.

أمَّا الإسلام فليس دولةً وليس شخصاً كي يتم التعامل معه على أنَّه العدو، وكلُّما جَرَتْ محاولةٌ لاستجرار دولةٍ، ما عدا الدول المتهالكة على التَّمسح بالغرب، إلى مصيدة العداء استطاعت هٰذه الدولة أن تخرج سليمة بطريقةٍ أو بأخرى من خلال الاستمرار في تقديم التنازلات إلى الحدِّ الذي يرضى السيادة الأمريكية... ولذلك، على الرُّغم من استقرار فكرة أنَّ العدو الألد هو الإسلام والعرب في العقلية الغربيَّة كلها تقريباً، إلا أنَّه كان من الصَّعب المحافظة على حالة الاستنفار الدائم، والخضوع الأعمى من الدول الغربيَّة للولايات المتحدة. وهٰذا ما قادها إلى التَّفكير في مصالحها مع العالم كلِّه ومن ضمنه العالم العربي والإسلامي، وبدأت الدُّول الأوروبيَّة في مساعي التَّخلص من الهيمنة الأمريكيَّة. وعلى الرُّغم من أنَّ العصا الأمريكيَّة لم ترتفع عن رؤوس الدُّول الأوروبيَّة فإنَّ الأحوال الرَّاهنة تشير إلى بوادر استقلاليَّة القرار الأوروبي عن الإرادة الأمريكيَّة وقد تجلى ذٰلكَ في كثيرٍ من الممارسات الأوروبيَّة من جهةٍ، ومساعي دول العالم الأُخْرى إلى الاعتماد على الدول الأوروبيَّة من دون الوساطة الأمريكيَّة كما حدث في المدِّ الذي بدأت تأخذه أوروبا في مسألة السلام العربي الإسرائيلي مثلاً.

وإلى جانب ذٰلكَ أيضاً يمكننا أن نجد مساعي دول أُخْرَى إلى احتلال مواقع متقدِّمة على خريطة الفعل السِّياسي العالمي في مراحل قادمة مثل الصِّين ورُبَّما اليابان والهند والباكستان وبعض نمور آسيا وغيرها. وإن لم يُعالج ذٰلكَ سريعاً فإنَّهُ سيؤدِّي إلى نتائج انعكاسهُا خطيرٌ على الولايات المتحدة، رُبَّما يكون أيسرها إفلات عصى التَّحكم من القبضة الأمريكيَّة.

عند هٰذا المستوى من الاحتمالات نجد التقارب بَيْنَ الأغراض الإسرائيليَّة والأغراض الأمريكيَّة، ومن ثمَّ تشابك هٰذه الأغراض من جهة ضرورة احتواء الأخطار المحتملة على الكيانين الصهيوني والأمريكي، ومن أبرز هٰذه الأخطار التَّهديد العربي والتَّهديد الإسلامي للكيانين معاً، هٰذا التهديد المتمثل بتصاعد القوى العربيَّة والإسلاميَّة على السَّاحة العالميَّة على المدى غير القريب وغير البعيد في آنٍ واحدٍ، فقد بدا في السَّنوات القليلة الأخيرة أنَّ الحركات الإسلاميَّة في العالم العربيِّ والعالم الإسلامي عامَّةً قَدْ بدأت تتحرك بمزيدٍ من الحريَّة وتنخرط في الحياة السياسيَّة بسويَّاتٍ متباينةٍ تميل معظمها إلى اعتناق الروح الديمقراطية في المشاركة السياسيَّة، ونجاحها في ذَلكَ إلى حدٍّ كبير، وهٰذا ما أدَّى ويؤدِّي إلى مزيدٍ من الشَّعبية لهذه الحركات الَّتي لا تفتقر إلى هٰذه الشَّعبية في الأصل. وهٰذا كلُّه مما يهدِّد بوصول إلى هٰذه الحركات إلى السلطة بمحض المدِّ الجماهيري الذي سيكون من الصَّعب الوقوف أمامه. بل إنَّ تحييد الحركات الإسلاميَّة بطرقٍ غير ديمقراطيَّة سيؤدِّي إلى تصاعد شعبياتها وإلى خلق مناخاتٍ متطرِّفةٍ ستتجه بتطرفها إلى إسرائيل والغرب عموماً...

لَقَد حدث كلُّ ذَلكَ ليس في غفلة عن الاستخبارات الأمريكيَّة ولٰكن في غمرة من الانشغال والبحث عن حلٍّ، ووصل الأمر فيما يبدو إلى درجةٍ تتطلب علاجاً حاسماً وشاملاً، فإذا ما وضعنا في حسباننا أنَّ دولةً مثل الولايات المتحدة في هيمنتها العالميَّة وحاجتها بَيْنَ الحين والحين إلى حربٍ واسعةٍ كبيرةٍ كي تؤكِّد مكانتها وسطوتها وترهب أعداءها خصومها وأصدقائها في آنٍ واحدٍ كما حدث مع كلِّ الأمم السَّابقة الَّتي كانت في مثل وضعها، وتُشعر الجميع أن الجميع تحت قبضتها...

مع تضافر كلِّ هٰذه المعطيات مع بعضها بعضاً، نجد أَنَّهُ لم يعد من السَّهل أبداً حلُّ هٰذه المشكلات بعمليَّةٍ سهلةٍ، وأَنَّهُ من الضَّروري أن يكون هناك مسوِّغٌ كبيرٌ لفعلٍ كبيرٍ، وهٰذا ما يمكن أن تحقِّقه عمليَّة مثل عملية الحادي عشر من أيلول ٢٠٠١م، الَّتي استهدفت مركز التِّجارة العالمي ومبنى البنتاچون، لأنَّ مثل هٰذه العمليَّة الكبيرة المفتوحة على كلِّ الاحتمالات تسمح للولايات المتحدة أن تفعل ما تشاء من دون أن يجرؤ أحدٌ على رفع رأسه، وقد تابع الجميع كيف بكى العالم كلُّه وتباكى على الأقدام الأمريكيَّة، وأعلن كامل تأييده لما تريد أن تفعله الولايات المتحدة. ولننظر في هٰذا الحوار القصير على متن الطائرة المختطفة من فيلم مردوخ السالف الذكر:

الحرب الباردة إنتهت، جون. لكن من دون عدو واضح... ولكن بإسقاط طائرة ٧٢٧ محمَّلةً بالكامل في منتصف مدينة نيويورك؛ ستجد من كل بلد دكتاتوري من يصرخ ويستجدي لتحمُّل المسؤولية.

كيف سيسقطونها ؟

بالطريقة ذاتها التي تُمكِّن رجلاً ميتاً من قيادة سيارة.

وهٰذا ما حدث فعلاً، وقد بدنأ به الفصل الأول فصل التَّعاطف النِّفاقي أو الخائف. هٰذا إلى جانب تحقيق أغراض أُخْرَى كثيرة هي موضوع كلامنا في الفقرة التالية.

نحن على أيِّ حالٍ أمام مخطَّط ليس وليدَ المصادفة أبداً. ولذلك لا عجب أن تطلع علينا الصحافيَّة الأمريكيَّة **موربيل ميراك**[٢١] لتعلن أنَّ هجمات أيلول هو تخطيط أمريكي وتنفيذ أمريكي، وقد بدأ التخطيط لها منذ عام ١٩٩٨م. «وهو ما

(٢١) . **موربيل ميراك**: صحافية أمريكية، واحدة من محررات مجلة Executive Intelligence Review

أكَّدته مؤسَّسةٌ بحثيَّةٌ أميركيَّةٌ. لٰكنَّ اتِّخاذ القرار جاء عندما شعرت القوى المسيطرة على هٰذه العملية باقتراب نهاية النظام العالمي، وزيادة التعاون في آسيا بَيْنَ الصين وروسيا»[٢٢].

قالت ذٰلكَ في محاضرة لها بعنوان «مَنْ الذي ارتكب أحداث الحادي عشر من أيلول». ألقتها بعد شهر ونصف تقريباً في مركز الدراسات الآسيويَّة بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية في جامعة القاهرة. ومما يعنينا هنا مما سنأتي عليه لاحقاً قولها: «إنَّ أحداث الحادي عشر من أيلول محاولة أمريكية لإطلاق صراع الحضارات في سياق مواجهةٍ ما بَيْنَ المسلمين والديانات الأخرى»[٢٣].

(٢٢) . إبراهيم الداية: **الصحفية الأميركية موريل ميراك؛ هجمات أيلول خطط لها منذ عام ١٩٩٨ ونفذتها قوات عسكرية خاصة** . جريدة **تشرين** . دمشق . الخميس ٣٠ كانون الثاني ٢٠٠٢م.

(٢٣) . م. س.

الباب الثاني

الخداع الواضح في العملية

طائرتا برج التجارة العالمي
التحذيرات التي سبقت العملية
طائرة البنتاجون
طائرتا بنسلفانيا والبيت الأبيض
الصناديق السوداء
أسماء الفاعلين وحقيقتها

الفَصْل الأوَّل

طائرتا برج التجارة العالمي

بدا لنا في الفصول السَّابقة بالاستدلال المنطقيِّ أنَّ أكبر المرجَّحين للقيام بهٰذه العمليَّة الكبيرة هو الولايات المتحدة ذاتها تحديداً، وإسرائيل شريكٌ بالضَّرورة. وليس مهمًّا الآن من يكون منهما في مقدِّمة الحدث، فكلاهما في ذٰلكَ سواءٌ مهما اختلفت وجهات النَّظر في العلاقة بَيْنَ إسرائيل والولايات المتحدة الأمريكيَّة.

والذي يؤكِّد هٰذا الاستدلال تأكيداً يقطع دابر أيِّ شكٍّ أو جدالٍ جملةٌ من الحقائق الَّتي باتت معروفةً وَمُشْتَهَرَةً إِلَى الحدِّ الذي يجعل من المعيب التَّفكير في الطَّعن فيها، اللهم إلا الولايات المتحدة وحدها الَّتي كذبت الكذبة وَصَدَّقتها وتصرُّ على ألاَّ يكذِّبها في ذٰلكَ أحدٌ.

من المؤكَّد أنَّنا إذ نعرض هٰذه الحقائق فإنَّنا لا نضيف إِلَى الواقع شيئاً جديداً. ولٰكنَّنا سنستعين بالمنطق لسدِّ الفجوات واستكمال التَّحليل. ولن نبتعد عن المنطق أبداً في ذٰلكَ. وإذا كانت بعض هٰذه الحقائق معروفةً أو مشتهرةً فإنَّ الجمع بينها في إطار واحدٍ على النَّحو الذي سنقوم به أمر رُبَّما لم يُسبق، أو على الأقلِّ في حدود علمنا.

على أنَّ ما تجب الإشارة إليه هنا هو أنَّنا سنقتصر على بعض الحقائق الأساسيَّة والبارزة فَقَطْ لتبيان الخدعة الأمريكيَّة في عمليَّة التَّفجيرات، لأنَّنا بغنًى عن سرد كلِّ الأدلَّة أو معظمها فكلُّ دليلٍ مما سنورده يكفي وحده لإثبات الخداع الأمريكي في هٰذه التَّفجيرات من جهةٍ أولى، ولأنَّ سرد كلِّ الحقائق والتَّحليلات

أمرٌ متعذَّرٌ من جهةٍ ثانيةٍ، ومن جهةٍ ثالثةٍ فإنَّ بعض الفصول الأُخْرى من هٰذه الكتاب تنصبُّ مضامينها على تبيان بعض هٰذه الحقائق ومكانتها من أحداث الحادي عشر من أيلول عام ٢٠٠١م.

لننظر أوَّلاً إِلَى الحدث كما بدا وكما روته الولايات المتحدة للعالم. ويجب أن ننتبه هنا إِلَى ما بدا وإلى ما روته الولايات المتحدة، لأنَّ ثَمَّةَ ظواهر وأحداث بدت للعيان، وَثَمَّة رواية هي الَّتي قدمتها الولايات المتحدة الأمريكيَّة شرحت هٰذه الظَّواهر والأحداث وفسَّرتها في الوقت ذاته. وهٰذا الشَّرح والتَّفسير هو الذي كشف خداع الولايات المتحدة وتضليلها. فكانت إدانة الولايات من كلامها لا من كلام غيرها.

في صبيحة يوم الثلاثاء الحادي عشر من أيلول/ سبتمبر عام ٢٠٠١م ارتطمت طائرةٌ بأحد برجي مركز التِّجارة العالميِّ بنيويورك. ولم يطل الأمر كثيراً فبعد ١٨ دقيقة تماماً ارتطمت طائرة ثانيةٌ بالبرج الثاني. وبعد نحو أقلِّ من ساعة **قيل** إنَّ طائرةً ثالثةً اقتحمت إحدى كتل بناء وزارة الدفاع (البنتاچون). وانتقلت وسائل الإعلام إِلَى هناك وتابعت تصاعد الدخان والنيران. وما هي إلا دقائق حَتَّى تناقلت وسائل الإعلام خبر ارتطام طائرة أُخْرَى بمبنى البيت الأبيض وانتقلت وسائل الإعلام إِلَى هناك وصورت الدُّخان المتصاعد من خلفيَّة البيت الأبيض، وسرعان ما أُنكر أن يكون هناك انفجار، فقيل إنَّها نفايات تحترق، ولم تعد وسائل الإعلام إِلَى هٰذا الموقع بعد ذٰلكَ أبداً. وفي هٰذه الأثناء ذاتها أعلن عن طائرةٍ رابعةٍ مختطفةٍ، أكَّدت السُّلطات الأميركيَّة أنَّ الخاطفين كانوا يعتزمون توجيه الطَّائرة نحو البيت الأبيض. ولكنَّ الطَّائرة تحطَّمت في منطقة بيتسبيرغ بولاية بنسلفانيا على بعد ٤٠٠ كلم من الهدف الذي كانت تقصده في واشنطن كما تقول الرواية الأمريكيَّة، والمسافة ليست بعيدةً على أي حال، إنَّها نحو ثلث ساعة. وفي غمرة الحدث

أعلنت محطَّة (إي بي سي) التلفزيونيَّة الأميركيَّة أنَّ سيارةً مفخَّخةً انفجرت أمام مقرِّ وزارة الخارجيَّة الأميركيَّة في واشنطن، وشوهد بالفعل دخانٌ يتصاعد من جوار المبنى.

منذ بدء ظهور الحدث بوصفه هجمةً على المصالح الأمريكيَّة لم يتوقَّع أحدٌ من المتابعين والمحللين، إلا ما ندر، إلاَّ أنَّ حرباً عالميَّةً ثالثةً قَدْ بدأت، وأنَّ دولةً ما أو أمَّة شنَّت الحرب على الولايات المتحدة الأمريكيَّة. وأكَّدوا أنَّ دقَّة التَّخطيط والتَّنفيذ الذي اتَّسمت به هٰذه العمليَّات أمرٌ فوق طاقة المنظمات أو التنظيمات العادية المعروفة في العالم.

ولكنَّ الولايات المتحدة خالفت كلَّ التَّحليلات المنطقيَّة وأعلنت بعد ساعاتٍ أقلٍّ من قليلةٍ أنَّ **أسامة بن لادن** الذي يحيا في كهوف أفغانستان رُبَّما حياة البداوة، المعزول عن العالم، هو الذي يقف وراء التَّفجيرات، وأنَّ المؤشِّرات كلها تقول إنَّهُ هو الذي قام بهٰذا العمل. ولا غرابة في هٰذا الإسراع بالاتهام كما أشرنا سابقاً لأنَّ الولايات المتحدة هي الَّتي كانت تخطِّط منذ زمنٍ لهٰذا الاتهام وتمهِّد له.

على الرَّغْمِ من احتجاج كثيرين على سرعة الاتهام من باب أنَّ أصغر الجرائم تحتاج إلَى أيامٍ غيرِ قليلةٍ لإثباتها، ومن باب ظهور أنَّ هناك توجَّهاً أمريكيًّا مسبَّقاً لاتهام **أسامة بن لادن**... فإنَّنا لن نعترض على ذٰلكَ، وحسبنا أن نشير هنا إلَى أنَّ الولايات المتحدة بسرعة الاتهام هٰذه وإصرارها على تغييب كلِّ الاحتمالات الأُخْرى إنَّما كانت تريد قطع دابر التَّحليلات والمناقشات الَّتي يمكن أن تكشف الحقيقة أو تعرقل المخطَّط الأمريكي. ولا ننكر هنا، كما أشرنا سابقاً، أنَّ من عادة الولايات المتحدة في مثل هٰذه الحالات تسارع إلى تلبيس التهمة إلى هدف محدد

يناسب مصلحتها الظرفيَّة، وربَّما تترك هامشاً للمناورة وتغيير المتهم، ثمَّ تبحث بهدوء فيما بعد في تفاصيل الحدث والفاعل. ولٰكنَّهَا في هٰذا الحدث قطعت دابر أي نقاش، وحسمت الاتهام نهائيًّا.

فإذا تركنا اتِّهَامَ **أسامة بن لادن**، وسرعة الاتهام الغريبة المريبة الَّتي أدهشت المحللين وأثارت حفيظتهم، لا سِيَّما وأنَّ ذَلكَ أمرٌ ليس يعنينا هنا كثيراً من جهة، وقد تمت مناقشته في غير هٰذا المكان من الكتاب. أمكننا الانتقال إِلَى الأدلة الحاسمة الَّتي تكشف حقيقة قيام الولايات المتحدة ذاتها بهٰذه العمليَّات، وتفضح الخداع القائم في الرِّواية الأمريكيَّة الَّتي شرَّحت الأحداث وفسَّرتها.

وسيكون هٰذا الفصل مخصصاً لطائرتي برج مركز التجارة العالمي. طائرتا برجي مركز التِّجارة هما الطَّائرتان الوحيدتان اللتان شاهدهما العالم تصيبان الهدف، حَتَّى يمكن القول سلفاً بأَنَّهُما الوحيدتان اللتان قامتا بالعمليات، أمَّا الطَّائرتان الباقيتان، بل الطائرات الباقية، فلم يشاهدهما أحدٌ، وكلُّ ما نعرفه عنها أخبار نقلتها لنا الولايات المتحدة الأمريكيَّة.

سنبدأ بافتراض أنَّ عدوًّا ما، أيًّا كان غير الاستخبارات الأمريكيَّة أو حَتَّى الاستخبارات الأمريكيَّة، هو الذي يقف وراء التَّفجيرات. وسنبدأ بالسُّؤال الذي لم يطرحه أحد، وهو: لماذا أراد منفذو العمليَّة أن يدمِّروا البرجين، بل أن يقتحموا البرجين الذين هما بناءٌ واحدٌ، أو بنائين متلاصقين، بطائرتين؟!! ألم يكن يكفي إقحام طائرةٍ واحدةٍ بأحد البرجين لتحقيق المراد؟!

هنا يكمن مدخلٌ جديدٌ لفهم الحدث. ودليلٌ على ضلوع الاستخبارات الأمريكيَّة بالتَّفجيرات.

حَتَّى نجيب عن هٰذه الأسئلة لا بدَّ من تقمُّص شخصيَّات المخطِّطين للعمليَّة، سيَّان افترضنا أنَّ عدوًّا افتراضيًّا أيًّا كان هو الذي قام بالعمليَّة، أم افترضنا أنَّ الاستخبارات الأمريكيَّة هي الَّتي قامت بالعمليَّة.

سنبدأ بالافتراض الأوَّل الذي هو أن يكون عدوٌّ افتراضيٌ هو الذي قام بالعمليَّة.

إنَّ من يخطِّط لهٰذه العمليَّة يمكن أن يقوم بها على نحوٍ ما قامت عليه تماماً باستثناء أمرٍ واحدٍ هو أن يرسل طائرتين إِلَى برجين يبتعدان عن بعضهما أمتاراً، وهما في الأصل بناءٌ واحدٌ. وَثَمَّة أكثر من سبب يجعل هٰذا العدو الافتراضي يكتفي ببرجٍ واحدٍ، بل لا يفكِّر أبداً في اقتحام البرجين.

أوَّل هذه الأسباب أنَّ اقتحام برجٍ واحدٍ منهما يفي بالغرض تماماً ويوصل الرِّسالة كاملةً، ومن ثَمَّ لا يوجد أيُّ داعٍ لإرسال طائرة أُخْرَى إِلَى البرج الثاني. يمكن استثمار هٰذه الطائرة في هدفٍ آخر.

ثاني هذه الأسباب أنَّ التركيز على برجي بناءٍ واحدٍ، مع وجود عشرات الأبراج والرُّموز الأمريكيَّة، يوحي بأنَّ العداوة والثأر مخصوصةٌ بمبنى التِّجارة العالمي بذاته ولذاته، فيما الثَّأر والعداوة في الأصل هي مع الولايات المتحدة، بدليل الطَّائرات الأخرى كما يقول الخبر. ولذلك كان من المفترض أن تتجه الطَّائرة الثانية إِلَى برجٍ آخر، أو رمز آخر مثل تمثال الحريَّة، أو غيره. وأظنُّ أَنَّهُ من المتعذَّر على من يفكِّر في مثل هٰذه العمليَّة مع قدرته على تنفيذها أن يفكر في إرسال طائرتين إِلَى برجي بناءٍ واحدٍ، لأنَّهُ، كما بدا، قادرٌ على توجيهها إِلَى أيِّ مكانٍ آخر يجعل الجرح أكثر إيلاماً، فيما إرسال طائرتين إِلَى بناءٍ واحدٍ لا يعني بالنِّسبة للعدو المفترض والولايات المتحدة ذاتها إلا أَنَّهُ ضربُ هدفٍ واحدٍ.

ثالث هذه الأسباب أنَّ التَّفكير في إرسال طائرة أُخْرَى إِلَى البرج الثَّاني يعني أنَّ المحاولة الثانية محاولةٌ معرَّضةٌ لخطر الإخفاق على الأقلِّ. لأنَّه من المفترض أنَّ سلاح الجوِّ الأمريكي سيكون قَدْ استنفر على الفور، ولن يسمح أبداً بوصول الطَّائرة الثَّانية إِلَى البرج الثَّاني، خاصَّةً، فيما يُفترض وجوب كونه، أنَّ الطائرة الأولى قَدْ أرسلت تحذيراً إِلَى برج المراقبة واتضح أنَّ الأمر أمر اعتداء لا خطأ ولا مصادفة. وبالفعل فقد قال مكتب التَّحقيقات الأميركيَّة (FBI) أكثر من مرَّة «إنَّ الطائرتين اختطفتا لدى إقلاعهما من مطار بوسطن. وقال مسؤولون في مكتب التَّحقيقات الفيدرالي إنَّ أربع طائراتٍ كانت قد اختطفت قبل وقوع الانفجارات»[٢٤]. وبذَلكَ لا يجوز الاعتراض أبداً بأنَّهُ من المحتمل ألا يستنفر سلاح الطيران الأمريكي على افتراض احتمال أنَّ الحادث الأوَّل مصادفةٌ لا هجمةٌ. فلماذا إذن لم يستنفر سلاح الجو الأمريكي ولديه كلُّ هٰذا الوقت، وأقله العشرين دقيقة التي تفصل بَيْنَ طائرتي البرج؟

يبدو إذن أنَّ ثَمَّةَ سبباً ما لاستهداف برجي مبنى مركز التِّجارة العالميِّ معاً بطائرتين. كان من الممكن بسهولةٍ أن تستثمر الثَّانية لضرب هدفٍ آخر يوسع عمق الجرح الأمريكيِّ ومداه.

إذا بقينا في خندق العدو المفترض فرُبَّما لن نستطيع فهم السَّبب لأنَّهُ لا يوجد سببٌ واحدٌ يمكن أن يقنعنا بالتَّركيز على برجي بناءٍ واحدٍ كان من الممكن والأجدى الاكتفاء بواحدٍ واستغلال الطَّائرة الأُخْرى لهدفٍ آخر. ولٰكن إذا انتقلنا إِلَى الموقع الآخر، أي موقع الاستخبارات الأمريكيَّة لما وجدنا أدنى صعوبةٍ في فهم السَّبب.

---

٢٤ . خبر تناقلته كلُّ وكالات الأنباء تقريباً.

لنتخيَّل أنَّ طائرةً اقتحمت برجاً واحداً وحسب، وأُخْرَى هوت فوق البنتاجون، وثالثة فوق بنسلفانيا وحسب، كما جاء في تسلسل الحدث حسبما وردنا من أمريكا. ما الذي يمكن فهمه من ذَلكَ؟ لن يوجد أبداً ما يمنع احتمال أن تكون الحوادث الثَّلاثة عارضةً، مصادفةً، مستقلَّة عن بعضها بعضاً، حَتَّى ولو كانت هناك طائرة رابعة ارتطمت ببناءٍ ما، أو مكانٍ ما فلن يوجد مانعٌ يحول دون ترجيح احتمال المصادفة أو العرضيَّة والاستقلاليَّة فكلُّ يوم يحدث مثل ذَلكَ ولا يوجد ما يحول دون حدوث مصادفةِ تحطُّمِ أربع طائرات في بضع ساعات متتالية في دولةٍ واحدةٍ.

هٰذا يعني بالنِّسبة للمخابرات الأمريكيَّة، أو من ينوب منابها في أمريكا، أنَّ ثَمَّةَ احتمالٌ كبيرٌ لترجيح العَرَضِيَّة في الحدث أو المصادفة، والحيلولة من ثَمَّ دون تنفيذ المخطَّط الأمريكيِّ المرسوم من أجل فرض هيمنتها الأخطبوطيَّة على العالم وغير ذَلكَ مما فُصِّل في غير هٰذا المكان. ولذَلك كان من الضَّروري تماماً للاستخبارات الأمريكيَّة أن يبدو الحادث على أَنَّهُ اعتداءٌ على الولايات المتحدة بما لا يقبل الشَّكَّ أو الطَّعن. وليس هٰذا الأمر ضروريًّا لأيِّ عدوٍّ افتراضيٍّ أيًّا كان، لأنَّ الضَّروري للعدو الافتراضي هو هزُّ الولايات المتحدة وإلحاق الخسائر بها وليس الاستعراض.

وحَتَّى يبدو الأمر على أَنَّهُ عدوانٌ صريحٌ على الولايات المتحدة كان الضَّروريِّ أن توجَّه طائرتان إِلَى برجي بناءٍ واحدٍ يبتعدان عن بعضهما بعضاً أمتاراً قليلةً. لأنَّهُ في هٰذه الحالة، ورُبَّما فيها فَقَطْ، لن يكون هناك أيُّ احتمالٍ لأن يكون الأمرُ مصادفةً أو عرضاً... كلُّ من يتابع الحدث سيكون أمام احتمالٍ واحدٍ هو أنَّ الولايات المتحدة تتعرَّض لهجمةٍ أو اعتداءٍ.

وعلى هٰذا الأساس فإنَّ ترجيح احتمال ضلوع الاستخبارات الأمريكيَّة، بأيِّ صورة من صور الضلوع، بهٰذه العمليات هو المنطق وما عداه خارج حدود المنطق.

إذا ظللنا في إطار افتراض أنَّ عدوًّا ما قَدْ نفَّذ عمليَّة اقتحام برجي مركز التِّجارة فإنَّنا سندخل أيضاً في متيهٍ من التَّساؤلات والاحتمالات المتناقضة الَّتي لا يقبل المنطق إلا أن يطرحها بقوَّة.

نعود هنا إِلَى نقطة انطلاقٍ جديدةٍ وهي؛ إمَّا أن يكون هٰذا العدو هو عناصر القاعدة الذين أُعلِنت أسماؤهم، أو يكون هٰذا العدو غيرهم!!

إذا كان عناصر تنظيم القاعدة المسميون، أو حَتَّى غير المسميين، هم الذين نفَّذوا العمليَّة فإنَّهُ من المفترض فيهم أن يكونوا على خبرةٍ طويلةٍ وكفاءةٍ عاليةٍ في قيادة الطَّائرات، أو على الأقل أن يكون خبيرٌ واحدٌ لكلِّ طائرة. والحقيقة، استناداً إِلَى الإعلام الأمريكي، خلاف ذَلكَ تماماً، فالأربعة المزعومون قادة للطائرات الأربع قَدْ اتبعوا دوراتٍ تدريبيَّةً لمدةٍ تتراوح للواحد ما بَيْنَ ثلاثة أشهر وستة. أما الآخرون فقد تعلموا الطيران، كما قالت وسائل الإعلام الأمريكيَّة، من كتاب: كيف تتعلَّم الطَّيران في خمسة أيام، أو كيف تتعلم الطَّيران وحدك!!!

تعالوا نناقش ذلك.

أجمع الخبراء والاختصاصيون، بمن فيهم الأمريكيون، على أنَّ اقتحام البرجين قَدْ تمَّ بحرفيَّةٍ عاليةٍ جدًّا لا يستطيع القيام بها إلا طيارون على أقصى الخبرة والْحِرَفيَّة والمهارة. وأجمعوا من ثَمَّ على أَنَّهُ من المتعذَّر على طيارٍ عاديٍّ، وضمناً المبتدئ بالضَّرورة، أن يقوم بمثل الاقتحام.

السُّؤال الذي انبثق هنا هو: هل يمكن لواحدٍ اتبع دورة تدريبيَّة لثلاثة أشهر أو ستة أن يقوم بهٰذه العمليَّة؟!!

نعلم أنَّ المدة الَّتي يقضيها المرء لتعلم الطيران هي سنتان. وعلى الرَّغْمِ من ذَلكَ لا تقبل أيُّ شركة طيران أن تُشَغِّل مجازاً في الطيران ما لم يكن قَدْ حقَّق نصاباً معيَّناً من ساعات الطيَّران بعد الإجازة لا تقل عادةً عن مئتي ساعة طيران. فكيف يمكن القبول بهٰذه المفارقة؟

لم يثبت أنَّ أحداً منهم قَدْ حقَّق ساعة طيران واحدةٍ، وقد تناقلت وسائل الإعلام خبراً وليس نكتة ولا تعليقاً، ولكِنَّهُ يُضْحِكُ أكثر من نكتةٍ صارخةٍ، يقول إنَّ هؤلاء المتدربون كانوا يسألون فَقَطْ عن طريقة الإقلاع ولم يكونوا مكترثين بكيفيَّة الهبوط، وأنَّ هٰذا لفت أنظار مدربيهم، ودعاهم إِلَى الشَّك!!!

أليس في هٰذا الخبر ما يدعو إلى الشَّفقة؟!

أليس هٰذا مضحكاً؟؟!!

ومن كانت هٰذه كلُّ خبرته في الطيران هل يمكن أن يكون منفِّذاً لعمليَّةٍ تحتاج إِلَى خبرةٍ كبيرةٍ ومهارةٍ عاليةٍ؟؟!!

ناهيك عن أنَّ دورات التَّدريب الَّتي اتبعها الأربعة، كما جاء في شريط اعتراف تنظيم القاعدة والإعلام الأمريكي، كانت قبل العمليَّة بثلاث سنوات، وفي هٰذا أيضاً حجَّةٌ على تهافت الاتهام والاعتراف، لأنَّنا نعلم أيضاً أَنَّهُ إذا انقطع الطَّيار بضعة أشهر أو لنقل سنةً عن الطيران تبطل شهادته وتصبح ملغاة لا تعترف بها المنظمة العالمية للطيران، ولا تسمح له بقيادة طائرة، مهما بلغت درجة احترافه وخبرته، ويجب عليه أن يدرس الطَّيران من جديدٍ!!! وقد أقرَّت جريدة نيويورك تايمز أنَّ هٰذه التَّدريبات كانت قبل سنوات بعنوان عريضٍ لها كان: **«مكتب التَّحقيقات الفدرالي كان على علمٍ بتدريب طيارين إرهابيين منذ عدَّة**

سنوات»[٢٥]. أليس في هٰذا مدعاةٌ للشَّك، بل لرفض اتهام هؤلاء الأغرار رفضاً قاطعاً؟!

خبراء الطَّيران لم يقتنعوا أبداً باتِّهام هؤلاء الهواة. وبعضهم مازال شعر رأسه واقفاً من عَجَبِهِ. أمَّا الاستخبارات الأمريكيَّة فهي مقتنعةٌ تمام الاقتناع بكفاية تلك الدَّورات الَّتي مضى عليها سنواتٌ لقيام هؤلاء الأربعة بقيادة الطَّائرات هٰذه القيادة الماهرة. والأعجب من ذَلكَ، وأكثر طرافةً أنَّها وصل بها الاستخفاف بعقول العالم كلِّه إِلَى حدِّ القول بأنَّ من أدلَّة الاتهام أنَّها وجدت في بيوت بعضهم، ومن الأشياء الَّتي نسوها في المطارات كتب: تعلم الطيران في خمسة أيَّام باللغة العربيَّة، أو تعلم الطَّيران لوحدك باللغة العربيَّة.

تصوروا الموقف إذن الآن!!

ألا يشبه هٰذا أساطير الأولين؟

أليس غريباً أكثر من الخرافات الَّتي يأنف الأطفال من تصديقها؟!

تيري ميسان علَّق على ذَلكَ بقوله: إنَّهُ أمرٌ مضحكٌ، نحن لم نسمع عن كتب تعلم الطيران باللغة العربيَّة، فالكتب من هٰذا النوع موجودة باللغة الإنجليزيَّة أو الفرنسيَّة!! بل ما حاجتهم إِلَى كتب تعلم الطيران باللغة العربيَّة وهم موجودون في أمريكا ويتقنون اللغة الإنجليزيَّة[٢٦]؟؟!

لا شكَّ في أنَّها التفاتةٌ نبيهةٌ من **ميسان**. أيعقل أن يكون إقبال العرب في أمريكا على تعلم الطيران إِلَى درجة تجعل النَّاشرين الأمريكيين ينشرون كتب تَعَلُّم

---

٢٥ . خبر تناقلته وكالات الأنباء ووسائل الإعلام المختلفة يوم **السبت ١٤٢٣/٣/٦هـ الموافق ٢٠٠٢/٥/١٨م. انظر الجزيرة نت.**

٢٦ . ذكر ذَلكَ لقاء أجراه معه فيصل القاسم على قناة الجزيرة، في **لقاء خاص** يوم الأربعاء ٢٠٠٢/٠٦/١٢م.

الطَّيران باللغة العربيَّة في الولايات المتحدة الأمريكيَّة، أو حَتَّى في غيرها من دول العالم؟؟!!

إذن حَتَّى لو قبلنا باتهام هؤلاء التِّسعة عشر فإنَّنا سنجدُ أنفسنا أمام مفارقاتٍ وألغازٍ لا يمكن حلها، أو القبول بها في ظلِّ اتهامهم. وإنَّما يجب أن نبحث عن متهمٍ آخر غيرهم، أو شريكٍ يكون صاحب اليد الطُّولى في العمليَّة. والشَّريك الذي يبرز هنا هو التَّحكُّم الآلي بالطَّائرات، وهي فكرةٌ تستحقُّ المناقشة، وسنعود إليها[٢٧].

لنترك ذَلكَ جانباً الآن ولننظر إِلَى البرجين بعد ارتطام الطائرتين بهما.

عندما شاهد **أسامة بن لادن** العمليَّة قال: «توقعت أن تنهار الطَّوابق الثلاثة أو الأربعة العليا فَقَطْ»[٢٨]. ولم يتوقَّع أن ينهار المبنى كلَّهُ. وكذَلكَ توقَّع المليارات من البشر الذين تابعوا الحدث. ولكنَّ توقُّع **أسامة بن لادن** وحده هو الذي كان دليل إدانته واتهامه بالتَّخطيط للعمليَّة على الرَّغْمِ من أَنَّهُ لم يختلف عن المليارات في توقُّع الأمر ذاته.

والسُّؤال الذي يطرح ذاته الآن: لماذا انهار البرجان وباءت توقُّعات المليارات بالإخفاق؟!

كان احتمالاً ضعيفاً جدًّا أن ينهار أحد البرجين، واحتمالاً مستبعداً جدًّا جدًّا أن ينهار البرجان. ولكنَّ الذي حدث هو أنَّ البرجين انهارا كليهما. ويبدو ذَلكَ من النَّاحية النَّظرية امتداداً لسلسلة المفارقات والخروج عن المنطق الَّتي رافقت

٢٧ . سنناقش فكرة التحكم الآلي في فصل الصناديق السواد من هذا الباب.

٢٨ .كان ذَلكَ في الشرط الأول لأسامة ابن لادن الذي صور تصويراً شخصيًّا في جلسة إثر التفجيرات، واعتمدته الاستخبارات الأمريكية دليلاً على إدانته.

العمليَّة بكلِّ معطياتها؛ فإذا كان واحدٌ تَعَلَّمَ الطيران من كتابٍ قادَ طائرةً كأفضل مما يستطيعه طيارٌ خبيرٌ قديرٌ، أفلا يمكن أن ينهار البرجان مع عدم توقُّع أحدٍ من الخبراء ذَلكَ؟!

الحقيقة خلافُ ذَلكَ تماماً، فقد أكَّدت شهادات الشُّهود، أنَّ البرجين انهارا بفعل تفجيرات وقعت في أساسات البرجين، وهٰذا ما أكَّدته تقديرات الخبراء ودراساتهم. ولا أظنُّ إلا أنَّ دراسات كثيرة سيخرج بها الباحثون والخبراء وشهود العيان عن هٰذه الموضوع. والمتتبع لانهيار البرجين يجد ما يثير الانتباه في الانهيار، فإنه إذا سلَّمنا جدلاً بأن البرج الثاني، أي برج الطائرة الثانية، محتمل الانهيار، فإن المراقب لا يمكن أبداً أن يتوقَّع انهيار برج الطائرة الأولى... ولا حَتَّى أيُّ مختصٍّ أو خبيرٍ.

السُّؤال الذي يفرض ذاته هنا بقوَّة هو: من الذي قام بوضع المتفجِّرات في أساسات برجي مركز التِّجارة العالمي؟ ولماذ؟

هنا ينهض افتراضنا الذي بادرنا به قبل ظهور هٰذه الحقائق، وهو أنَّ الولايات المتحدة، لسببٍ أو لآخر، أرادت أن تهدم البرجين، كأَنَّ تكون قَدْ اكتشفت أنَّ ثَمَّةَ خللاً فيهما يعرضهما للانهيار، أو الزَّعزعة، أو غير ذَلكَ... ولم تُرِدْ أن تترك فرصة هدمهما تضيع من دون استثمار، فكانت العمليَّة. وعلى هٰذا الأساس كانت قَدْ جهَّزت كلَّ شيءٍ ليظهر أو ليفعل فعله في وقته المناسب!! وعلى ذَلكَ فمن المستبعد تماماً أن يكون تنظيم القاعدة هو الذي وضع هٰذه المتفجرات في أساسات المبنيين أيضاً.

والذي يعزِّز هٰذا الافتراض وافتراض ضلوع الولايات المتحدة بالحدث هو انهيار مبنى قريب من البرجين، وهو قاعدة سريَّة للـ CIA. فإذا كان برجا المركز قَدْ

انهارا بافتراض ارتطام الطائرتين به، مع بطلانه، فلماذا انهار مبنى الاستخبارات الذي لم يتعرَّض لشظيَّةٍ واحدةٍ من شظايا انهيار البرجين، ولم يوجد سببٌ واحدٌ لانهياره؟

في معمعة الحدث لم ينتبه أحدٌ إِلَى ذَلكَ، ولٰكنَّ بعضهم لم يفته الأمر، ومن أبرزهم **تيري ميسان** الذي كانت له رؤيته للحدث[٢٩].

ألا يستدعي ذَلكَ وقفاتٍ من التَّأمل والتَّفكير؟

بعض النوَّاب مثل **ريتشارد غيبهارت**، وبعض أعضاء مجلس الشيوخ مثل **توم داشل** ما فتئوا يردِّدون: «إنَّ القضيَّة تثيرُ بعض التساؤلات المهمَّة، ويجب أن تجدَ أجوبةً»[٣٠].

خاتمتان

هٰذا ليس كل ما يمكن أو حَتَّى يجب أن يقال في تحليل الحدث وتأكيد ضلوع الاستخبارات الأمريكيَّة فيه، بل رُبَّما تفرده فيه. على الأقل فيما يتصل بطائرتي مركز التجارة العالمي. ومع ذَلكَ ثَمَّة نقطتان أيضاً لا بُدَّ من الوقوف عندهما والتفكير فيهما.

الخاتمة الأولى:

لننظر فيما حدث قبل الحدث بنحو شهرين على الأقل فيما يتصل برجي مركز التجارة العالمي. فقبل خمسين يوماً من التفجيرات قامت شركة ويستفيلد أمريكا، بتحرير عقد إيجار إلى **لاري سيلفرشتاين وويستفيلد فرانك لوي** لإدارة

٢٩ . يرى ميسان أنَّ بيل كلينتون حول أهداف الاستخبارات الأميركية من أهداف عسكرية استراتيجية إلى أهداف التجسس الاقتصادي، ولذلك كان من أهداف العمليَّة إزاحة أولئك الذين أعادوا توجيه مهام الاستخبارات وأضروا بالمجمع الاقتصادي العسكري الأميركي، إنها عداوة أميركية داخلية.

٣٠ .كان هذا التعليق في مناقشات المجلسين لإعلان البيت الأبيض عن التحذيرات الَّتي تلقاها قبل التفجيرات.

الأبراج. مدَّة العقد كانت ٩٩ سنة، ثُمَّ قامت سلطة ميناء نيويورك ونيوجيرسي بتسليم سيطرة مركز التجارة العالمي في يوليو/تموز ٢٤، ٢٠٠١م، **لسيلفرشتاين و لوي**؛ وكلاهما يهودي إسرائيلي.

وبموجب هٰذا العقد تَمَّ السماح **لسيلفيرشتاين ولوي** بالسَّيطرة علي ١٠,٦ مليون قدم مربَّع، والذي تضمَّن أبنية مكاتب الأبراج التوأمية وعمارتي المكاتب ذات الطَّوابق التِّسعة. وبعد ذَلكَ قام **سيلفيرشتاين ولوي** بالسيطرة على كلِّ مداخل مركز التجارة العالمي. وقبل التفجيرات بستة أسابيع قامت السلطة المختصة بإنهاء عملية تأجير مركز التجارة العالمي رقم ٧ الذي انهار في ظروفٍ غامضةٍ بعد انهيار البرجين. ربح **سيلفيرشتاين** من شركة التَّأمين مبلغ ٧,٢ مليار دولار مقابل ١٠٠ مليون دولار (هي التي دفعها لإدارة البرج).

الخاتمة الثانية:

اعتراف الرئيس الأمريكي **جورج بوش الابن**. أقول اعترف الرئيس الأمريكي لأنه اعتراف صريح غير مباشر بأن مخابراته هي التي نفذَّت الحدث. ففي أول لقاء معه عن الحدث سئل عن شعوره حين علم بالعدوان الارهابي الكبير. فقال ببراءة الأطفال: إنَّهُ كان في فلوريدا يزور إحدى المدارس، وكان جالساً خارج الصف، ينتظر موعد لقائه مع التَّلاميذ (*وما أجمل أن ينتظر رئيس الولايات المتحدة الأمريكية في باحة المدرسة حَتَّى يحين موعد دخوله إلى الصف للقاء تلاميذ الصف الرابع الابتدائي*). وفي أثناء هٰذا الانتظار كان يشاهد شاشة تلفاز قريبة مشهداً لطائرة تصطدم بالبرج الأوَّل، فقال: فقلت في نفسي: «إن هٰذا الطَّيار يبدو رهيباً وحاذقاً ويجيد قيادة الطائرات بمهارة»!

أن ينتهي الحدث الرئاسي هنا، من دون أي إضافات أو روتوش ففيه دليلان على أنَّهُ المخابرات الأمريكية هي الفاعل. ولٰكن لاحظوا تتمة الحدث الرئاسي. فبعد ذٰلكَ طُلب من **بوش الابن** أن يدخل إلى الفصل للقاء التلاميذ. وهٰذه مصيبة ثالثة هنا. تابعوا الحدث الرئاسي: يقول **جورج بوش الابن**: «بعد ذٰلكَ وفي أثناء محادثتي للتلاميذ دخل علينا أميني العام **آندي كارد** ليخبرنا بأنَّ طائرةً أخرى اصطدمت بالبرج وأنَّ أمريكا تتعرض للهجوم»...

لاحظوا معي من النهاية: مع الطائرة الثانية صار الهجوم على الولايات المتحدة. أما الطائرة الأولى فكانت طائرة استعراض، ولذٰلك علق على الطيار بما علق. وليس هٰذا فحسب. طائرة تصدم ببرج التجارة العالمي، والعالم كله استنفر منذ اللحظة الأولى، ومع ذٰلكَ وبكل برود يُطلب من الرئيس أن يدخل ليتابع تمثيليته في لقاء الطلاب.

حسناً لنعد إلى انطباعه عن الطيار. لقد شاهد الطيار الذي اقتحم البرج الأول ببراعة وقال فيه قولته الشَّهيرة. كيف شاهد ذٰلكَ ولم يكن الحدث مبثوثاً على الهواء، وتم الانتقال إلى البرج بعد دقائق، أي بعد أن تعذَّر تصوير اقتحام الطائرة للبرج. ولا توجد إعادة على البطيء، ولسنا في عالم توم وجيري حَتَّى نسترجع الحدث من أجل تصويره. إذن كيف شاهد اقتحام الطائرة الأولى للبرج الأول مباشرة، في حين أنَّ أوَّل صورةٍ بثت لذٰلك كانت في اليوم الثاني، والعرض الأول كان بعد اثني عشر ساعة على الأقل على وكالة أنباء وليس محطات التلفزة. وهي الصور التي صورها الأخوان **جول وجيديون نودي** مصادفةً؟

للإجابة على هٰذا السؤال نحن أمام احتمالين:

أولهما أنَّهُ يكذب ولم ير شيئاً، ولٰكنَّهُ يعرف ماذا سيحدث، وتحدَّث على أساس ما سيكون مفترضاً أنَّهُ تمَّ نقل الحدث، ولم يتوقع أنَّ الصَّورة ليست مبثوثةً.

ثانيهما أنَّهُ فعلاً شاهد تصويراً حقيقيًّا منقولاً إليه سريًّا وحصريًّا، ورُبَّما عرض على شاشة تلفزيون المدرسة لتكتمل التَّمثيليَّة. والرجل كان منسوباً إلى البلاهة[٣١]، فظن أن ما رآه هو رآه الجميع.

٣١ ـ من الضروري هنا تذكر أنَّهُ عندما نجح جورج بوش الابن في الانتخابات الرئاسية الأمريكية علق الرئيس الكوبي فيديل كاسترو قائلاً: «أشد ما أخشى أن تكون معالم البلاهة البادية على وجهه حقيقيَّةً».

الفصل الثاني

التحذيرات التي سبقت العملية

قصة التَّحذيرات وحدها أيضاً حكاية؛ فيها من الأسطوريَّة ما فيها، وفيها من الواقع ما فيها، وفيها مما يدين الاستخبارات الأمريكيَّة مستويات مختلفة من الإدانة تصل إلى الإدانة الشَّديدة ، وفيها ما يوحي بضلوع هٰذه الاستخبارات بالعمليَّة.

نحن أمام نوعين من التَّحذيرات الَّتي تستحقُّ الوقوف عندها، أولاهما تحذيرات التَّحضير للعمليَّة، وثانيهما تحذيرات يوم العمليَّة. ولن نتحدث عن السلوكات المريبة التي سبقت العملية بشهرين على الأقل، من قبيل ما ختمنا به الفصل السَّابق. وقبل البدء في ذَلكَ لا بُدَّ أن نتذكَّر اننا نتحدث عما علمناه من التحذيرات أو تم التَّصريح به تسرعاً أو ارتجالاً أو رغبه في توجيه الأفهام جهةً معيَّنةً، هي غالباً بل بالضَّرورة تأكيد اتهام القاعدة **وأسامة بن لادن**.

أولاً: تحذيرات التحضير للعمليَّة:

في بداية الأمر أكَّد البيت الأبيض على لسان **جورج بوش الابن** ، وكذلك نائبه **ديك تشيني**، ووزير الخارجية **كولن باول**، ووزير الدفاع **دونالد رامسفيلد**، ومستشارة الأمن القومي **كوندوليزا رايس** ومسؤولين آخرين أَنَّهُ يستحيل على المخابرات الأميركية التنبؤ بهذه التفجيرات[٣٢]. لن نستطرد بهذه التصريحات فهي كثيرةٌ جدًّا، حسبنا منها تصريح الرئيس الأمريكي **جورج بوش الابن** في اليوم السادس من العملية الذي قال فيه: «لا أحد كان بإمكانه أن يتخيَّل أنَّ

٣٢ . أخبار وتصريحات تناقلتها وسائل الإعلام في الأيام الأولى من الحدث، واستمر تكراره حَتَّى نحو السنة على ألسنة كثير من المسؤولين.

الانتحاريين سيفتِّشون في مجتمعنا ثُمَّ يُلقون بطائراتنا في بناياتٍ مليئةٍ بالناس الأبرياء ولا يشعرون بالنَّدم. لم أكن أتخيل أبداً أنه يمكن مهاجمتنا بهٰذه الطَّريقة». وبعد شهرٍ واثني عشر يوماً، أي في ١٠/٢٣ قال الجنرال **ريتشارد مايرز** رئيس القوات الجوية: «نكره الاعتراف بذٰلكَ، ولكن ما فكرنا بهذا أبداً».

ولكنَّ هٰذا التَّأكيد من مختلف المسؤولين أُفْسِدَ بعد نحو شهرين من العمليَّة عندما أفادت تقارير صحفيَّةٌ أنَّ عميلاً مغربيًّا سريًّا اسمه **حسن دابو** (٣٥عاماً) «تمكَّن من اختراق تنظيم القاعدة، أبلغ المغرب والولايات المتحدة قبل أسابيع بإعداد القاعدة لهجماتٍ واسعة النطاق في نيويورك في صيف أو خريف عام ٢٠٠١م»[٣٣].

لم تعلِّق الولايات المتحدة على الخبر حَتَّى مضي نحو نصف السَّنة عندما «اعترف البيت الأبيض أَنَّهُ في الأشهر الَّتي سَبَقَتْ هجمات ١١ أيلول/ سبتمبر تلقَّى الرئيس **جورج بوش الابن** معلوماتٍ من الاستخبارات تفيد أنَّ **أسامة بن لادن** قَدْ يُدَبِّرُ عمليَّات خطف طائراتٍ أمريكيَّة[٣٤]، مما جعل الإدارة الأمريكيَّة تضع أجهزة الأمن وسلطات تنفيذ القانون في حالة تأهب الصَّيف الماضي»[٣٥]. وفي الوقت ذاته ذكرت «محطة تلفزيونيَّة أميركيَّة أَنَّهُ في الأيام العشرة الأولى من أغسطس/آب من عام ٢٠٠١م تلقى الرَّئيس وكبار مستشاريه معلوماتٍ

---

٣٣ . خبر تناقلته مختلف وسائل الإعلام يوم **الجمعة ١٤٢٢/٩/٨هـ الموافق ٢٠٠١/١١/٢٣م، نقلاً عن وكالة الصحافة الفرنسية.**

٣٤ . لاحظوا هنا الإيحاء في الخبر (خطف طائرات)، ومع أنهم لديهم خبر قبل أشهر من الحدث فإنهم لم يحتاطوا، ولنرجع إلى تحليلنا للطائرة الثانية.. هٰذا على افتراض أن ابن لادن هو من نفذ العملية.

٣٥ . خبر تناقلته وكالات الأنباء **الخميس ١٤٢٣/٣/٤هـ الموافق ٢٠٠٢/٥/١٦م. انظر الجزيرة نت.**

استخباراتيَّةً بأنَّ «إرهابيين على علاقة مع **بن لادن** يدرسون إمكانية خطف طائرات»[٣٦].

وقد علَّق **آري فليشر** على هٰذا الخبر بقوله: «إنَّ المعلومات التي حصل عليها الرئيس **بوش الابن** تتناول عمليات خطف بالمعنى التَّقليدي ولم تشر إلَى عمليَّات تفجير، ولا إلَى استخدام الطائرات بوصفها صواريخ. وأوضح أنَّ الإدارة أبلغت هٰذه المعلومات إلى الوكالات المختصة»[٣٧]. وبمثل هٰذا التعليق أقرَّت **كوندوليزا رايس** بأنَّ **جورج بوش الابن** تلقى تقريرا تحليليًّا في السَّادس من أغسطس/ آب يشير إلى إمكانيَّة أن يحاول أنصار **أسامة بن لادن** خطف طائرات أمريكيَّة، لٰكنَّ التَّفاصيل كانت غيرُ كافيةٍ لإصدار تحذيرٍ عامٍ. وأشارت إلى أن بيانات الاستخبارات لم تقل إنَّ طائراتٍ سوف تستخدم في عمليَّات هجوميَّةٍ انتحاريةٍ[٣٨].

وفي الخبر ذاته، الذي أورده موقع الجزيرة نت، إقرارٌ من المتحدثة **كلير بوشان** «بأنَّ الرَّئيس **بوش الابن** ومستشاريه تلقوا معلوماتٍ بهٰذا الشَّأن. لكنَّهَا نفت أن يكون أيٌّ من التَّقارير حذر من احتمال تنفيذ هجمات على مركز التجارة العالمي في نيويورك ومقر البنتاجون في واشنطن. وأوضحت أنَّهُ لم يكن هناك أيضا أيُّ تحذيرٍ واضحٍ يتعلَّق بزمان هٰذه الهجمات أو مكانها أو أساليبها»[٣٩].

---

٣٦ ـ خبر تناقلته وكالات الأنباء **الخميس ١٤٢٣/٣/٤هـ الموافق ٢٠٠٢/٥/١٦م. انظر الجزيرة نت.**

٣٧ ـ جزء من الخبر السابق ذاته. ـــ **الخميس ١٤٢٣/٣/٤هـ الموافق ٢٠٠٢/٥/١٦م.. انظر الجزيرة نت.**

٣٨ ـ خبر تناقلته وكالات الأنباء يوم **الجمعة ١٤٢٣/٣/٥هـ الموافق ٢٠٠٢/٥/١٧م.**

٣٩ ـ خبر تناقلته وكالات الأنباء يوم **الخميس ١٤٢٣/٣/٤هـ الموافق ٢٠٠٢/٥/١٦م.. انظر الجزيرة نت.**

من الصَّعب أن نلوم **كوندوليزا رايس وآري فليشر وكلير بوشان** وغيرهما من المسؤولين الأمريكيين على نفيهم أن يكون في التَّقارير ما يؤكِّد أنَّ الهجمات تقصد مركز التجارة العالمي والبنتاچون، لأنَّهُ كان من واجب تنظيم القاعدة، على افتراض هو الفاعل، أن يطلعهم على المخطَّطات بتفاصيلها، وأن يخبروهم عن ساعة الصِّفر، وربَّما أن يوجهوا لهم دعوة لانتظارهم في قاعات المطارات، أو حَتَّى اصطحباهم في التَّنفيذ!!

وفي الفترة ذاتها زعم مدير مكتب التحقيقات الفدرالي **روبرت مولر** زعماً واضح التَّلفيق ومثيراً للضحك والقهقهة، يقول فيه «إنَّ المكتب تجاهل طلباً ورد إليه في يوليو/ تموز ٢٠٠١م بالتَّحقيق في العدد غير العادي من دارسي الطيران من القادمين من الشَّرق الأوسط»[٤٠]. لاحظوا أنَّ هٰذا الإقبال وانفتاح الشَّهيَّة على تعلم الطيران كان قبل شهرين من تنفيذ العمليَّة.

يظنُّ متلقي هٰذا الخبر أنَّ الإقبال غير العادي من العرب على تعلم الطيران هو إقبال بعشرات الآلاف، لأنَّ الآلاف القليلة عدد رُبَّما يكون عاديًّا في الواقع. وإذا افترضنا أنَّ المتهمين كلهم قَدْ تعلموا الطَّيران فإنَّ الواقع يشهد أَنَّهُ لا يقلُّ عدد الدارسين العرب في أيِّ سنة دراسيَّة عن أضعاف عدد المتهمين. فما بالك إذا علمت أنَّ بعض هؤلاء القليل فَقَطْ هم الذين تعلموا الطيران في المدارس، أما البقيَّة كما قالت التقارير الأمريكيَّة ذاتها فقد تعلموا الطيران من كتب مثل: كيف تتعلم الطيران في خمسة أيام، أو رُبَّما خمس ساعات!!...

لن نقف عند التناقض الذي تنطوي عليه هٰذه التَّحذيرات من تناقضات بَيْنَ كونها جاءت قبل أيام، ثُمَّ أشهر. وتناقضها كذٰلكَ مع التَّحقيق الذي أجرته جريدة

---

٤٠ ـ خبر تناقلته وكالات الأنباء ووسائل الإعلام يوم **الجمعة ١٤٢٣/٣/٥هـ الموافق ٢٠٠٢/٥/١٧م**.

نيويورك تايمز مستندةً إلى سجلات للمحاكم واستجوابات أجريت في مدارس للطيران ومع مسؤولين في أجهزة الأمن الأمريكية، وجعلت عنوان التَّحقيق بالخط العريض: «**مكتب التحقيقات الفدرالي كان على علمٍ بتدريب طيارين إرهابيين منذ عدة سنوات**»[٤١]. ولٰكن لا بدَّ من الإشارة إلَى أنَّ الإقرار بصدقها كلِّها من دون تناقضٍ ينطوي على مشكلةٍ، والقول بصدق بعضها ينطوي على تناقضٍ، وعدم الإقرار بصدقٍ أيٍّ منها ينطوي على مشكلةٍ أيضاً. والاحتمالات الثلاث ليست في صالح الولايات المتحدة.

حسبنا أن نتساءل هنا: إذا صدقت هٰذه التَّحذيرات فأين هي من التَّحذيرات اليوميَّة الَّتي كانت تطلقها الولايات المتحدة لرعايا في العالم لدى أي تحذيرٍ سخيفٍ، وخاصَّة في المشرق، من عمليَّات ستقوم بها القاعدة؟ وإذا لم تصدق فلماذا تختلق ذٰلكَ؟

يقول أعضاء من لجان الكونجرس التي تحقِّق في التَّحذيرات التي سبقت الحادي عشر من سبتمبر/أيلول إنَّهُ توجد معلوماتٌ خطيرةٌ أكبر عن علم الحكومة الأمريكيَّة باحتمال وقوع عمليات خطف وعدم تحركها، وهي معلومات لم يتم الكشف عنها[٤٢]. ولـذٰلك لن نتساءل لماذا لم تتخذ الاحتياطات اللازمة قبل العمليَّة، فمن الصَّعب فعلاً، كما زعموا، توقع تحويل الطائرات إلَى صواريخ. ولٰكن طالما أنَّ الأمر على هٰذا النَّحو لماذا لم يكن هناك أيُّ إجراء بعد الطَّائرة الأولى الَّتي اقتحمت برج مركز التِّجارة العالمي، ولا نستطيع أن نستثني هنا أبداً تأكيدات

٤١ . خبر تناقلته وكالات الأنباء ووسائل الإعلام المختلفة يوم **السبت ١٤٢٣/٣/٦هـ الموافق ٢٠٠٢/٥/١٨م. انظر الجزيرة نت.**

٤٢ . خبر تناقلته وسائل الإعلام يوم **الجمعة ١٤٢٣/٣/٥هـ الموافق ٢٠٠٢/٥/١٧م.**

الولايات المتحدة كانت تعلم، كما قالوا أيضاً، بأنَّ لدى الاستخبارات خبر اختطاف الطائرات قبل ساعات من العمليَّة؟

أن تقتحم الطَّائرة الأولى البرج من دون قدرةٍ على فعل شيءٍ أمرٌ جدُّ مقبولٍ. ولٰكن ألا يكون هناك أيُّ تحركٍ أو إجراء قبل تمام كامل العمليَّة، حسب السيناريو الأمريكي، مع علم المطارات والاستخبارات بخطف الطائرات منذ اللحظة الأولى، بل قبل ساعات من الاختصاف وفق التأكيدات، فهو أمرٌ لا يمكن قبوله. حَتَّى الأمريكيون ذاتهم لم يقبلوا ذٰلكَ. وطالب الكثيرون بالتحقيق في الموضوع، ولٰكن باسم الأمن القومي الأمريكي مُنِعَ فتح باب أيِّ تحقيقٍ!!!

لماذا مُنِعَ فتح أيِّ بابٍ للتَّحقيق خارج الاستخبارات الأمريكيَّة؟ إنَّهُ أمرٌ يستحقُّ وحده بحثاً مستقلاً ومطولاً.

ولٰكنَّنا لا نستطيع على أيِّ حالٍ إلاَّ أن نقف مندهشين، مع الأمريكيين ذاتهم وغيرهم، من عدم وجود أيِّ تحرُّك لمنع الطَّائرة الثَّانية من الارتطام بالبرج على الرَّغْمِ من معرفة الحكومة الأمريكيَّة باختطاف الطائرة قبل الارتطام بأكثر ساعة، ورصد مسارها بالرادارات الَّتي لا يمكن قبول عدم وجودها في الولايات المتحدة، ولا يمكن قبول عدم رصدها من قبل هٰذه الرادارات.

ثانياً: تحذيرات يوم العمليَّة:

إنَّ التَّحذيرات الَّتي حدثت يوم العمليَّة أمر قلَّما لفت انتباه أحدٍ، ولذٰلك لم يناقش بما يستحقُّه من مناقشه.

أشارت التقارير وشهادات الشُّهود من العاملين في مركز التِّجارة العالمي إلى أنَّ الغالبية العظمى من العاملين في المبنى قَدْ تلقُّوا تحذيرات بالهاتف أو البريد

الإلكتروني قبل نحو ساعتين من أنَّ عملاً إرهابيًّا سيستهدف المبنى، وطلبت منهم التَّحذيرات مغادرة المبنى بأقصى سرعة!!

اليهود العاملون في المبنى صدَّقوا التَّحذيرات من دون أيِّ مناقشةٍ ولذلك لم يبق أيُّ واحدٍ منهم في المبنى، وقيل بقي أربعةٌ وماتوا، بغضِّ النَّظر عما إذا كانوا قَدْ تلقوا تحذيرات في اليوم السابق. أمَّا الآخرون فلم يأخذوا الأمر على محمل الجد، ظنوا أَنَّهُ مداعبةٌ غليظةٌ، مزاحٌ ثقيلٌ... ولذلك لم يؤثر كثيرٌ منهم الفرار في الوقت المناسب.

هٰذا الكلام لم يعد موضع طعنٍ أو شكٍّ، بل لم يكن كذلكَ للحظةٍ. وعلى الرَّغْمِ من ذلكَ لم يناقش المناقشة اللازمة!!

قال بعضهم، ورُبَّما ظنَّ أَنَّهُ يدافع عن **أسامة بن لادن** أو تنظيم القاعدة، إنَّ هٰذه التَّحذيرات تدلُّ على لطف الفاعل، وحسن نواياه، فهو لا يريد أن يقتل الأبرياء، ولذلك راح يرسل لهم رسائل التَّحذير بضرورة مغادرة المبنى.

لا شكَّ في أَنَّهُ تحليلٌ ساذجٌ لا يقوم على أيِّ دعامةٍ من دعامات المنطق أو التَّفكير السَّليم. **فأسامة بن لادن** نفسه أعلن أنَّ «الولايات المتحدة تقتل الأبرياء من أمَّتنا ولذلك يجوز أن نقتل الأبرياء من أبنائها»[٤٣].

هٰذا يعني أَنَّهُ ليس مضطراً لتحذير العاملين في المبنى، لأَنَّهُ فيما يفترض يُجيزُ قتل المدنيين. ولأَنَّهُ فيما يُفْتَرَضُ أيضاً يسعى إِلَى قتل أكبر عددٍ من الأعداء. ولٰكن دعونا نسير مع هٰذا التَّحليل السَّاذج الذي يُقِيْمُ من رقَّة قلب (القاعدة) وإنسانيتها سبباً للتَّحذيرات. فهل يكفي هٰذا لتحذير العاملين في المبنى؟

٤٣ ـ من اللقاء الذي أجرته معه قناة السي إن إن قبل العملية بنحو السنتين.

يجب أن نتساءل هنا: لماذا لم يَخْطِرْ في بال أحدٍ التَّفكيرُ الجنائيُّ في الموضوع؟ لماذا لم يتساءل أحدٌ عمَّا إذا كان مُخَطِّطُ العمليَّة يمتلك من الجرأة ما يكفي لتحذير العاملين في المبنى قبل نحو ساعتين؟!!

لا شكَّ في أَنَّهُ جريءٌ إِلَى حدِّ الوقاحة حَتَّى استطاع أن يحذر الضَّحايا قبل ساعتين، ويتابع عمليته!!

لماذا نقول ذَلكَ؟

لأنَّهُ مهما كان العدوُّ الافتراضيُّ جريئاً، ووقحاً، وواثقاً، وقويًّا، فإنَّهُ لن يجرؤ أبداً على التَّحذير من العمليَّة قبل نحو السَّاعتين. لأنَّهُ وفي أقرب الاحتمالات وأيسرها سيعطي الولايات المتحدة الفرصةَ الذهبيَّةَ لإحباط العمليَّة. فمن ذا الذي يتوقَّع، أو يقبل، أن تعرف الولايات المتحدة بهٰذه التَّحذيرات قبل نحو ساعتين، وهي تعلم أنَّ طائراتٍ اخْتُطِفَتْ، وتعرف منذ أشهر أنَّ القاعدة تُخَطِّطُ لعمليَّات إرهابيَّةٍ كبيرةٍ... وبعد ذَلكَ كلِّه لا تقوم بإحباط هٰذه العمليَّة؟!! إنَّهُ أمرٌ لا يصدقه عقلٌ، ولا يمكن أن يصدقه.

إذا كانت القاعدة، أو أيُّ عدوٍّ آخرٍ هو الذي قام بالعمليَّة، وقام بالتَّحذيرات، فإنَّهُ سيكون بالتَّأكيد غبيًّا وحسب، وليس جريئاً، ولا واثقاً. وأن يكون غبيًّا وعبقريًّا في إدارة مثل هٰذه العمليَّة فهٰذا ما يتسق مع أيِّ تفكيرٍ سليم. إنه تناقضٌ يشقُّ العقل نصفين.

فَقَطْ إذا كانت الولايات المتحدة الأمريكيَّة ضالعةً بالتَّفجيرات يمكن الاقتناع بأنَّ التَّحذيرات لن تُقدِّمَ ولن تؤخِّر في تنفيذ العمليَّة، لأنَّها لن تحرك ساكناً أمامَ إتمامها. وهٰذا هو التَّحليل المنطقيُّ السَّليم الوحيد الذي يمكن قبوله، ويمكن أنْ يفسر لنا أشياءَ كثيرةً.

إنَّ ما يبدو في حقيقة الأمر هو أنَّ معظم العاملين في المبنى كانوا قَدْ خرجوا أو أُخرجوا قبل التَّفجيرات، لأنَّ مقتل ثلاثة آلاف فَقَطْ من أصل نحو خمسين ألفاً، بل خمساً وأربعاً ألفاً يكونون موجودين في المبنى في هٰذا الوقت، عددٌ لا يصدق على الإطلاق، لأنَّهُ مهما بلغت إجراءات النَّجاة من سرعةٍ فإنَّها لن تستطيع إخراج الجميع بهٰذا الأمان الذي حدث. ثُمَّ إنَّنا تابعنا الحدث ولم نر أبداً هٰذا الحشد يخرج من المبنى بعد التَّفجيرات!! فأين ذهبوا؟ ومن أين خرجوا؟ لسنا ندري على أيِّ حالٍ.

حقيقة الأمر أنَّ الاستخبارات الأمريكيَّة الضَّالعة بشدَّةٍ في هٰذه العملية أدركت جسامة الموقف وخطورته، أو إنَّها قَدْ رسمت ذٰلكَ بدقَّة، فأعلنت التَّحذيرات في الوقت المناسب. والذي يؤكِّد ذٰلكَ خير تأكيدٍ هو ما نقرأه في التحليلات الأمريكيَّة للحدث، واعتراف القاعدة المزعوم.

تقول التَّقارير إنَّ العناصر الذين نفذوا العمليَّة لم يدروا بها إلا وهم في الطَّائرات، وهٰذا وهمٌ إلَى حدٍّ بعيدٍ، لأنَّهُ يتناقض مع كلِّ التَّقارير والتَّحليلات. فكيف إذن كانوا يتدرَّبون منذ ثلاث سنواتٍ في تقرير، أو ثلاثة أشهر في تقريرٍ آخر، وأنَّهم كانوا يهتمون بكيفية الإقلاع فقط وما إلى ذٰلكَ من ترَّهات التَّسريبات السَّاذجة سذاجة أعظم من أعظم دولة في العالم، هي الولايات المتحدة التي أصدرت مثل هٰذه الترهات السَّاذجة...

السُّؤال الذي يفرض ذاته هنا هو: إذا كان منفذوا العمليَّة لم يعرفوا بها إلا وهم على متن الطائرات، أو قبل ذٰلكَ، وهم تسعة عشر، فمن الذي حذَّر عشرات الآلاف بالهاتف والبريد الإلكتروني مع إهلالة الصَّباح وخلال أقلِّ من ساعتين؟

هٰذا يفترض أنَّ هناك الآلاف من القاعدة الذين يعرفون بالعمليَّة، وكلهم موجودون في أمريكا، هم الذي حذروا الناس؟ وإذا كان اليهود أخطر أعداء

القاعدة فلما نجحوا في إخبار كلِّ اليهود فرداً فرداً ونجحوا في إنقاذهم جميعاً؟!! إنَّهُ كلام لا يستقيم مع المنطق أبداً.

إنَّنا إذا قبلنا بالتُّهمة المنسوبة إلى القاعدة، وقبلنا باعتراف القاعدة المزعوم، فإنَّهُ من غير الممكن أن نقبلَ بأنَّ الاستخبارات الأمريكيَّة بريئةٌ من قيادة العمليَّة وإدراتها برمتها.

الحقُّ أنَّ مناقشة التَّحذيرات أمرٌ يطولُ بنا كثيراً. دعونا نختم هٰذه المناقشة بتساؤل لا نعوِّل عليه أيَّ نتيجة.

تقول الحكاية/ الرواية إنَّ أربع طائرات اخْتُطِفَتْ، واتَّجهت كلُّ واحدةٍ منها إِلَى هدفٍ. السُّؤال الذي يفرض ذاته هنا هو: لماذا أرسلت التَّحذيرات فَقَطْ إِلَى العاملين في مركز التِّجارة العالميِّ، ولم ترسل إِلَى العاملين في البنتاچون، والمكان (س) الذي ما زال لغزاً للطَّائرة الرابعة؟!! ولن نضيف البيت الأبيض لأنَّ البيت الأبيض وصلته تحذيرات صريحة، ومن أين يا ترى؟ من شيفرة الرئاسة وإدارة الاستخبارات!! هٰذه الشيفرة التي لا يعرفها إلا قلة قليلة من كبار رجال الدولة. هٰذا ما ذكرته صحيفتا الواشنطن بوست والنيويورك تايمز في الثاني عشر والثالث عشر من أيلول: سبتمبر على لسان **آري فليشر** المتحدث باسم البيت الأبيض. فكيف استطاعت القاعدة الوصول إلى هٰذه الأسرار الخطيرة خطورة غير محدودة؟ هٰذا إذا كانت القاعدة هي التي فعلت ذٰلكَ.

كلها أسئلة جديرة بالإجابة والمناقشة أيضاً.

الفصل الثالث

طائرة البنتاچون

طائرة البنتاچون وحدها حكاية ورواية ومسرحية وفيلم كوميدي... طائرات البنتاچون وما دار فيه من قصص وأحداث ورويات شهود وتحليلات أمر مثير للشفقة على التخطيط الأمريكي والذكاء الأمريكي... ولكنَّهَا كلها على أيِّ حال تصب في خانة إدانة الولايات المتحدة وتورطها.

بَنَى **تيري ميسان** كتابه الضَّخم المسمى الخدعة أو الخديعة الكبرى على حقيقةٍ واحدةٍ اقتنعَ بها إلَى درجة عدم إمكان إقناعه بخلافها حَتَّى ولو رأى بأم عينيه هٰذا الخلاف، ولن يقبل بالتَّراجع عنها مهما كلَّفه ذَلكَ من ثمن. هٰذه الحقيقة هي أَنَّهُ لا توجد أبداً أيُّ طائرةٍ اقتربت من مبنى البنتاچون. وأنَّ الانفجار الذي حدث فيه لم يكن إلا بفعل صاروخٍ أمريكيٍّ، انطلق من الأراضي الأمريكيَّة بإرادة الإدارة الأمريكيَّة.

كثيرون سيتساءلون عن السَّبب. وعن مصلحته في ذَلكَ، وهو الفرنسيُّ الأصلِ والفصلِ والهويَّة، أي الامتداد المباشر للحضارة الأمريكيَّة بمعنى من المعاني.

سأله **فيصل قاسم** هٰذا السُّؤال فأجاب: «إذا كنتُ قَدْ كتبتُ هٰذا الكتاب فما ذَلكَ إلا لأنَّنا كنَّا نحقِّقُ في أحداث الحادي عشر من أيلول، وقد اكتشفتُ من خلال ذَلكَ عناصرَ رهيبة تدعوني إلى الاعتقاد بأنَّ الجناة ليسوا أولئك الذين أشير

إليهم، وأَنَّهُ يجري تهديد السَّلام العالمي باسم عددٍ كبيرٍ من الأكاذيب... أنا كتبت هٰذا الكتاب لأنَّهُ علينا الدِّفاع عن السَّلام. هٰذا كلُّ ما في الأمر»[٤٤].

يسوق **تيري ميسان** أدلته على النَّحو التالي:

«تقول المعلومات إنَّ طائرة بوينج ٧٥٧ تحط على مدرج الحوامات، وتنبو عن المدرج فتصدم الطابق الأرضي من البنتاچون متوغلةً تماماً.

ولكن فكَّرنا في الأمر وجدنا هٰذه الطَّائرة التي فُقِدَ لها أيُّ أثرٍ لها فوق أوهايو تكون قطعت ٥٠٠ كيلو متر فوق التُّراب الأميركي من دون أن تكتشفها الرادارات المدنيَّة، ولا العسكرية، ولا الطائرات المطاردة التي أرسلت في أثرها، ولم تكتشفها حَتَّى الأقمار الاصطناعيَّة التي كان من المفترض أن تراقبها. قَدْ يخفق أحد هٰذه الأجهزة في التقاطها، ولٰكن أن تخفق كلها معاً فهٰذا أمرٌ غيرُ مقبولٍ.

وإذا أمعنا النَّظر في الصُّورة الأولى الَّتي التقطت مباشرةً بعد دقائق فقط من العمليَّة، فسنرى سيارات الإطفاء وهي تصل، لٰكنَّ الإطفائيين لم يكن لديهم الوقت للنُّزول. إذن سيَّارات الإطفاء كانت تتحرَّك قبل انهيار مبنى البنتاچون. وعلى الرَّغْمِ من ذَلكَ يقال لنا إنَّ طائرةً وزنها ١٥ طنًّا، وعرضها مع جناحيها ٣٨ متراً، اخترقت ثغرة لا تصل إِلَى المترين!! إنَّ أيَّ واحدٍ يستطيع أن يكتشف أنَّ هٰذا غير ممكنٍ عقلاً، ولا سحراً رُبَّما.

إنَّ ما حدث في واقع الأمر هو ملاحظة ثقبٍ منظورٍ على واجهة البنتاچون، هو أثر مقذوفٍ ضرب المبنى واخترق أقسامه المختلفة وخرج من الجدار، وليس أثر طائرة على أيِّ حالٍ. وقد تسبَّب المقذوف في إحداث ثقبٍ قطرُهُ متر

---

٤٤ .كان ذلك في **لقاء خاص** أجراه الدكتور فيصل قاسم لقناة **الجزيرة الفضائيَّة** يوم الأربعاء ١٢/٠٦/٢٠٠٢م.

وثمانون سنتيمتراً. وعندما دخل المقذوف إلَى مبنى البنتاچون أدى إلَى اندلاع حريقٍ هو الذي انتشر في أروقة المبنى، وقتل الضَّحايا الذين بلغوا مئةً وخمساً وعشرين.

قالوا إن مقدِّمة الطائرة خرجت من هذه الفتحة بعد أن اخترقت مبنى البنتاچون، بعد أن اخترقت ثلاثة جدارن، مخلفة وراءها ثلاث فتحات بالحجم ذاته وحَتَّى الشَّكل ذاته. يا سبحان الله!! ويخلق من العجائب ما لا تعلمون.

ولٰكنَّ أين أثر أجنحة الطائرة؟ على افتراض أنَّ الطائرة من العرب (كشَّت) وتلقصت أربعة أضعاف حجمها تقريباً. أم أنَّها رفرت وطارت هلعاً بعيداً عن الطَّائرة. حسناً، وأين أثر محرِّكات الطَّائرة التي يزيد حجم كلٌّ واحدٍ منها عن حجم الفتحة المتولِّدة من الطَّائرة. وبماذا سنفتي لهذه المحركات؟

لا أثر لكل ذٰلكَ في الجدارن، وليس هٰذا فحسب بل لا أثر ماديَّ أبداً لا للأجنحة ولا للمحركات... ولا للطائرة ذاتها... هٰذا إذا سلمنا أصلاً بقدرة الطائرة على اختراق الجدارن الثلاثة التي تَمَّ اختراقها. لأنها حَتَّى تفعل ذٰلكَ يفترض أنَّها كانت تطير فوق الأرض بشبرين لمسافة عدة كليومترات حَتَّى يكون خط الاختراق بهٰذه الاستقامة.

الأغرب من ذٰلكَ كلِّه كما يقول **ميسان** هو «ما أكَّده **آد بلوفر** قائد فرقة الإطفاء التي تولَّت مكافحة الحريق النَّاجم عن الاصطدام المزعوم في مؤتمر صحفي قال فيه: إنَّ رجاله أوكلت إليهم فقط مهمَّة الحريق الذي امتد للمبنى نفسه ولم يسمح لهم أبداً بالاقتراب من نقطة الاصطدام!!». أمر مثير للارتياب، طبعاً لم يسمح لهم بالاقتراب حَتَّى لا يفاجأوا بأنه لا توجد طائرة. بل إنَّ تسجيلات كاميرات المراقبة المحيطة بمبنى البنتاچون لا تحتوي على أيِّ صورٍ لطائرةٍ تصدم بالمبنى.

ومن خلال شهادات الحاضرين في موقع الحادث، يمكن أن نفهم ما حدث؛ تقول مراقبةٌ جويَّةٌ إنَّها رأت على شاشة الرَّادار نقطةً على نحوٍ مفاجئٍ، بدأت تتحرَّكُ بسرعةٍ كبيرةٍ باتِّجاه البيت الأبيض ثمَّ غيَّرت اتجاهها فجأةً نحو البنتاچون. وأقلُّ النَّاس خبرةً يدركون أنَّهُ لا يمكن لأيِّ طائرةٍ مدنيَّةٍ أن تقوم بمناورةٍ بهٰذه السُّرعة. الأسلحة العسكريَّة وحدها تستطيع ذٰلكَ.

وهناك شهود عيان قالوا إنَّهُم رأوا شيئاً ما يشبه صاروخاً جوَّالاً ذا جناحين. وقال بعضهم إنَّهُ يشبه طائرة صغيرةً تتسع لما بَيْنَ ٨ إلى ١٢ شخصاً. وقال آخرون إنَّهُم سمعوا ما يشبه صوت طائرةٍ، لٰكنَّهَا ليست طائرةً مدنيَّةً، وإنَّمَا ما يشبه صوت طائرةٍ مطاردةٍ.

إذا جمعنا هٰذه الشَّهادات إلَى بعضها بعضاً اتَّجَه تفكيرنا إلى عددٍ من الأسلحة، واليوم يوجد آخر طراز من الصَّواريخ الَّتي قَدْ تسبب هٰذا النَّوع من الأضرار. ومن الواضح أنَّ هٰذا هو ما حدث، ولٰكن لا أحد غيرُ الجيش الأمريكيِّ يستطيع إطلاق صاروخ البنتاچون. فإذا علمنا أنَّ المنطق يقتضي أن يكون البنتاچون محاطاً ببطاريَّات الصواريخ والرادارات وجدنا أنَّ استعمال صاروخٍ من آخر جيلٍ من أجيال الصواريخ يستطيع أن يحمل منظومة تشويشٍ كالتي تصنعها الولايات المتحدة، كانت إصابة الهدف محقَّقَةً.

ويضيف **ميسان** في نهاية التَّحليل أنَّ الأدميرال **كلارك** الذي يقود البحرية الأمريكية كان قد غادر البنتاچون على عجلٍ، كما لو أنَّهُ كان يحسُّ أنَّهُ مستهدفٌ مباشرة بتلك العمليَّة»[٤٥]، أو لنقل كما لو أنَّهُ على علمٍ بالعمليَّة.

٤٥ . تيري ميسان: **الخدعة الكبرى**. صفحات متعددة.

المشكلة الحقيقيَّة هنا هي أنَّ حجج **ميسان** متماسكةٌ، منطقيَّةٌ، واقعيَّةٌ، من الصَّعب، إن لم يكن من المتعذَّر الردُّ عليها. والردُّ الوحيد الذي جوبه به **تيري ميسان** من الحكومة الأمريكيَّة والإعلام الأمريكي هو تهديده بالقتل، ومنع نشر الصورة الَّتي تحدث عنها على ترجمات الكتاب.

والذي يؤكِّد تحليل **ميسان** إلَى جانب ما تحدَّث عنه هو أنَّنا تابعنا مباشرة لحظة اندلا ع النيران في البنتاچون، ولم تبدُ أيُّ آثار لأيِّ طائرةٍ.

إذا ثبت ذَكلام **ميسان**، وكلُّ الدَّلائل تثبته، ولا يوجد ما يثبت خلافه، ما عسانا نقول في خاطفي طائرة البنتاچون؟! والركاب الموجودون فيها؟! ألا يكفي هٰذا وحده لتكذيب كلِّ الحكاية/ الرواية الأمريكيَّة عن الأحداث؟

وعلى الرَّغْمِ من ذَلكَ، دعونا نضحك على أنفسنا، ونقبل أنَّ هٰذا التَّحليل مع حججه وهمٌ، وأنَّ طائرةً اقتحمت البنتاچون فعلاً. فهل في هٰذا الاقتناع ما يرضي الحمق الأمريكي لإقناعنا ببراءة الولايات المتحدة من الضُّلوع بهٰذه الأحداث؟

أكثر من نقطةٍ تستحقُّ المناقشة، ولٰكنَّ أربعاً منها يصعب تجاوزها:

النقطة الأولى إذا نظرنا إلَى خريطة الطَّائرة المفترض أنَّها ارتطمت بالمبنى وجدنا أنَّها قطعت ٣٠٠ ميل/ نحو ٥٠٠ كيلومتر ذهاباً، ومثلها إياباً، من دون أيِّ توجيهٍ من برج المراقبة الجويَّة، لأنَّها اختطفت بُعَيْدَ الانطلاق مباشرة، وانقطعت عن الاتصال بالعالم الخارجيِّ مباشرةً.

السُّؤال الذي لم يسأله أحدٌ هو هل يمكن أن يسيرُ طيارٌ في السَّماء هٰذه المسافة ذهاباً وانعطافاً وعودة إلَى الارتطام بالمبنى من دون توجيهٍ من مركزٍ أو برج المراقبة الجويَّة؟

الطَّيارون المحترفون المهرة لا يستطيعون ذَلكَ أبداً، لأنَّ انحراف ربع درجة عند الانعطاف للعودة إِلَى نسف المبنى الذي يبعد ٣٠٠ ميل، يعني ابتعاد الطائرة عنه آلاف الأمتار في الحدِّ الأدنى، ولكنَّ المسار الذي شاهدناه يقول إنَّ الطائرة كانت تحفظ طريقها تماماً، (كما لو أنَّها منوَّمةٌ مغناطيسيًّا). فكيف بمن اتَّبع دورة طيران لأشهرٍ قليلةٍ، أو تعلَّم الطَّيران من كتاب: تعلم الطَّيران في خمسة أيام من دون طيَّارة، كما تقول الرواية الأمريكيَّة عن الخاطفين؟!!

من المؤكَّد أنَّك لن تجدَ مُخْرِجاً أبداً يقبل إخراج فيلمٍ يقوم الخاطفون بقيادة طائرةٍ على هٰذا النَّحو لمحض تعلمهم الطيران من كتاب، لأنَّهُ سيعدُّ مُخْرِجاً غبيًّا. حَتَّى لو كان فيلم كرتون، ومن المؤكِّد أَنَّهُ من الغباء عدم ترجيح ضلوع الاستخبارات الأمريكيَّة بالعمليَّة.

النقطة الثانية تتعلق بأولى البداهات العسكريَّة في أكثر البلدان ضعفاً ووضاعةً وأكثرها قوَّة وعُنجهيَّة، وهي أنَّ أيَّ منطقةٍ عسكريَّة مهما قلَّ شأنها تكون محاطةً بحماية من نوعٍ ما ترتبط بنوع هٰذه المنطقة العسكريَّة وأهميَّتها الاستراتيجيَّة والعسكريَّة. ولا يوجد مختصٌّ في العالم اليوم لا يعلم أنَّ نظام الحماية الجويَّة الأمريكيَّة قَدْ أعيد تشكيله تماماً في السَّنوات الأخيرة بعد مغامرةٍ غريبة حطَّت خلالها طائرةٌ صغيرةٌ في حديقة البيت الأبيض[٤٦]، ومنذ ذَلكَ الحين، تَمَّ تركيب خمس بطاريات صواريخ على سطح البنتاچون، فلو وصلت طائرة ركَّاب أمام البنتاچون لأسقطتها تلك الصواريخ حالاً. وكلنا صار يعلم أيضاً أنَّ الولايات

٤٦ . تذكرنا هذه الحادثة بالحادثة المفتعلة الَّتي نفذها ميخائل جورباتشوف آخر رؤساء الاتحاد السوفييتي من أجل فرض إصلاحاته المزعومة الَّتي أدَّت إِلَى القضاء على الاتحاد السوفيتي، عندا هبطت طائرة يقودها طيار ألماني في الساحة الحمراء، ساحة الكرملين.

المتحدة اختارت لوزارة الدفاع/ البنتاجون منطقةً نائيةً، بعيدةً عن الأبنية المدنيَّة، لتكون محصَّنة، محميَّة بكلِّ أنواع الحماية. ونعلم أنَّه من الممنوع على أيِّ طائرةٍ أن تحلِّق فوق هٰذا المكان، ولا حَتَّى الأقمار الصناعيَّة غير الأمريكيَّة. ونعرف أنَّ بطاريات الصواريخ الأمريكيَّة تعمل آليًّا لدى التقاط أيِّ هدفٍ مخالفٍ، فكيف استطاعت هٰذه الطائرة أنَّ تحلِّق بحريَّةٍ فوق البنتاچون، وتقتحمه من دون أيِّ ردِّ فعلٍ؟ ويزداد الطين بلَّةً إذا علمنا أنَّ طائرتين قد اقتحمتا برجي مركز التِّجارة العالمي قبل نحو ساعةٍ، والعالم كلُّه قَدْ استنفر قواه العسكريَّة والمدنيَّة!!!

ثَمَّةَ سرٌّ كبيرٌ وخطيرٌ... ولكنَّهُ لم يعد سرًّا مع سيل الحقائق المتدفق.

النقطة الثالثة تتعلق بالجناح الذي استهدفه الصَّاروخ، أو الطَّائرة المفترضة.

لم يعد سرًّا، ولا تخفي الولايات المتحدة ذٰلكَ، أنَّ الجناح الذي ارتطمت به الطَّائرة المفترضة أخلي قبل أسبوعٍ من أجل إجراء الإصلاحات، ففي تقرير لتلفزيون الـ CNN أنَّ البنتاچون قَدْ قام بتنقلاتٍ سريعةٍ كبيرةٍ قبل أسبوعٍ واحدٍ فَقَطْ من العمليَّة، انتقل فيها الأشخاص المهمُّون والعمليَّات المهمَّة من الجناح الذي تعرض للضَّربة إلَى الطرف الآخر من المبنى، وانتقل أشخاصٌ غير مهمين، وعمليات غير مهمَّة إلَى الجناح الذي ضرب[٤٧].

قَدْ يكون الأمر مصادفةً فعلاً، ولٰكن ما هٰذه المصادفة؟ تساءل مذيع المحطة الأمريكيَّة، ولم يكن ساخراً: ما هٰذه المصادفة السَّعيدة؟

من السَّهل القبول بأنَّها مصادفةٌ، ولٰكن من الصَّعب تجاوز التَّخطيط المدروس في الأمر.

٤٧ . من تقرير لمحطة الـ CNN يوم الأربعاء ١٢/ ٩/ ٢٠٠١م.

نحن هنا أمام أكثر من احتمال؛ إمَّا أن تكون الإدارة الأمريكيَّة على علم دقيقٍ بالنُّقطة ذاتها الَّتي ستخترقها الطَّائرة، ولهذا ممتنع تماماً، لأنَّ قائد العمليَّة ذاته لن يكون قادراً على تحديدها قبل لحظة الارتطام، خاصَّةً وأَنَّهُ، فيما يفترض، لا يستهدف شخصاً بعينه، ولا جناحاً محدَّداً، وإنَّما يستهدف البنتاچون الذي رُبَّما لا يعرف أيِّ تفصيلٍ عنه. وعلى افتراض أنَّ المتهمون بالعمليَّة يعرفون ذَلكَ تماماً، فإنَّ معرفة الإدارة الأمريكيَّة بدقَّة هٰذه العمليَّة ونقلها الأشخاص والعمليَّات قبل أسبوع على هٰذا النَّحو الملفت ينطوي على إدانة صريحةٍ للحكومة الأمريكيَّة بقبول العمليَّة والسَّماح بإتمامها.

الفكرة الَّتي مرَّت عَرَضاً في الفقرة السَّابقة تستحقُّ الوقوف عندها، وهي أنَّ منفِّذي العمليَّة بطائرةٍ مدنية أيًّا كانوا؛ القاعدة أم الأمريكان، لا يمكنهم أبداً التَّحكم بالطائرة لتصيب نقطة محدَّدة قبل أسبوع، هي النُّقطة الخاضعة للصيانة، والخالية من أيِّ شيءٍ مهمٍّ، اللهم إلا بتدريباتٍ مستمرَّةٍ وطويلةٍ على المكان ذاته.

احتمالان هنا يمكن القبول بهما؛ أوَّلهما أنّ صاروخاً موجَّهاً، كما رأى **ميسان**، وأثبت المنطق، هو الذي اخترق هٰذا الجناح من المبنى، وإذا ذاك فإنَّهُ سيمرُّ في النقطة المحدَّدة ولو كانت محدَّدة قبل سنواتٍ. والاحتمال الثَّاني هو أن تكون طائرة فعلاً، ولكنَّها موجَّهةٌ إلكترونيًّا بالتقنيَّة الَّتي تمتلكها الولايات المتحدة وحدها في العالم. وإذن لا يمكن اتهام أيِّ خاطفٍ حَتَّى ولو ظنَّ أَنَّهُ خاطفٌ فعلاً.

ثَمَّةَ من سيتعرض هنا: طالما أنَّ الولايات المتحدة هي الَّتي خطَّطت ووجهت؛ صاروخاً أو طائرةً، لماذا كلُّ هٰذا اللف والدوران؟ لماذا لم توجه الطَّائرة أو الصَّاروخ إلَى الجناح الذي لم يكن فيه أشخاص مهمون، ولا عمليات مهمة؟

الأمر يسير. إنَّ الجناح الذي تعرَّض للتَّفجير هو الجناح الذي يجب هدمه وإعادة بناءه، ولذّلك استُهْدِف دون سواه، ولذّلك تَمَّت عمليّات الانتقال. وإذا كان هناك جناحٌ جاهزٌ لهٰذا الغرض لماذا يدمَّر جناحٌ سليم؟!

هنا ينهض افتراض أنَّ أحد عوامل استهداف برجي مركز التِّجارة هو احتمال أنَّ البرجين معرَّضين للهدم لسببٍ أو لآخر. وعوضاً عن أن تمرَّ حالةُ الهدم من دون استثمار كان توجيه الطائرات إليه.

النقطة الرابعة سنسلِّم مع بعض المسؤولين الأمريكيِّين بأنَّهُ كان من محض المصادفة وجود اليهود الذين صوروا ارتطام الطَّائرة الأولى بالبرج، فمركز التِّجارة موجودٌ في قلب مدينةٍ كبيرةٍ جدًّا، من المحتمل جدًّا أن يرصد مصورٌ ما ارتطام طائرةٍ بالبرج بغضِّ النَّظر عما إذا كان لديه معلوماتٍ سابقة عن الحدث أم لا، ولم لا؟ ولٰكن ما الذي سيقنعنا بأنَّ تصوير اللحظة الأولى لاندلاع النَّار في جناح البنتاچون الذي ارتطمت به الطائرة كان مصادفةً أيضاً؟ مع علمنا بأنَّ أيَّ منطقة عسكريَّة في العالم تكون محاطة بلوحاتٍ كتب عليها يمنع الاقتراب والتَّصوير!! وحَتَّى مع عدم وضع هٰذه اللوحات فإنَّ ذّلكَ ممنوعٌ!!

إنَّها مسألةٌ هامشيَّة بعض الشَّيء ولكِنَّها تثيرُ من التساؤلات ما يستحقُّ الوقوف عنده، ولو للسُّؤال فَقَطْ.

الفصل الرابع

طائرتا بنسلفانيا والبيت الأبيض

مع تمام مضي العام على أحداث الحادي عشر من أيلول/ سبتمبر اعترفت القاعدة رسميًّا، وبالعبارة الصَّريحة، بأنَّها هي الَّتي قامت بالعمليَّة، فَصُعِقَ الكثيرون الذين ظلُّوا ينكرون قيام **أسامة بن لادن** بهٰذه العمليَّة، واعتراهم الإحباط، والحيرة، فيما ارتسمت الابتسامات الصَّفراء على ثغور الذين ظلُّوا يردِّدون بأنَّ القاعدة هي الَّتي نفَّذت العمليَّة[٤٨].

حسناً، هٰذا الاعتراف أزاح بعض الغبار أو الضبابيَّة عن الحدث. ولٰكنَّ هل حلَّ المشكلة؟

أبداً لم تحلَّ المشكلة، بل زادت ضبابيَّة عما كانت عليه!!

لن نناقش هٰذا الاعتراف الآن، لأنَّنا سنقبله على أنَّهُ اعترافٌ في هٰذه اللحظة، وسنكتفي بسؤالٍ واحدٍ لا معدَّى عنه.

في الشَّريطين اللذين بثتهما قناةُ الجزيرة الفضائيَّة في يومي الأربعاء والخميس الواقعين في الحادي عشر والثاني عشر من أيلول/ سبتمبر ٢٠٠٢م. بمناسبة الذكرى السَّنويَّة الأولى للحدث، وهما شريطُ الاعتراف وشريطُ برنامج سرِّيٍّ للغاية، اعترفت القاعدة، بل بعض رجالاتها، وهم الذين رسموا العمليَّة بتفاصيلها كما يقول الاعتراف، بأنَّ القاعدة هي الَّتي رسمت العمليَّة ونفَّذتها، وتحدَّث الشَّريطان عن كلِّ

٤٨ . أعيد بناء هذا الفصل بعد اعتراف القاعدة بمناسبة الذكرى السنوية الأولى، من دون أي تغيير في لب التحليل وخطواته، لأنَّ شيئاً من ذٰلكَ لم يستدع التغيير. ثَمَّة من شكك في الاعتراف الذي جاء مفجعاً بعد كل ما سبق الحديث فيه من دلائل... ثَمَّة إشارات استفهام على الاعتراف، استناداً إلى ما سبق وما سيأتي.

شيءٍ تقريباً من العمليَّة. ولٰكنَّ شيئاً واحداً مثيراً للانتباه لم يسأل عنه أحدٌ، ولم يناقشه أحدٌ، لم يذكروا عنه أيَّ تفصيلٍ، وهو الطَّائرة الَّتي أُسْقِطَتْ أو سَقَطَتْ في ولاية بنسلفانيا... كلُّ ما ذكره الاعتراف هو أنَّ الاستشهاديين الذين قادوا الطائرة هم فلان وفلان... وحسب.

السُّؤال الآن: إذا كانوا قَدْ تحدَّثوا عن الطَّائرات الثلاث بالتفاصيل، والمهمات الَّتي أوكلت لها، فلماذا لم يذكروا المهمة الَّتي أسندت إِلَى هٰذه الطَّائرة، واكتفوا بما ردَّدته الولايات المتحدة من أنَّها سقطت في ولاية بنسلفانيا؟؟!!

من المؤكَّد، حَتَّى الآن على الأقلِّ، أنَّهم لا يعرفون الجواب. لأنَّ سياق الاعتراف يوحي بجهلهم التَّام حيال هٰذه الطائرة، ولو كانوا يعرفون شيئاً لقالوه حكماً كما قالوا كلَّ شيءٍ، ليس بجديدٍ على أيِّ حالٍ، عن الطَّائرات الثلاث الأُخْرى.

رُبَّما كانوا يتركون الأمور تسير على البركة والتجلِّي.

ولٰكن إذا كان الأمر كذٰلكَ، ألا يعني أنَّنا أمام حمق أطفالٍ أغبياء، أو عبثٍ لمحض العبث؟!

للأسف، حَتَّى هٰذا الاحتمال لا يمكن قبوله في مثل هٰذه العمليَّة، لأنَّ ما كان أعظم من ذٰلكَ بما لا يجوز مقارنته بهٰذا الاحتمال.

إذن حَتَّى اعتراف القاعدة بالحدث لا يكفي لإثبات التُّهمة عليها. ولا يكفي لتبرئة الولايات المتحدة من الضُّلوع به.

طائرة بنسلفانيا

ما قصَّة طائرة بنسلفانيا إذن؟

تعالوا نحاول تخيل ما حدث على ضوء تحليلنا السَّابق، وما تحقَّق لدينا من وقائع.

لَقَد خطَّطت الإدارة الأمريكيَّة، أو هيئةٌ معيَّنةٌ فيها، لأحداث تتيح لها تنفيذ مخطَّطٍ موضوعٍ مسبَّقاً من أجل تحقيق أغراضٍ معيَّنةٍ سنأتي عليها بالتَّفصيل في فصلٍ قادم. وكان عليها أن توهم العالم أو تقنع العالم بأنَّ الولايات المتحدة، ومن ثَمَّ العالم الغربيَّ، الحرَّ، الديمقراطي، يتعرَّض لهجمةٍ عنيفةٍ، شرسةٍ قادرةٍ على اقتلاع هٰذا العالم من جذوره. ولذلك كان من الضَّروري أن يكون هناك أكثر من ضربةٍ، في أكثر من مكانٍ، ليكون الأمر أكثر إقناعاً. ذٰلكَ أنَّ ضربةً واحدةً لن تكون مقنعةً، ورُبَّما الضربتان لن تكونا مقنعتين بما يكفي لإمكان عَدِّهِمَا مصادفةً، أو عَرَضاً، أو خطأً.

وعلى هٰذا الأساس توجَّهت طائرتان إِلَى مركز التجارة العالمي، وطائرةٌ مفترضةٌ إِلَى البنتاچون، ورابعةٌ إِلَى البيت الأبيض[٤٩]، وخامسةٌ عائمةٌ في الفضاء لم يعرف أحدٌ على الإطلاق إِلَى أين تسير. ولتكحيل الحدث كان من الضَّروري أن يشترك في الهجوم على الولايات المتحدة سلاح آخر غير الطَّائرات المدنيَّة فانفجرت سيارةٌ مفخَّخةٌ أمام مقرِّ وزارة الخارجيَّة الأميركيَّة في واشنطن.

من المؤكَّد أنَّ الإدارة الأمريكيَّة كانت تعاني شيئاً من التَّخبط والعشوائيَّة في هٰذه العمليَّة، ولم تكن قَدْ درستها الدِّراسة الكافية. ولكِنَّها على أيِّ لم ترد أن تترك شيئاً للمصادفة، أو الظروف الطارئة، ولهٰذا كانت العمليَّة مرسومةً بهٰذا الحشد من الطَّائرات.

الآن صار من الممكن أن نستنتج قصَّة الطَّائرة الَّتي هوت في بنسلفانيا.

---

٤٩ . ستكون هذه الطائرة موضوع حديثنا في الفقرة التالية من هذا الفصل.

قالوا إنَّ الطَّائرة كانت تستهدف منتجع الرئيس الأمريكي، وقالوا إنَّها كانت تقصد **ديك تشيني** نائب الرَّئيس، وقالوا إنَّها كانت تقصد البيت الأبيض، وقالوا أيضاً إنَّها تبحث عن الرَّئيس الأمريكي ذاته، وقالوا إنَّ الطَّائرات العسكريَّة الأمريكيَّة تبحث عنها، وقالوا أخيراً إنَّها سقطت في بنسلفانيا.

كيف سَقَطَتْ؟ لم ندر! كلُّ ما قالوه: إنَّها سَقَطَتْ. وهٰذا فعلاً أمرٌ عجيبٌ.

إذا كان الركاب قَدْ سيطروا على الوضع كما قالت المخابرات الأمريكيَّة وإعلامها فهٰذا يعني افتراض أن تعود الطَّائرة إِلَى وضعها الطَّبيعي، وتُعَاوِدَ الاتصال بالبرج، وتعود إِلَى المطار أو تواصل رحلتها. وإذا ظلَّت تحت سيطرة المختطفين فهذا يفترض أنَّها ستتابع تنفيذ مهمَّتها.

ولٰكن لا هٰذا حدث ولا ذاك! لَقَد سقطت الطَّائرة!!

قالوا في الإعلام الأمريكي إنَّ بعض رُكَّاب الطَّائرة اتصلوا بذويهم وأخبروهم أنَّ الطَّائرة مختطفةٌ، وأنَّ الْمُخْتَطِفِين يخاطبونهم بلغةٍ إنجليزيَّةٍ فيها رطانةٌ، بل جاء في أحد التَّقارير أنَّهم خاطبوهم باللغة العربيَّة!! علماً أنَّ إمكانيَّة الاتصال الخليوي من الطَّائرة إلى الأرض ليست متوافرةً في حدود علمنا ومراجعتنا المختصين. وأن يتصلوا من عند الطيار فهٰذا محال لأنَّ غرفة القيادة تحت سيطرة الخاطفين. ناهيكم عن أنَّ الاتصال بأبراج المراقبة مقطوع... يعني أنَّهُ لا يوجد شبكة اتصال. ويعني أيضاً أنَّهُ على افتراض أنَّ إمكانية الاتصال الخليوي من الطَّائرة متاحةٌ في الأحوال العاديَّة فإنها في حال هٰذه الطائرة غير متاحةٍ... فكيف استطاعوا الاتصال، وبعضهم كما قالت وسائل الإعلام الأمريكية تحدث مع ذويه خمساً وعشرين دقيقة!!

عوداً على التكلم باللغة العربيَّة، هٰذا أمر عجيبٌ أيضاً، تصوَّروا أنَّ المتَّهمين الذين عاشوا معظم حياتهم في أوروبا وأمريكا مازالوا يرطنون في اللغة، بل تصوروا أن يخاطبوا الرُّكَّاب باللغة العربيَّة. رُبَّما قصدوا أنَّهم يتكلَّمون فيما بينهم باللغة العربيَّة. حسناً، هٰذا أمرٌ ممكنٌ. ولٰكنَّ المصادفة السَّعيدة هي أن يعرف الأشخاص الذي اتصلوا بذويهم بذويهم أنَّ اللغة الَّتي يتكلمُّوهما الخاطفون هي اللغة العربيَّة وليست التركيَّة مثلاً أو الفارسيَّة أو غيرها من لغات الأرض الَّتي تزيد عن الآلاف؟! لا تريد المخابرات الأمريكية أن تترك شيئاً للمصادفة.

قالوا أيضاً إنَّ الرُّكَّاب سمعوا بما حدث من عمليَّات تفجير في البرجين، فأخذهم الحماس الوطنيُّ وقرَّروا الموت دفاعاً عن الوطن فأسقطوا الطائرة حَتَّى لا يحقِّق الإرهابيون مأربهم في اقتحام هدفٍ جديدٍ. ولٰكن لا بُدَّ أن نسأل من باب الفضول: كيف عرف الركاب بالتفجيرات التي حصلت والطائرة مختطفة منذ الإقلاع كما قيل؟ من الذي فتح لهم التلفزيون ليؤنسهم وهم في مصاب الاختطاف وذعره... وهم مذعورون يولولون يتابعون آخر الأخبار والأخبار العاجلة!!! رُبَّما... لا يصعب شيء على كتَّاب السيناريو الأمريكان.

على أيِّ حال، نهايةٌ تشبه نهايات الأفلام الهنديَّة في التَّعبير الدارج عالميًّا. وقصَّة تصلح أن تكون سيناريو مسلسلٍ مكسيكيٍّ في التَّعبير الذي درج عالميًّا في الفترة المؤخَّرة أيضاً.

من المؤكِّد أنَّ مناقشة هٰذا السِّيناريو فكرةً فكرةً أمرٌ سيطول بنا كثيراً، وعلى الرَّغْمِ من أهميَّة ذٰلكَ فإنَّنا سنتجاوزه. سنفترض أَنَّهُ كلُّه صحيحٌ، أو كلُّه خاطئٌ سيَّان. فما نريد قوله في تحليلنا يستوي فيه الافتراضان، بغضِّ النَّظر عن ضرورة أن

تعمل التَّفكير في هٰذا السيناريو الذي أطلعتنا عليه الإدارة الأمريكيَّة لما حصل في هٰذه الطائرة.

الذي حدث في افتراضنا أو توقعنا هو التالي:

لا أظنُّ أنَّ هناك طائرةً أصلاً اسمها الطائرة الرَّابعة الَّتي سقطت في بنسلفانيا، وهو احتمال قويٌّ على أيِّ حالٍ، لأنَّهُ لا يوجدُ أبداً ما ينفيه، وفي الوقت ذاته لا يوجد ما يؤكِّد وجود طائرةٍ رابعةٍ سقطت في بنسلفانيا. فبضع قطع متناثرةٍ شوهدت للحظات لا تشكِّل أيَّ دليلٍ على أنَّ طائرةً سقطت في ذٰلكَ المكان. كلُّ ما نملكه هو زعمٌ أمريكيٌّ بوجود هٰذه الطَّائرة.

سنقبل هٰذا الزَّعم. وسنقبل أنَّ متَّهمي القاعدة هم المختطفون. ولٰكنَّ ما الدَّليل على أنَّ الطَّائرة كانت مختطفةً فعلاً؟ وما الدَّليل على أنَّها كانت متوجهة إلَى هدفٍ محدَّدٍ؟ وما الدَّليل على أنَّ متَّهمي القاعدة هم المختطفين؟ وما الدَّليل على أنَّ الركاب هم الذين أسقطوها فعلاً؟...

لا يوجد أيُّ دليلٍ ماديٍّ ملموسٍ، ولا أيُّ دليلٍ منطقيٍّ قادرٍ على الإقناع.

إنَّ ما حَدَثَ في ظَنِّنَا، إذا كانت هناك طائرةٌ مختطفةٌ، هو أنَّ الإدارة الأمريكيَّة، أو الهيئة المختصَّة، أدركت أنَّها حقَّقت غرضها ومرادها من طائرتي البرج، وأرادت أن تكتفي بهٰذا الحدِّ من العمليَّة. ولٰكِنَّها أدركت في الوقت ذاته أنَّ التراجع ليس بسهولة البدء ذاتها. ولذٰلك كان من المحتم إسقاط الطائرة.

من الجائز تماماً أن تسأل هنا: ولماذا إسقاط الطائرة؟

سنفترض جدلاً أنَّنا مازلنا أمام ثلاث احتمالات هي؛ انفراد القاعدة في العمليَّة، اشتراك الإدارة الأمريكيَّة مع القاعدة بطريقةٍ أو بأخرى، انفراد الولايات المتحدة بالعمليَّة. فلننظر في هٰذه الاحتمالات الثَّلاثة.

إنَّ **انفراد القاعدة** بالعمليَّة أمرٌ تنفيه كلُّ الحقائق والتَّحليلات، على الأقلِّ كلُّ ما نعرفه، وكلُّ ما ظهر حَتَّى الآن. حَتَّى بعد الاعتراف المفاجئ الذي جاء في شريطين بثَّا في وقتٍ واحدٍ، مع البعد الزَّمني بينهما، ورُبَّما عدم التَّنسيق. وقد بيَّنا بعضاً كثيراً من أسباب ذَلكَ. وعلى الرَّغْمِ من ذَلكَ فإنَّنا إذا افترضنا انفراد القاعدة بالعمليَّة فإنَّنا سنجد أكبر صعوبةٍ في فهم أسباب سقوط الطائرة أو معرفتها، اللهم إلاَّ في حالةٍ واحدةٍ هي أن يكون الطَّيران العسكري الأمريكي هو الذي أسقطها. وهٰذا ما لم تعترف به الولايات المتحدة، ولم يذكره أحدٌ، إلا عَرَضاً واحتمالاً في يوم الحدث.

أمَّا الاحتمالات الأُخْرى فكلُّها متهافتةٌ. فسيطرة الركاب على الوضع لا يمكن أن تقود أبداً إلى سقوط الطَّائرة، لأنَّنا لم نعرف أبداً أنَّ أمريكيًّا ضحَّى بنفسه في سبيل (الوطن) بهٰذه الطَّريقة، فكيف إذا نافوا عن المئة؟! بل ما مسوِّغ إسقاط أو أن يسقطوا الطَّائرة إذا كانوا قَدْ سيطروا على الوضع؟! يبقى أن يكون المختطفون قَدْ ظلوُّا مسيطرين على الوضع. هٰذا يعني استمرار توجه الطَّائرة إِلَى هدفها، أو إلى أيِّ هدفٍ آخر.

أمَّا **إشراف الولايات المتحدة** على العمليَّة **بالانفراد أو بالاشتراك** فهو الذي يفسِّرُ لنا ما حدث. ولذَلك رُبَّما لا نحتاج إِلَى التَّفريق بينهما في التَّحليل.

هنا يظهر من جديدٍ احتمال أنَّ الركاب قَدْ سيطروا على الوضع، ولكنَّهُ يظهر هنا على نحوٍ قادرٍ على تفسير ما حدث.

أفادت التَّحقيقيات الفيدرالية الأمريكيَّة في النَّقل الحيِّ للحدث، ونقلت ذَلكَ كلُّ وسائل الإعلان حينها، أنَّ الركاب سمعوا بما حدث فقرروا السَّيطرة على

الوضع ومنع المختطفين من تنفيذ مآربهم، واستدلوا على ذلك من مكالمة هاتفيَّة أو مكالمات أجراها الركاب مع ذويهم.

علَّقنا على المعرفة والمكالمات في غير هٰذا المكان، ولٰكنَّ مع ذٰلكَ نقول: هٰذا كلامٌ جميلٌ. إذا كان هٰذا هو ما حدث فعلاً في حقيقة الأمر. فهذا هو ما أرّق الإدارة الأمريكيَّة المختصَّة ودفعها إلَى التصرُّف بإسقاط الطَّائرة بالقوَّة الَّتي هي إمَّا؛ التَّحكُّم الآلي، أو طائراتٍ عسكريَّة على الأرجح، لأنَّ الحطام المتشظِّي الذي شاهدناه للحظات لا تتعدَّى الثَّواني يجعلنا نستبعد أنَّها لم تتعرض لاعتداء في الفضاء.

لماذا نقول ذٰلكَ؟

لأنَّ سيطرة الرُّكاب على الوضع، كما هو مفترضٌ منطقيًّا وإعلاميًّا، يعني باحتمالٍ أعظميٍّ عودة الطَّائرة بسلامٍ إلَى مكانٍ ما. وعودتها بسلامٍ إلَى أيِّ مكانٍ يعني ظهورَ الحقيقة جليَّةً، وهٰذه الحقيقة هي: إمَّا أنَّ المختطفين من القاعدة، أو أنَّهم ليسوا من القاعدة، ومن ثَمَّ القبض على المختطفين والتَّحقيق معهم أيًّا كانوا، أو أنَّهُ لا يوجد مختطفين أبداً، أو أنَّهُ لا يوجد ركَّاب أصلاً في الطَّائرة، أو أنَّهُ لا يوجد طائرةٌ على الإطلاق!! ولا أظنُّ أنَّ ثَمَّةَ احتمالات أُخْرَى يمكن توجد.

من الواضح تماماً أنَّ كلَّ الاحتمالات السَّابقة لن تخدم المخطَّطات الأمريكيَّة على الأقلِّ، وستفضحها على الأكثر.

الاحتمال الوحيد الذي يخدم الولايات المتحدة، نظريًّا فَقَطْ، هو القبض على المختطفين إن كانوا من القاعدة فعلاً والتَّحقيق معهم. والسؤال الذي سيثيره كلُّ المتابعين هنا هو: لماذا إذن أسقطت الطائرة، بعدما تأكَّد لنا صعوبة قبول

سقوطها من دون فاعلٍ خارجيٍّ؟ ولماذا لم تستغل الولايات المتحدة هٰذه الفرصة الذهبيَّة الَّتي لا تتكرَّر؟

هذان السُّؤالان يقومان على افتراض أنَّ القاعدة هي المنفِّذُ الحقيقي للعمليَّة. ولكن لأنَّ ثَمَّةَ أسرارٌ لم تكتشف بعد، وألغازٌ لم تحلُّ، والحقائق كلُّها تشير إلَى ضلوع الإدارة الأمريكيَّة بالعمليَّة. لم تجرؤ هٰذه الإدارة على السَّماح للطَّائرة بالعودة بسلامٍ، لأنَّ عودتها بسلامٍ، كما أشرنا ستكشف الحقيقة بجلاءٍ، وهٰذا ما لا ينبغي أن يكون. ولذلك كان من الضَّروريِّ التخلُّص منها، هٰذا إن كانت موجودة فعلاً.

والذي يؤكِّد هٰذا خير تأكيدٍ هو ما قاله الإعلام الأمريكي، وتناقلته وسائل الإعلام، عن قيام الطَّيران العسكري الأمريكي بملاحقة هٰذه الطائرة، وتتبُّعها. والذي يجب أن يسأله الكثيرون هنا هو: لماذا تداعى سلاح الطيران الأمريكي لملاحقة هٰذه الطَّائرة واعتراضها دون الطائرات الأُخْرى على الرَّغْمِ من أنَّ الطائرات كلُّها، فيما هو مفترضٌ، وفيما تناقلته وسائل الإعلام نقلاً عن الإعلام الأمريكيَّة، قَدْ أرسلت برقيات تحذير، أو على الأقل عُلِمَ أنَّها قَدْ اختطفت؟؟!!

ليس من جوابٍ على هٰذا السُّؤال إلاَّ أنَّ سيطرة الرُّكاب على الوضع ستفضح الحقيقة إن كان يوجد ركَّاب على متن الطائرة، أو أنَّ العمليَّة قَد انتهت ولا حاجة للمزيد، أو أَنَّهُ لا يوجد طائرة أصلاً، ويتعزَّز هٰذا الاحتمال مع ثبوت عدم وجود طائرةٍ مرتطمة بالبنتاچون.

طائرة البيت الأبيض

في غمرة الحدث، وبُعَيْدَ ارتطام الطَّائرة الثَّالثة (المفترضة) بمبنى البنتاچون، وَرَدَ خبرٌ على عجلٍ يقول: إنَّ طائرة أُخْرَى ارتطمت بالبيت الأبيض. وبالفعل شاهدنا على شاشتي الجزيرة والـ سي إن إن، على الأقلّ، دخاناً يتصاعد من خلفيَّة البيت الأبيض. ولٰكن ما هي إلاَّ دقائق حَتَّى سارع المراسلون إِلَى نفي الخبر وتأكيد أنَّ ما حَدَثَ ليس إلا نفاياتٍ تحترق في الباحة الخلفيَّة للبيت الأبيض. وانقطعت أخبار هٰذا البيت، ولم يعد أحدٌ إِلَى ذكره من قريبٍ ولا من بعيدٍ.

نعرف التهاب فضول الصحافيين الذي لا يطفئه بردٌ ولا ماءٌ، ونعرف تعطُّش وسائل الإعلام لسبقٍ مهما كان نوعه، ولٰكن على الرَّغْمِ من ذٰلكَ لم نجد من يفتح باب البيت الأبيض ثانيةً ليتأكَّد من الخبر، أو ليؤكِّد ما قيل. حَتَّى في الحوارات الَّتي نافت عن عشرات الآلاف لم يرجع أحدٌ إِلَى هٰذا الموضوع في حدود علمنا.

لماذا؟ لم ندر لماذا! رُبَّما تكون مصادفةً. وما أجملها من مصادفةٍ عندما يُجْمِعَ الكلُّ على عدم العودة إِلَى موضع جدٍّ حسَّاسٍ يستثير الفضول بكلِّ قوَّة وجاذبيَّة.

من المحتمل جدًّا أن يكون الهلع الأمريكيِّ، باستثناء الذين لا يجزعون ولا يهلعون منهم، جعل الإعلام يَحْسَبُ من غير تفكيرٍ أنَّ الدُّخان المتصاعد من البيت الأبيض هو نتيجة ارتطام طائرة أُخْرَى به. ولٰكنْ كان الدُّخان أقرب إِلَى البياض منه إِلَى السَّواد. رُبَّما كان معدًّا إخراجيًّا لتوظيفه على أَنَّهُ نتاج تحطُّم طائرة!!

قَدْ يكون هناك طائرةٌ وقد لا يكون، وأيًّا كان الأمر فإنَّ الحقيقة لن تتغيَّر. فإذا كان هناك طائرةٌ فعلاً وأنكرتها الولايات المتحدة فهذا دليلٌ على قيام الولايات المتحدة بتزوير الحقائق، لا سيما قوائم أسماء المتهمين. وسنسأل هنا، في هٰذا الاحتمال المستبعد، سؤالاً واحداً: لماذا لم تصب هٰذه الطائرة هدفها في حين أصابت كلُّ الطائرات الأُخْرى عيون أهدافها بدقَّةٍ مازالت تدهش المختصين؟ رُبَّما كان خاطفو هٰذه الطَّائرة من الهواة الذين اكتفوا بتعلم الطيران من كتاب: كيف تتعلم الطَّيران في خمس ساعات بدلاً من خمسة أيَّام!!

لَقَد أراحتنا الولايات المتحدة الأمريكيَّة بنفيها وجود طائرةٍ جملةً وتفصيلاً، ومنعت أيِّ واحدٍ من خوض غمار هٰذا الموضوع.

حسناً، سنقبل هٰذا الاحتمال، وهو الأقرب إِلَى الحقيقة، ومن شبه المؤكَّد أَنَّهُ الحقيقة. فهل تنتهي المشكلة عند هٰذا الحدِّ؟

هنا تبدأ المشكلة، ويبدأ دليلٌ جديدٌ لتأكيد اتِّهام الولايات المتحدة الأمريكيَّة بالضلوع بالتفجيرات، إِلَى جانب الأدلَّة الدَّامغة الأُخْرى الَّتي يكفي بعض بعضها لليقين بأنَّها الواقف وراء أحداث الحادي عشر من أيلول.

رُبَّما يبدأ الدَّليل بسؤالٍ صغيرٍ لن نعوِّل عليه كثيراً وهو: من الذي أوصل خبر الدُّخان إِلَى الإعلام الأمريكي الذي قال إنَّه ناتج عن ارتطام طائرةٍ بالبيت الأبيض، وعن الإعلام الأمريكي نقلت وسائل الإعلام الخبر وذهبت إِلَى البيت الأبيض؟

إنَّ كان الأمر مصادفةً فهو من عجائب المصادفات، ليس بذاته، ولا لذاته، وإنَّما لأنَّ المصادفات في هٰذا اليوم، احتماليًّا، أمرٌ لا يصدِّقه الخيال، ويكفر به الواقع!!

إنَّ حقيقة ما حدث في ظننا أو تحليلنا هي التالي: إنَّ اندلاع النِّيران الَّتي أثارت الدُّخان في البيت الأبيض ليست إلا جزءاً من السيناريو الكامل للحدث الذي رسمته ونفَّذته جهةٌ مختصَّةٌ من الإدارة الأمريكيَّة. فهي:

أولاً: إمَّا أنَّ هٰذه الجهة الأمريكيَّة أرادت أن تستثمره في تضخيم الهجوم الإرهابي المزعوم على الولايات المتحدة الأمريكيَّة، ولكِنَّها عندما رأت أنَّ ردود الأفعال على الحدث كانت من القوَّة بما يكفي للاستغناء عن فكرة الهجوم على البيت الأبيض، حَتَّى لا تبدو الولايات المتحدة مخلَّعةً ومهترئةً إلَى درجةٍ لا تصدَّق.

ثانياً: أو أنَّ ما حدث البيت الأبيض كان جزءاً من الخطة الاحتياطيَّة في حال إخفاق أو تعثُّر أيٍّ من الطائرات الأُخْرى؛ الحقيقيَّة أو الافتراضيَّة. ورُبَّما يكون من المفيد هنا تذكر أنَّ هٰذا الدُّخان تصاعد بعد دقائق فَقَطْ من اندلاع حرائق البنتاچون.

ثالثاً: يبدو أنَّ الولايات المتحدة كانت تخشى، لسببٍ أو لآخر، من تعثر الطائرة/ الصَّاروخ الموجه إلَى البنتاچون. ولذٰلك لا بدَّ من بديل يؤدِّي النَّتيجة ذاتها، فلو لم تقتحم طائرةٌ أو صاروخٌ مبنى البنتاچون لأمكن، كما أشرنا سابقاً، أن يرجِّح الكثيرون احتمال أن يكون الحادث عرضيًّا، أو مصادفةً، أو غير ذٰلكَ مما يبعد احتمال تعرض الولايات المتحدة لهجمة إرهابيَّة. وقد بيَّنا ذٰلكَ في الفصل الأوَّل.

رابعاً: من المؤكَّد أنَّ الولايات المتحدة لم تكن تتمنَّى استخدام هٰذه الورقة، لأنَّها ستكون إهانةً لا يمكن نسيانها مدى التَّاريخ سيَّان تَمَّ اكتشاف حقيقة قيامها هي بهٰذه العمليَّة، أم كان عدوٌّ ما هو فعلاً الذي قام بها.

خامساً: أمرٌ آخر منع الجهة المختصَّة من استخدام ورقة البيت الأبيض، وهو الأكثر خطورةً على الإطلاق، هو أنَّ البيت الأبيض هو بيت الرئاسة. وهٰذا يعني أنَّ الرئيس، وأيُّ رئيس قادم، لن يأمن على نفسه من وجوده في أيِّ مكانٍ، وسيزداد الأمر خطورة إذا علم أنَّ جهة ما في إدارته هي الَّتي نفَّذت العمليَّة، وهٰذا ما سيؤدِّي إلَى ردود أفعال وممارسات يقوم بها الرئيس تؤدِّي إلَى الحدِّ من دور الجهات الَّتي تهدِّد أمنه وسلامته. وهٰذا ما سيؤدِّي بمعنى من المعاني إلَى تعطيل المشروع الأمريكي الذي لا يعدُّ الرئيس فيه إلا حجر شطرنج ينفِّذ ما يقدَّم إليه، مع استثناءاتٍ تترك لبداهة الرئيس ومهارته في قيادة الدولة.

سادساً: ومن الأمور الَّتي حالت دون استخدام ورقة البيت الأبيض تلك الطائرة الصَّغيرة الَّتي هبطت في حديقة البيت الأبيض منذ سنوات قليلةٍ، وأدَّت إلَى وضع نظام حمايةٍ دقيقٍ للبيت الأبيض والبنتاجون على نحو الخصوص. فلو استخدمت ورقة البيت الأبيض في الحدث لكان ذٰلكَ أمراً محرجاً، ورُبَّما مفضوحاً أكثر مما يحتمل.

سابعاً: ومن المؤكَّد على أيِّ حال أنَّهُ لو أخفق أيُّ عنصرٍ سابقٍ من عناصر الحدث في إصابة هدفه لما كان هناك أيُّ مانع من استخدام ورقة البيت الأبيض بوصفها جزءاً من العمليَّة، ولكان العالم كله يتحدث عن طائرة اقتحمت البيت الأبيض.

الفصل الخامس

الصناديق السوداء

قبل أحداث أيلول ٢٠٠١م بنحو عامٍ
هَوَت على نحوٍ مفاجئٍ طائرةٌ مصريَّة تقلُّ ثلاثاً
وثلاثين ضابطاً بينهم ثلاثةٌ من كبار الضُّباط
الاختصاصيين بالإلكترونيات.

أقلعت الطَّائرة بأمانٍ ونجاحٍ من مطار أمريكيٍّ عائدةً إلى القاهرة. ولكِنَّها، وعلى نحوٍ مفاجئٍ، ومن دون أيِّ تحذيرٍ أو إنذارٍ نكست رأسها وهوت إِلَى عمق البحر. وهي الطَّريقة ذاتها الَّتي هوت بها طائرةٌ فرنسيَّة في المنطقة ذاتها قبل ذَلكَ بأشهرٍ. وهٰذه الطريقة لا تختلف كثيراً عن الطَّريقة الَّتي اقتحمت بها الطائرتان برجي مركز التجارة العالمي بنيويورك.

لن نناقش هنا ولن نقارن، فلذَلك موضعٌ آخر. وإنَّما الذي يعنينا هنا هو ما يسمَّى الصندوق الأسود للطائرة المصريَّة، غاصت المباحث الأمريكيَّة في أعماق البحر واستطاعت الحصول على هذا الصندوق. وفتحته، واستمعت إِلَى ما فيه، وأعلنت أنَّ العمليَّة عمليَّة انتحاريَّة أقدم عليها الطيَّار. وطلبت إقفال النقاش في الموضوع.

نتيجةٌ غريبةٌ وسلوكٌ أكثر غرابةً. فالطيار المتهم بالإقدام على الانتحار، فارضاً سلوكه الانتحاري على أكثر من سبعين من مواطنيه، رجلٌ مؤمنٌ، تقيٌّ، لا يعاني من أيِّ مشكلةٍ، ولا من أيِّ مرضٍ، ولا من أيِّ خللٍ نفسيٍّ، وهٰذا يعني بكلِّ الموازين عدم تقبل فكر إقدامه على الانتحار إطلاقاً.

فما الدليل الذي استندت إليه الولايات المتحدة للحكم بأنَّهُ أراد الانتحار، واستجر معه نحو سبعين راكباً على مشاركته وجبته الانتحاريَّة؟

رفضت الولايات المتحدة بادئ الأمر تقديم أيِّ دليلٍ! المطلوب هو التصديق من دون مناقشةٍ. ورفضت إطلاع أحدٍ على نتائج التحقيق، وعلى محتويات الصندوقين الأسودين.

لم يتقبل أحدٌ ذَلكَ. وقد أصرَّ على الاطلاع على محتويات الصندوقين الأسودين. وبعد محاولاتٍ اضطر الأمريكيون للرضوخ، رُبَّما على أمل ألاَّ يعلن المصريون شيئاً، ورُبَّما لأسبابٍ أخرى. ولكنَّ الدَّليل على الانتحار ظهر أخيراً.

وما هو هٰذا الدليل؟

لَقَد كان آخر ما قاله الطيار، وهو المسجل وحسب: (تَوَكَّلْتُ عَلَى اللهِ).

لَقَد كان هٰذا الدَّليل صفعةً للمصريين، وللعالم الإسلامي، ورُبَّما لكلِّ مؤمنٍ بالله في العالم من أيِّ دينٍ كان.

لو كان هو قائد إحدى طائرتي البرج وقال ذَلكَ لرُبَّما كان هٰذا دليلاً على أَنَّهُ مقدمٌ على الانتحار. ولٰكن ما عسى تكون دلالتها إن كان يهوي بالطائرة إِلَى أعماق المحيط الأطلسي؟ رُبَّما كان يرجو ألا يجد شبكة صيد السَّمك خاليةً، أو رُبَّما تمنَّى أن يكون الحوت الذي سيصطاده كبيراً، أو رُبَّما أسقط في يده عندما وجد الطَّائرة خارج سيطرته فسأل الله أن ينجيه ومن معه. ولٰكن أن يقدم على الانتحار وهو يقول: توكلت على الله، فهذا ما لا يقبله مسلمٌ حَتَّى ولو رأى ذَلكَ بأمِّ عينه، حَتَّى المسيحيين لا يقبلون ذَلكَ.

إنَّ هٰذا الدَّليل على أنَّ الطيار قَدْ انتحر، بغضِّ النَّظر عن شخصيَّة الطَّيار وأخلاقه وحالته الماديَّة والمعنوية، يحتاج إِلَى مزيدٍ من التَّهكُّم، والمناقشة السَّاخرة. وأظنُّ أنَّ المناقشة الجادَّة فيها شيءٌ من عدم احترام الذَّات، أو المتلقي. وعلى الرَّغْمِ

من ذلكَ أرادته الولايات المتحدة دليلاً على أنَّ الطيار قَدْ انتحر، وأرادت من العرب والعالم أن يقتنع به.

حسناً، إنَّ هٰذا الدَّليل على أنَّ الطيار أراد الانتحار، لا يعدو كونه تمادياً في الاستخفاف بالعقول، والإدارة الأمريكيَّة تدرك ذلكَ فيما أظنُّ، وعلى الرَّغْمِ من ذلكَ لم تستح الإدارة الأمريكيَّة من إعلانه دليلاً على أنَّ الطَّيار هو الذي أراد الانتحار، وكان من الممكن جدًّا أن تُجَنِّبَ نفسها كلَّ هذا الحرج وتقول إنَّ خللاً تقنيًّا هو الذي أسقط الطَّائرة.

لماذا أصرَّت على ازدراء كلِّ العقول؟ هٰذا هو الطَّبعُ الأمريكيُّ، وهٰذه هي السِّياسة الأمريكيَّة. ولٰكنَّ الأمر يتجاوز بنية التفكير هٰذه إلى أنَّ ثَمَّة مشروع تمهد له، وهو تكريس صورة الانتحاري المسلم في العقل الغربي... يجب أن يتعود العقل الغربي وحَتَّى العالم العربي والإسلامي على هٰذه الصَّورة للإسلاميين: إنهم انتحاريون. وذلكَ من أجل تمرير أحداث أيلول بسهولة، وتمرير حربها على الإسلام بصورة الإسلاميين في الثَّقافة الغربيَّة المؤهلة أصلاً لذلك. فبعد صورة العربي على أنَّهُ البدوي المتلحف التي وسمت العقلية الغربية طيلة القرن العشرين جاءت الصورة الجديدة: الانتحاري، الإرهابي، العدواني...

الاستخفاف بالعقول الذي تفرضه السياسة الأمريكية علينا وعلى الشعوب هو نوع من التنويم المغناطيسي، نوم من فرض إيقاع الاستسلام للقرار الأمريكي من دون مناقشة. ودليلنا الساطع على ذلكَ، في أحداث أيلول، أنَّ التَّحقيقات الأمريكيَّة أعلنت بعد أيامٍ من الحدث، وبكلِّ وقاحةٍ وصفاقةٍ أنَّها وجدت جواز سفر أحد (الإرهابيين السُّعوديين المتهمين بتنفيذ العمليَّة) في حطام برجي مركز

التجارة العالمي، ولكنَّها عبثاً تحاول أن تجد الصَّندوق الأسود لأيٍّ من الطَّائرتين اللتين ارتطمتا بالبرجين!!

لَقَد صحَّ القول: «شرُّ البليَّة ما يضحك». وها هنا التَّطبيقُ العمليُّ المعبِّرُ عنها. فشدَّة الهلوسة الَّتي وَقَعَ فيها الأمريكيون جعلتهم يتصرَّفون تصرُّفات تفرض على الإنسان الضَّحِكَ وهو في ذروة ألمه وحزنه على الأمريكيين أنفسهم.

لم يجدوا من غضاضةٍ أبداً في القول إنَّهُم وجدوا جوازَ سَفَرِ أحد ركاب الطَّائرة الَّتي ارتطمت في الطَّوابق العشر العليا من بناء يتألف من مئة وعشر طوابق، بعدما التهمت النيران هٰذه الطَّائرة وهٰذه الطَّوابق العشر، وانهار البناء كلُّه. وتحديداً جواز سفر أحد الخاطفين الانتحاريين وليس غيره. في حين تعذَّر العثور على الصَّناديق السَّوداء الأربعة[٥٠] الَّتي تتحمل أضعاف درجة الحرارة الَّتي أكلت البرجين بألف مرَّة، إضافة إِلَى كونها ترسل إشارات ترشد الباحثين عنها!!! يعني أن الباحث عن الصناديق السوداء للطائرة لا يتعب، الصَّناديق السوداء هي التي تناديه وتستنجد به أن يلتقطها ويحملها.

سنسير مع الزَّعم الأمريكي الباطل القائل بأنَّ شدَّة الحرارة صهرت الصَّناديق الأربعة على الرَّغْمِ من عدم وجود محقِّقٍ في أمن الطَّيران يقبل التَّسليم به. أفلا يحقُّ لنا أن نسأل عن صندوقي طائرة البنتاچون، وصندوقي الطَّائرة المحطَّمة في ولاية بنسلفانيا، وكلتاهما لم تؤدِّيا إِلَى نيران تصهر الصناديق، وخاصَّةً طائرة بنسلفانيا الَّتي لم يصبها أكثر مما يصيب أيٍّ طائرة ساقطة من أعالي السَّماء في أيِّ مكان من الأرض.

---

٥٠ ـ من باب الإشارة والتذكير فَقَطْ نبين أَنَّهُ يوجد صندوقان أسودان في كلِّ طائرة، تحسباً من ضياع أحدهما أو تعرضه للتلف؛ قبل أو بعد الحادث الذي يصيب الطائرة.

من محض العبث الاعتقاد بصدق الأمريكان في أنَّهم لم يجدوا الصَّناديق. بل حَتَّى محاولة التَّفكير في تصديقهم في ذَلكَ ليست إلا ضرباً من الحماقة الَّتي أعيت من يداويها. لَقَد وجدوا الصَّناديق كلَّها على الأرجح، ومعظمها على الأقل. لم يعلنوا إلا عن صناديق الطَّائرة الَّتي سقطت/ أسقطت في ولاية بنسلفانيا لأنه ضرب من الجنون الخالص أن ينكروا أنهم وجدوها. ولكنَّهُم لم يعلنوا أبداً شيئاً عما في صندوقيها، على الرَّغْمِ من أنَّهم زعموا أنَّهم عرفوا ما دار في الطَّائرة قبل سقوطها من خلال المكالمات الهاتفيَّة الَّتي أجراها بعض الركاب قبل سقوطها، وكان وأعلنوا ذَلكَ والطائرة لم تزل في السَّماء. فلماذا لم يعلنوا محتوى صندوقيها الأسودين؟؟!!

الاحتمال الأكثر ظهوراً هو أنَّ اختلافاً كان بَيْنَ ما أعلنوه قبل سقوط الطَّائرة وما وجدوه بعد سقوطها. أي، بمعنى آخر، إنَّ الاستخبارات الأمريكيَّة كانت تصنع الحدث من الأرض بغضِّ النَّظر عما يدور في السَّماء، بمعنى أَنَّهُ لم تكن هناك مكالماتٌ هاتفيَّة أصلاً، ولا أناس يهدِّدون باللغة العربيَّة، ولا بلغةٍ إنجليزيَّة غير سليمة...!!

رُبَّما تكون الإدارة الأمريكيَّة قَدْ أعلنت عن العثور على صندوق آخر أو أكثر، ولٰكنَّ المؤَكَّد تماماً هو أنَّها رفضت، وترفض بالإطلاق إظهار محتويات أيِّ صندوقٍ من الصَّناديق. وعلى الرَّغْمِ منَّا سيفلت من لساننا عفويًّا سؤالنا: لماذا؟

من أغرب الاحتمالات وأبعدها عن الخيال هو أن يكون في الصَّناديق، بل في واحدٍ منها فَقَطْ، ما يدين المتهمين المعلنة أسماؤهم، أو واحداً منهم، ومع ذَلكَ تخفيه الإدارة الأمريكيَّة. ولكنَّ سياق الحدث منذ البداية يؤكِّد أنَّ الولايات المتحدة كانت تحاول عبثاً أن تجدَ أدنى إشارة تدين القاعدة أو أيٍّ من عناصرها لتعلنه على

الملأ، ولكن عبثاً تحاول، وقد فرضت على العالم أن يقبل الإدانة لمحض الإرادة الأمريكيَّة في ذَلكَ من دون أيِّ دليلٍ أو شبهة دليلٍ.

وبالقياس إلَى ما نعرفه، وما أعلناه في هٰذا الكتاب على الأقل يمكن القول وبكلِّ جرأة: لو وجدت الإدارة الأمريكيَّة حجَّةً أكثر سخافة بعشرات المرَّات من حجَّة اتهام الطيار المصري بالإقدام على الانتحار تحتمل أن تكون شُبهةَ شبهةَ دليلٍ على إدانة ولو واحدٍ من المتهمين، أو العرب لما تورَّعوا لحظةً عن إعلانها والتَّطبيل والتزمير لها بكلِّ الألسن واللغات والإشارات. ولٰكن يقيناً لا يرقى إليه شكٌّ لم يجدوا في الصَّناديق إلا ما يؤكِّد ضلوع الإدارة الأمريكيَّة في إدارة الحدث وتوجيهه، لأنَّهُم لو لم يجدوا في الصَّناديق شيئاً على الإطلاق لأعلنوا ذَلكَ وأراحوا أنفسهم من أن تُحْشَرَ في زاوية الشُّبهات.

هنا ينفتح الباب واسعاً على على مسألةٍ مهمَّةٍ تُوصِلُ إلى أدلةٍ جديدةٍ أو تحوم حول أدلَّةٍ جديدةٍ على أنَّ الولايات المتحدة هي أم الحدث وأبوه، هي المؤلف والمخرج والمنتج والممثلون... إنَّهَا مسألة التَّحكم بالطَّائرات من خلال الأقمار الصنعيَّة، أي من خلال غرفة التَّحكم في الاستخبارات الأمريكيَّة.

قبل أحداث الحادي عشر من أيلول بنحو السَّنة على الأقل دار الحديث في أروقة مؤسَّسات الطَّيران عن المشروع الأمريكي الجديد لربط حركة الطيران بالأقمار الصُّنعيَّة، تقليلاً للحوادث كما قيل، فالأقمار الصُّنعيَّة برامج إلكترونيَّة قادرةٌ على إدارة الطُّرق الجويَّة بمهارةٍ رياضيَّةٍ عاليةٍ جدًّا تفوق قدرات الإنسان بملايين المرات. المسألة ليست صعبةً على الإطلاق كما قد يظنُّ الكثيرون. فكلُّ طيَّارة أصلاً فيها طيارٌ آليٌّ يستطيعُ أن يتحكَّم بالطائرة وفق برمجيات معيَّنة. وربط هٰذا الطَّيار الآلي بالأقمار الصنعيَّة أمر سهلٌ يسيرٌ جدًّا.

عندما سقطت طائرة الضُّبَّاط المصريَّة بعد إقلاعها في المحيط الأطلسي بعد إقلاعها بدقائق دار الحديث في إمكانية أن يكون السَّبب هو فرض السَّيطرة الإجباريَّة على الطَّائرة. والتَّحكم بها وإسقاطها، تجريباً لإمكانيَّة التَّحكم بالطائرات. أنا شخصيًّا لا أستبعد هٰذا الاحتمال ولم أستبعده حينها، ولم أستبعد أن يكون هٰذا حال الطَّائرة الفرنسيَّة التي سبقت هٰذه الطَّائرة المصريَّة بنحو شهرين. هٰذا ليس وهم المؤامرة. ولا خيالاتٍ هوليوديَّةً. الولايات المتحدة قادرةٌ على هٰذه الجرأة الوقحة، ولنا معها في ذٰلكَ تاريخٌ طويلٌ.

حسناً لنفكِّر في الحدث على أساس أنَّ الاختطاف كان إلكترونيًّا. هٰذا الاحتمال كان حاضراً في السَّاعات الأولى من الحدث. كان احتمالاً حاضراً في أذهان كثيرين وليس مؤلف هٰذا الكتاب وحسب. كان حاضراً في الأذهان استكمالاً للمشروع الأمريكي والمخطَّط الأمريكيِّ، وليس محض احتمالٍ من باب استكمال الاحتمالات.

الولايات المتحدة بعد انهيار الاتحاد السوفيتي وَجَدَتْ نفسها أمام ضرورة أن تملأ الفراغ الذي انسحب معنه الاتحاد السوفيتي وخلَّفه بانهياره. هٰذا ضرورةٌ لا بديل عنها، لأنَّ عدم ملئ هٰذا الفراغ سيتيح لقوى متعدِّدة أن تملأه، الأمر الذي سينعكس سلباً وخطراً على الولايات المتحدة. ولذٰلك تسارعت وتائر العمل والتَّخطيط على مختلف الأصعدة من أجل الانتشار الاستراتيجي واللوجستي في العالم وبسط نفوذها. وكان موضوع التَّحكم الإلكتروني عبر الأقمار الصناعيَّة بحركة الطيران أحد هٰذه المجالات. والتَّحكم بحركة الطَّائرات منفتح الخيارات أمام من يتحكَّم بها، ومنها أن يحوِّلُ الطَّائرة إلى صاروخ يقتحم طائرةً أخرى، أو برج مطارٍ، أو برج التِّجارة العالمي مثلاً. ومن وجهة نظري أنَّ برج التِّجارة العالمي مرحلةٌ أو

عيِّنةٌ تجريبيَّةٌ لمراحل قادمة فيما لو احتاجت الولايات المتحدة أن تستثمر الطيران العالمي في أيِّ عمليَّة، أو ردًّا على أيِّ تهديدٍ أو هجومٍ فعليٍّ؛ مئات آلاف الطَّائرات تكون محلِّقة في الفضاء كلَّ ساعةٍ. من سيجرؤ حينها على تهديد الولايات المتحدة وهي قادرة بكبسة زرٍّ على أن توجِّه آلاف الصَّواريخ القريبة إلى الهدف؟!

على أيِّ حالٍ ليس من الضَّروري أن تفعل ذَلكَ. ورُبَّما لا تفعل، ولٰكنَّ امتلاك القدرة وحده هو الأمر الخطير. ويكفي التَّأكد من هٰذه الإمكانيَّة بعدة تجارب رُبَّما تكون الطائرتان الفرنسية والمصرية ثمَّ طائرتا برجي مركز التِّجارة العالمي هي العيِّنة الأساسيَّة. وإذا ربطنا ذَلكَ ببقية عناصر التَّحليل السَّابقة وقع الاختيار على برجي التِّجارة العالمي، إلى جانب أسباب أخرى سنأتي عليها في الباب الثالث بفصوله.

أرجو أن لا ننظر إلى الأمر باستخفافٍ. الأمر ممكنٌ جدًّا. إنَّ دولةً بالعقليَّة الأمريكيَّة، تريد السَّيطرة على العالم، وتؤمن بأنها الشُّرطي العالميُّ الذي لا يجوز أن ينازعه أحدٌ القيادة وحَتَّى الحياة، وأنَّهُ من حقِّ هٰذا الشُّرطي أن يبيد أيَّ شعبٍ يشذُّ عن القوانين والضَّوابط الأمريكيَّة، وهنا مفكرون سوَّغوا لها ذَلكَ... لا يُستبعد أن يفكر بهٰذه الطريقة، ولا يستبعد أن يقوم بذَلكَ فعلاً[٥١]. ولماذا نستبعد ذَلكَ أصلاً ونحن نعلم أنَّ قيادة الدِّفاع الأمريكيَّة NORAD. من أبرز خبراء العالم في مجال التَّحكم بالطائرات عن بعد. وإذا كانت الفكرة والتجارب بدأت منذ أكثر من نصف قرن، فإنَّ هناك نوع جديد من التكنولوجيا اسمها global hook أي

(٥١). ناقشنا مثل هٰذه الفكرة في كتابنا: **كيف ستواجه أمريكا العالم**. دار الفتح. دمشق. ١٩٩١م.

التَّحكم الكلي[٥٢] طورتها وزارة الدفاع الأميركية منذ عام ١٩٩٧م تسمح بالتَّحكم في طائرة ركَّابٍ عن بعدٍ انطلاقاً من الأرض على رغم إرادة الطَّيارين، وفي ظروف مثل هٰذه نرى أنَّهُ من الممكن أن لا يكون الخاطفون في الطائرات، وكان من الممكن قيادة تلك الطَّائرات عن بعد، رُبَّما – أقول – لم يكن أيُّ خاطف على متن الطَّائرات.

ولٰكنَّ بعض الأمريكان طرح الأمر في الاتجاه المقابل متسائلاً: لماذا لم يستخدم رجال الدِّفاع الأمريكي هٰذه القدرة لصدِّ الهجوم؟ وأضاف بعضهم: رُبَّما يكونون هم من وجَّه هٰذه الطَّائرات بالتَّحكم عن بعد.

تيري ميسان وضع هٰذا الاحتمال في باله، بل قدَّم دليلاً على ترجيحه. نظر إليه من زاويتين. قال «قبل الاصطدام بلحظاتٍ التقطت بعض أجهزة الراديو البسيطة ذبذباتٍ صادرةً عن جهاز تحكُّم عن بعد من داخل أحد برجي مركز التِّجارة العالمي.. وقد تمكَّنت أجهزة الراديو تلك من التقاط الذَّبذبات بسبب تداخلها مع الموجات الصَّادرة عن هوائيَّات التلفاز والفيديو المثبتة في قمة المبنى...»[٥٣]. وعلَّق على ذٰلكَ قائلاً: «فهل استخدم منفِّذو العمليَّة جهاز تحكُّم

---

(٥٢) . ترجمنا هٰذه العبارة بالتحكم الكلي بوصفها الترجمة الأقرب لمضمون العبارة بمفردتيها علماً بأن مفردتي الترجمة ليستا من مفردات معاني الكلمتين، فكلمة hook تعني: الخطَّاف، الصنارة، الشرك، العقيفة، الكُلاَّب... وهي معاني مقصودة في الاختيار بدلاً من التحكم. control لأنَّ التحكم فيه برمجة وضبط وتنظيم وتوجيه إلَى جانب كونها اسم جهاز القيادة في الطائرة، بَيْنَما hook فيها تدخل فوق إرادة الطيار بما يفيد المعاني المشار إليها. أما كلمة global فتعني شامل، عالمي، كروي... وليست الكلية من معانيها، وعلى الرَّغْمِ من ذٰلكَ فقد فضلنا عليها الكلية لأن المقصود هو التحكم بكل الطائرة لا بشمول عناصرها وأجزائها، وقد استخدمت global في الأصل لأن المقصود أيضاً هو جعل هذا النظام عالميًّا تتحكم به الولايات المتحدة بحركة الطائرات في العالم كله.

(٥٣) . تيري ميسان: م. س.

وضعوه في البرج وجعلوه كالفخ الذي توجَّهت إليه الطَّائرة التي كانت تسير سيراً آليًّا؟». وللعلم كما يقول **ميسان**، والحقيقة كذلكَ: إنَّ تفعيل وضعيَّة الطيار الآلي لا تتطلَّب وجود منفِّذين لعملية إقحام الطَّائرات بالأهداف، أي البرجين هنا. يمكن التَّحكم بهٰذه الطائرات من دون الحاجة لوجود أيِّ إنسانٍ على متنها.

ويتابع **ميسان** هٰذا التَّحليل بأنَّ الدَّلائل تشير إلى الحدث كان عملاً داخليًّا، تمَّ عن طريق التَّحكم بالطائرات عن بعد، ومتفجِّرات وضعت في قواعد أبراج التِّجارية العالميَّة. ويرى **ميسان** أنَّ هناك سبباً أو غايةً لذٰلك وهي «أن تبدأ حرباً عالميَّةً ثالثةً عن طريق خداع الأمريكان لدعم هجومٍ أمريكيٍّ على العالم العربيِّ»[٥٤]. هٰذا رأي **ميسان**، وسنعود للتوسع في الغاية أو الهدف في الباب التَّالي.

على افتراض أنَّ هٰذه الرؤية خاطئة، وليست واقعيَّة، وليست حقيقيةً، ما الذي ستغير في الأمر؟

ما الذي سيجعل هٰذا الاحتمال غير ممكن أو غير واقعي؟

هل هناك فرق بَيْنَ الإعدام بالسكين والقنبلة والصارخ والغاز والكهرباء والتحكم عند بعد أو قريب؟ وعلى أيِّ حالٍ، إنَّ حذف هٰذا الاحتمال لا يعني شيئاً ولا يغير شيئاً أبداً. فكلُّ الاحتمالات تؤكِّد الفكرة الأساسيَّة وهي أنَّ الولايات المتحدة هي التي نفَّذت العمليَّة وليس غيرها، وهٰذا واحدٌ من الاحتمالات المؤكِّدة لهٰذه الحقيقة. إنَّ انتفاء هٰذا الاحتمال يعني أنَّ واحداً من عشرات احتمالات إدانة الولايات المتحدة بأحداث أيلول لم يعد موجوداً. ولا يعني أبداً أن أحداً غيرها سيكون مؤهَّلاً لحمل هٰذا الاتهام.

---

٥٤ . م. س.

وعلى الرَّغْمِ من ذَلكَ كلِّه فإنَّ الولايات المتحدة تتعامل مع الحدث على أَنَّهُ من صنع **ابن لادن** وتصميمه، ولهذا حقُّها فهي من صمَّم هٰذا الحدث ونفَّذه، ولٰكنَّ المصيبة أنَّ العالم كلَّه على ما بات واضحاً من هٰذه التَّفاصيل، ظلَّ يتعامل مع الحدث كما تريد الولايات المتحدة تماماً... على الرَّغْمِ من أنَّ رقاب بعضهم ثمرة لهٰذا التصوُّر. وأخصُّ العرب والمسلمين أكثر من الكثيرين.

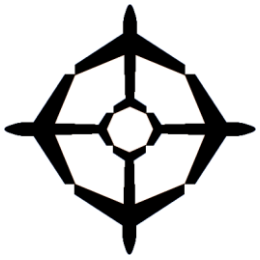

الفصل السادس

أسماء الفاعلين وحقيقتها

بعد ثلاثة أيَّام، أي يوم الجمعة الرابع عشر من أيلول/ سبتمبر عام ٢٠٠١م، أعلنت الولايات المتحدة قائمةً بأسماء المتهمين بالتَّفجيرات تضمُّ تسعة عشر اسماً؛ كلهم عرباً. وكانت هٰذه القائمة مفصَّلةً بدقَّة، على العادة الأمريكيَّة، فوزِّعَت هٰذه الأسماء حسب المصادر الأمريكيَّة على النَّحو التالي:

الطائرة الأولى: وهي الطائرة التَّابعة لشركة أميركان إيرلاينز، الرحلة ١١، التي اقتحمت البرج الشَّمالي لمركز التجارة العالمي. المتهمون باختطافها هم:

(١) وليد الشهري.

(٢) وائل الشهري.

(٣) محمد عطا.

(٤) عبد الرحمن العمري.

(٥) سطام السقامي.

الطائرة الثانية: وهي طائرة يونايتد إيرلاينز، الرحلة ١٧٥، التي اقتحمت البرج الجنوبي لمركز التجارة العالمي. المتهمون باختطافها هم:

(١) مروان الشيحي.

(٢) فايز أحمد.

(٣) مهند الشهري.

(٤) حمزة الغامدي.

(٥) أحمد الغامدي.

الطائرة الثالثة: وهي الطائرة التابعة لشركة أميركان إيرلاينز التي سقطت فوق البنتاچون في واشنطن. المتهمون باختطافها[٥٥] هم:

(١) خالد المحضار.

(٢) ماجد مقيد.

(٣) نواف الحزمي.

(٤) سالم الحزمي.

الطائرة الرابعة: وهي الطائرة التابعة لشركة يونايتد إيرلاينز، الرحلة ٩٣، التي تحطمت في بنسلفانيا. المتهمون باختطافها هم:

(١) أحمد الحزناوي.

(٢) أحمد النعمي.

(٣) زياد جراح.

(٤) سعيد الغامدي.

طبعاً ليس من المستغرب أن تعلِّق المخابرات الأمريكيَّة بأَنَّها قائمةٌ غيرُ نهائيَّةٍ. وكأنَّنا أمام مسابقة توظيفٍ تنتظر المزيد من المتقدمين. والذين يعرفون الولايات المتحدة يعرفون أنَّ كلَّ شيءٍ متوقَّعٌ بناءً على هٰذا التَّعليق.

سنسير الآن مع الزَّعم الأمريكي القائل بوجود هؤلاء فعلاً، إِلَى جانب المئات الآخرين، على متن الطَّائرات الأربع. فإذا كانوا فعلاً على متن الطَّائرات الأربع لماذا تمَّ اتهامهم جميعاً وحصراً دون سواهم من ركَّاب الطائرات الموزَّعون على

٥٥ . في الخبر الذي أورده موقع الجزيرة نت وضع هنا تحديداً عبارة: حسب المصدر، وكأنَّ ثَمَّةَ تشكيك في شيء ما لم ترد الجزيرة توضيحه، أو أنَّ لدى القناة معلومات لم تذكرها. راجع موقع الجزيرة نت: الكشف عن أسماء الخاطفين.

جنسيَّاتٍ مختلفةٍ؟ ولماذا يكونون هم دون سواهم من يقوم بهٰذه العمليَّة؟ وكلُّ ذٰلكَ قبل ظهور أيِّ دليلٍ!!

إنَّ ما حدث، على افتراض صحَّة الزَّعم بوجودهم على متن الطائرات، هو أنَّهم نظروا إِلَى اللوائح، واتهموا كلِّ من حَمَلَ اسماً عربيًّا أو إسلاميًّا. فإذا أخذنا بعين النَّظر عدم ظهور أيِّ دليلٍ حَتَّى لحظة إعلان أسماء هؤلاء المتهمين وجدنا أنَّ التَّحليل المنطقي لذٰلك يشير إلى أحد احتمالين **أولهما** أنَّ ثَمَّةَ تخطيطاً مسبَّقاً لاتهام هؤلاء أو كلِّ من حَمَلَ اسماً عربيًّا تصادف وجوده على متن الطائرات. **وثانيهما** أنَّ ثَمَّةَ تحاملاً غيرَ محدودٍ على العالم العربي والإسلامي أدى إِلَى هٰذه الانتقائيَّة الغريبة العجيبة في اتهام كلِّ من حمل اسماً عربيًّا أو إسلاميًّا من دون أيِّ دليل اتهامٍ جنائيٍّ تقبل أن تأخذ به محكمةٌ نصفُ عادلةٍ لا أكثر، ناهيك عن أنَّه لا يوجد حَتَّى الآن أدلَّةٌ تقبل أيُّ محكمةٍ، ولو تحقَّق نصف العدل على الأكثر، أن تأخذ بها لاتهام هؤلاء المتهمين.

ولكنَّ الحقيقة الَّتي تدعو إِلَى الاستغراب حَتَّى الدَّهشة هي أَنَّهُ لم يوجد أيٌّ من هؤلاء الأشخاص على متن الطَّائرات الأربع، ولا على أيٍّ منها، فقوائم المسافرين على الطَّائرات الأربع كما ذكرت جريدة الچارديان البريطانيَّة لا يوجد عليها أيُّ اسمٍ عربيٍّ على الإطلاق[٥٦]. وفي هٰذا ما يثير كثيراً من التَّساؤلات واستنتاجاً واحداً لا اختلاف عليه ولا فيه وهو أنَّ الولايات المتحدة تستهدف العرب والمسلمين تحديداً حَتَّى ولو كان الشَّيطان هو الذي قام بعمليَّات الحادي

٥٦ . ذكرت ذلك صحيفة **الجارديان** في عدد الثاني عشر من أيلول ٢٠٠١م، أي قبل ظهور قائمة أسماء المتهمين. نقلت ذلك قناة الجزيرة في اليوم ذاته في أحد تقاريرها. وذكر ذلك تيري ميسان في كتابه: **الخديعة الكبرى** الذي يتناول الأحداث، والمترجم إِلَى عدد من اللغات منها عدة ترجمات إِلَى اللغة العربية.

عشر من أيلول، هٰذا على افتراض أنَّها لم تقم هي بالحدث، وأَنَّها لا ترى عدوًّا لها ولا خطراً عليها غير العرب والمسلمين حَتَّى لو كان العالم كله ضدَّها. وهٰذا على افتراض أنَّ الفاعل ليس الولايات المتحدة الأمريكيَّة.

الغريب في الأمر أنَّ تعتيماً إعلاميًّا تامًّا قَدْ فُرض على إعلان شركات الطَّيران صاحبة الرَّحلات المزعومة عن خلو قوائمها من أيِّ اسمٍ عربيٍّ، الذي لم تنشره إلا جريدة الجارديان البريطانية هٰذا من دون عودةٍ إِلَى مناقشته، وكأَنَّهُ لم يكن.

قَدْ يعترض بعضهم بأنَّ خبر الجارديان هٰذا، أو إعلان شركات الطيران، خبرٌ كاذبٌ!!

سنقبل بهذا الاعتراض ونقرُّ أصحابه بصحَّة ظنِّهم في أَنَّهُ كاذبٌ. ولٰكنّ ألا يفرض هٰذا علينا أن نسأل لماذا؟ وما مصلحة جريدة بريطانية عريقة وعملاقة في الكذب؟ وإذا كان هٰذا الكذب لغايةٍ سياسيَّة فما هي هٰذه المصلحة السياسيَّة الَّتي تحقِّقها بريطانيا من هٰذا الكذب؟

إنَّ زعم كذب الخبر غير مقنعٍ من أيِّ بابٍ من أبواب الاحتمالات والتحليلات. لأنَّ الافتراض الأرجح بالإطلاق هنا هو أن يكون الكذب معكوساً، أي أن لا يكون هناك أسماء عربيَّة على قوائم الرحلات وتزعم الجريدة أن هناك أسماء عربيَّة لتوريط العرب أو المسلمين عموماً في هٰذه العمليَّة. ومناقشة الخبر بهٰذه الطَّريقة خطأ في الأساس لأنَّ الجارديان لم تنفي وجود عربٍ، بل نشرت قوائم أسماءِ المسافرين على متون هٰذه الرحلات ولم يكن فيها عرب. فرقٌ هائلٌ بَيْنَ أن تنفي وجود عرب بَيْنَ الأسماء وبَيْنَ أن لا يكون بَيْنَ الأسماء التي نشرتها أسماء عربيَّة.

الاعتراض الذي يمكن أن ينشأ هنا هو أَنَّهُ من الممكن أن يكون هؤلاء العرب قَدْ التحقوا بالرَّحلات في اللحظة الأخيرة[٥٧]، ولهذا ما حاولت أن توحي به التَّحقيقات الفدراليَّة الأمريكيَّة لتدارك خبر الچارديان. الحقيقة أَنَّهُ إن كان من السَّهل القبول بهذا الاعتراض فإنَّهُ من السَّذاجة السَّير معه خطوة واحدةً إِلَى الأمام، لأنَّهُ ينطوي على أكثر من تناقض، يهزُّ أركانه ويقوضه:

أولاً: إذا كانت أسماء هؤلاء الذين يلتحقون في اللحظة الأخيرة لا تسجل فما الذي يضمن لنا أنَّ هؤلاء كانوا ممن التحقوا فعلاً في هذه اللحظة بالرحلات؟!!

ثانياً: إذا كانت الأسماء تسجَّل فلماذا كانت قوائم الشرَّكات المعلنة في اليوم الأول خالية من أيِّ اسم عربيٍّ؟!!

ثالثاً: إنَّ الاحتمال الوحيد الذي يبقى هنا هو أن يكون هؤلاء قَدْ التحقوا بالطائرات بعدما طارت، أي وهي في الفضاء. ولهذا ممكن جدًّا في الخيال السِّينمائي الأمريكيِّ!!!

رابعاً: بغضِّ النَّظر عن هذا وذاك يظهر سؤال آخر هو: أيُّ مصادفةٍ غريبةٍ جعلت الأشخاص التِّسعة عشر كلهم يلتحقون في اللحظة الأخيرة كما أشارت وسائل الإعلام الأمريكيَّة بناء على تصريحات المحققين؟!

خامساً: إذا قبلنا بهذا الافتراض أو الاعتراض فإنَّهُ سيقودنا إِلَى تناقضات صريحة تجعله أكثر من متهافت: فلماذا أراد هؤلاء الالتحاق في اللحظة الأخيرة

٥٧ . تعرض تيري ميسان لهذه الفكرة في كتابه الآنف الذكر، وفي اللقاء الخاص الذي أجرته معه قناة الجزيرة الفضائية. وقد ركز على سخف فكر المصادفة الَّتي سمحت لهم جميعاً أن يلتحقوا في اللحظة الأخيرة. يمكن الرجوع إِلَى الكتاب، وكذلك إِلَى اللقاء في موقع الجزيرة نت.

وهم مُقْدِمُون على الموت؟ إنَّ التحاقهم بالرحلات في اللحظة الأخيرة يثير الانتباه إليهم كونهم كلهم عرباً، ويضعهم موضع الشبهات، وهٰذا مما يعرض العمليَّة للإخفاق!! فهل يقبل ذٰلكَ منطقيًّا؟ ويعلِّق **تيري ميسان** على هٰذا الاحتمال بأنَّ هٰذه اللحظة الأخيرة «ليست كافية ليتمكن (الانتحاريون) التسعة عشر من الركوب جميعاً»[٥٨]. فمن يخطِّط لمثل هٰذه العملية لا يترك الأمور للمصادفة، فما الذي يضمن لهم أن توجد أماكن شاغرةٌ في إحدى الطَّائرات أو كلها، أو على الأقل وجود ما يكفي من الأماكن الشَّاغرة ليكونوا جميعاً على متن الطائرات ليتمكَّنوا من تنفيذ العمليَّة؟؟!! لا يوجد على الإطلاق ما يضمن لهم ذٰلكَ حَتَّى ولو قالت كلُّ الإحصاءات والتقديرات إنَّ الطائرات تكون في هٰذه الرحلات خالية على مدار العام. ولو كان الأمر على النَّحو لكان منفذو العملية أغبياء وأكثر من أغبياء، فيما الافتراض القائم أنَّهم على أشدِّ الحنكة والذكاء.

ناهيكم فوق ذٰلكَ كله عن أنَّ تصوير الأمر بهٰذه الطريقة، من التحاقهم في اللحظات الأخيرة بالرحلات، يوحي بأن المطارات الأمريكية مثل كراجات الهوب هوب أو الأتوستوب، وهٰذا غير صحيحٍ على ألإطلاق.

رُبَّما تكون هٰذه أكثر الاعتراضات الَّتي تستحق المناقشة لتأكيد صحَّةِ خبر الچارديان عن خلو قوائم الرحلات الأربع من أسماء عربيَّة. ولكنَّ الأدلة على تمام مصداقيَّة هٰذا الخبر الحقيقة أكثر من ذٰلكَ بكثيرٍ، لَعَلَّ أوَّل ما يصادفنا هنا هو أَنَّهُ بعد إعلان قوائم أسماء المتهمين على الفور ظهرت مفارقات تدعو إِلَى الضَّحك، فقد تبين أنَّ بعض المتهمين مازالوا أحياء، وبعضهم قَدْ مات قبل العمليات بعامين أو أكثر. سنعيد نشر أسماء حسبما تناقلته وسائل الإعلام في فترة ظهور هٰذه

٥٨ . انظر ذلك في الكتاب واللقاء.

الأسماء، ولا ندعي أننا تحققنا من أي معلومة منها بطريقتنا، هي كما سمعناها وسمعها الملايين من وسائل الإعلام المختلفة:

(١) **وليد الشهري**. (الطائرة الأولى): (حيّ يُرزق) يعيش في المغرب.

(٢) **محمد عطا**. (الطائرة الأولى): قيل إنه اتصل بأهله بعد الانفجار بساعات، وقد نشرت وسائل الإعلام المختلفة أنَّهُ قبل الأحداث بنحو شهر كان وصل إلى الإمارات، وكان ثَمَّة أمر من الاستخبارات الأمريكية باعتقاله، فاعتلقته السلطات الإماراتية، ولأفرجت عنه بأمر الاستخبارتت الأمريكية، ليغادر منها إلى الولايات المتحدة.

(٣) **عبد الرحمن العمري**. (الطائرة الأولى): (حيّ يُرزق)، مهندس كهربائي يعمل في السعودية، قال إنَّهُ كان يدرس في دينفير في منتصف التسعينات.

(٤) **خالد المحضار**. (الطائرة الثالثة): (حيّ يُرزق).

(٥) **ماجد مقيد**. (الطائرة الثالثة): (حيّ يُرزق).

(٦) **نواف الحزمي**. (الطائرة الثالثة): (حيّ يُرزق).

(٧) **سالم الحازمي**. (الطائرة الثالثة): (حيّ يُرزق) ٢٦ سنة، ولم يسبق له الذهاب إلى الولايات المتحدة، بل لم يغادر السعودية قبل سنتين من الأحداث. يعمل في مصنع حكومي سعودي للمواد الكيمياوية حكومي.

(٨) **هاني حنجور**. (الطائرة الثالثة): (حيّ يُرزق).

علمت الولايات المتحدة بذٰلكَ، وانتظر العالم تفسيراً من الولايات المتحدة لهٰذه الظَّاهرة الغريبة العجيبة الَّتي يفوق تَخَيُّلُها طاقات البشر. ولٰكنَّ الأغرب من ذٰلكَ أنَّ الولايات المتحدة تكتَّمت على الموضوع تماماً ولم تناقشه أبداً؛ لا قبولاً ولا رفضاً، ولم تدافع عن نفسها أبداً!! وليس من غرابة في ذٰلكَ، لأنَّ التَّفسير الوحيد

المقبول هو أن يكون الأحياء قَدْ نفَّذوا العمليَّة وغسلوا وجوههم وأيدهم من غبار التَّفجيرات وعادوا إِلَى بيوتهم في أوطانهم راكبين بساط الريح، لأنَّ حركة الطَّائرات كانت متوقِّفة. أمَّا الأموات فقد خرجوا من قبورهم ونفَّذوا العمليَّة وعادوا إليها!!! ولا يستغرب أن يصدر مثل هٰذا التَّفسير عن الولايات المتحدة الأمريكيَّة إن صدر، لأنَّ السينما الأمريكيَّة فيها أكثر من ذٰلكَ بكثيرٍ.

ومع ذٰلكَ كلِّه، سنكرر هنا أيضاً كما كررنا في كل الاحتمالات السابقة: إنَّ عدم وجود أيِّ حيٍّ من هؤلاء، وعدم وجود أيِّ ميتٍ منهم قبل الأحداث أيضاً... لا يغير في حدث الحدث شيئاً. بل إنَّ هٰذا أدعى لمطالبة الولايات المتحدة بمعرفة مصير هؤلاء الشباب المختطفين من قِبلها وكيف تمت تصفيتهم. هٰذا إذا في كان بَيْنَ الحكام العرب رجالٌ يسألون في مصير أبنائهم. فقد اعتقل الآن مئات الأبرياء العرب من أسقاع العالم، على خلفية هٰذه الأحداث، لم تسأل عنهم أيُّ دولة عربيَّة...

وممَّا يعمِّق جراح قائمة المتهمين، ويوسع شرخ التَّناقضات هو ما دار من حديثٍ عن عدم وجود طائرةٍ ارتطمت بمبنى البنتاچون الَّتي سبق التَّفصيل فيها، فإذا لم تكن هناك طائرةٌ، وقد برهن لنا ذٰلكَ **تيري ميسان** بالدَّليل القاطع، كما بيَّنا في هذا الباب. فبأيِّ منطقٍ يمكن أن نقبل قائمة مختطفي هٰذه الطائرة الوهميَّة، الَّتي لا أساس لها من الصحَّة. ومن ثَمَّ ألا يكفي صدق عدم وجودها وحده للطَّعن في كلِّ قوائم المتهمين المزعومة؟ ناهيك عما تحدثنا به عن طائرة بنسلفانيا الَّتي يحتمل عدم وجودها أيضاً احتمالاً شبه مؤكَّدٍ!!

وبعد ذٰلكَ كلِّه يبقى السُّؤال الذي يفرض ذاته بقوَّة، ويطلب الإجابة بإلحاحٍ لا يقلُّ عن قوَّة طرحه، وهو: أيعقل أن تتم العملية كلُّها بسكاكين أو مشارط

أو مفكَّات؟؟؟!!! أيعقل أنَّ كلُّ الرُّكَّاب، نحو مئة في كلِّ طائرة، على درجة من الجبن والضَّعف تجعلهم غير قادرين عن ردع أربع أو خمس ركاب يهدِّدون حياتهم بالسكاكين، مع افتراض أنَّ اثنين أو ثلاث من هؤلاء الأربعة أو الخمسة على الأقلِّ مشغولون بقمرة القيادة وطاقم الطَّائرة؟!! شيءٌ لا يشبه الخيال أبداً، إنَّهُ يفوقه بكثيرٍ.

رُبَّما تحسُّباً لمثل هٰذا الطَّعن قال **رمزي بن الشيبة** في اعتراف القاعدة: «لَقَد قام أحد الأخوة بنحر أحد الركاب»!!!. وكأَنَّهُ يريد القول إنَّ الرُّكَّاب حاولوا العصيان فأخافهم هٰذا (الأخ) بهٰذا النَّحر.

جاء ليكحِّلها فأعماها، فمن ذا أخبره من الأخوة أَنَّهُ نَحَرَ أحد العصاة أو المتمردِّين في الطَّائرة والطَّائرة في كبد السَّماء، ولا ندري كم من الدَّقائق قَدْ بقي حينها على ارتطام الطَّائرة بهدفها، ولم يكن هناك صناديق سوداء، ولا وسائل اتصال!!! رُبَّما هو نوعٌ من الوحي، خاصَّة وأنَّ «المؤمن يرى بنور الله» كما قال الخليفة العادل **عمر بن الخطاب** رضي الله عنه. ولٰكنَّ، ويا سبحان الله، لم ير إلا ما يساعد الولايات المتِّحدة على دفع واحدةٍ من التُّهم عنها!!!

وعلى الرَّغْمِ من ذٰلكَ فإنَّ مثل هٰذا الأمر لا يُيَسِّر علينا أبداً تقبُّل أنَّ نحو مئة راكبٍ عجزوا عن مواجهة اثنين أو ثلاثة على الأكثر تسلحوا بسكينين أو مفكين أو مشرطين.

إنَّ في كلٍّ مما سبق على حدةٍ ما يكفي للطَّعن في مصداقيَّة هٰذه القوائم المعلنة لأسماء المتهمين. وفي اجتماعها معاً ما يكفي تمام الكفاية للجزم بأَنَّها قوائم مرتجلةٌ وملفَّقةٌ من دون أيِّ دراسةٍ أو دقَّة في الاختيار. والحقُّ أنَّ هٰذا يدلُّ على

أحد أمرين على الأقل، بناءً على ما أثبتناه من أنَّ الولايات المتحدة هي الَّتي قامت بهٰذه العمليات:

أولهما: أنَّ المخابرات الأمريكيَّة، أو من ينوب منابها، قَدْ قامت بهٰذه العمليات على نحو مرتجلٍ غير كامل التَّخطيط لأنَّها وجدت من الضُّغوط أو الظُّروف المناسبة ما يصعب تكراره في الوقت القريب، وراحت بعد ذٰلكَ تتابع مخطَّطاتها كما رسمت من دون ردم هوة كان يجب ردمها قبل التفجيرات، الأمر الذي أوقعها في كثيرٍ العثرات والأخطاء والتَّناقضات الَّتي أدت في محصِّلة الأمر إِلَى فضحها على هٰذا النَّحو الصَّارخ الذي تكلَّم فيه كثيرون من مختلف أصقاع العالم حَتَّى من ضمن الولايات المتحدة الأمريكيَّة ذاتها.

ثانيهما: أنَّ الولايات المتحدة الأمريكيَّة قَدْ تعمَّدت الوقوع في هٰذه العثرات والأخطاء والتَّناقضات لتظهر على أنَّها تستغبي العالم، ويعرف العالم أَنَّهُ تستغبيه، وتفرض على العالم أن يقبل هٰذا الاستغباء. وعلى الرَّغْمِ من غرابة هٰذا الاحتمال فإنَّهُ غير مستبعدٍ لأنَّهُ يخدم في حقيقة الأمر أكثر من غرضٍّ أمريكيٍّ، ورُبَّما يقف على رأس هٰذه الأغراض تكريسُ العنجهيَّة الأمريكيَّة، والجبروت الأمريكي، والتَّمادي الأمريكي في الهيمنة على العالم من دون معارضٍ أو رادعٍ أو مناهضٍ.

ولٰكنَّ الذي حدث بعد الحادي عشر من أيلول جعلنا نميل إِلَى ترجيح الاحتمال الأول، فقد بدت الولايات المتحدة تسير متخبِّطة في حربها ضدَّ الإرهاب، وكثرت قراراتها الارتجاليَّة الَّتي تورطت باتخاذها من دون حسبانٍ صحيحٍ، ووضعت نفسها بذٰلكَ بَيْنَ فكي الكماشة؛ فلا هي قادرة على التَّنفيذ ولا هي قادرةٌ على التراجع، ولَعَلَّ المثال العراقي هو أبرز الأمثلة على ذٰلكَ.

وختاماً لهٰذا الفصل والباب، من أشدِّ درجات الزُّهد والضَّعف والوهن أن نستعين بكلِّ هٰذه الأدلَّة معاً للقول بضلوع الولايات المتحدة الأمريكيَّة في قيادة دفَّة أحداث الحادي عشر من أيلول من ألفها إلَى يائها. من تمام الثِّقة القول إنَّ أكثر من نصفها على أقلِّ تقديرٍ يكفي كلُّ واحدٍ منها ليكون دليلاً قاطعاً، وحجَّة دامغة على أنَّ الضَّحية الَّتي هي الولايات المتحدة هي ذاتها الجاني الذي خطَّط ودبَّر ونفَّذ حَتَّى ولو كان الأمر بأيدي غير أمريكيَّة.

يبقى هنا الاعتراض الأكثر أهميَّةً وخطورةً وهو اعتراف تنظيم القاعدة، الذي زهر منذ فترة قريبة، بأنَّ المتهمين التسعة عشر هم المنفذون الحقيقيون للعمليَّة، مع تسجيلهم كلهم وصاياهم الاستشهاديَّة. بما يقطع، نظرياً دابر أيِّ شكٍّ في أنَّ تنظيم القاعدة هو منفِّذ العملية.

لا يمكن إغفال هٰذه الاعترافات، ولٰكن حسبنا أن نقول الآن: إذا صحَّ أمر هٰذا الاعتراف، والوصايا موجودة فعلاً كما يبدو، فإنَّ جملة من التَّناقضات والمفارقات ستصفع الأذهان بشدَّتها، ولن يكون كافياً معها اختيارُ أحد طرفين هما صحَّة الاعتراف أو صحة الأخبار المناقضة له الَّتي سلف ذكرها قبل قليلٍ مثل خلو قوائم الطائرات من ركَّاب عربٍ، ووجود بعض المتهمين أحياء وموت بعضهم قبل الحدث بسنين... وإنَّما الذي سيكون كافياً هو حلُّ لغز هٰذه التناقضات، فالواقع يثبت من دون جدلٍ حَتَّى الآن أنَّ الولايات المتحدة هي المدبر لهٰذه العمليَّة والمشرف على تنفيذها، وقد جاء اعتراف القاعدة الصريح في الذكرى السنويَّة ليربك المنطق ويضعنا أمام اللغز الحقيقي الذي ينتظر الحل.

لماذا اعترفت القاعدة وكل الوقائع تنفي ضلوعها بالحدث، وهي في الأصل ظلت تنكر ذٰلكَ؟

لقد ناقشنا ذَلكَ في مطلع فصل طائرة بنسلفانيا، وأثبنا أنَّها لا قيمة لها، ولا تغيِّر في الواقع شيئاً. لأنَّ الواقع دامغٌ أكثر من هٰذه الاعترافات ويجعلها بلا قيمة. والحقيقة أنَّ ثَمَّة لغزٌ وراء ذَلكَ رُبَّما ينكشف يوماً من الأيام. كان يمكن أن يصدر هٰذا الكتاب قبل صدرو هٰذا الاعتراف والوصايا التي سجلها المتهمون. ولن يتغيَّر في الحقيقة شيءٌ أندم على أنِّي تسرعت في تحليله على هٰذا النحو.

ثَمَّة لغزٌ لا بُدَّ أن ينجلي يوماً من الأيام. أقرب احتمالٍ لتحليل هٰذا الاعتراف والتسجيلات المصورة هو أنَّ الاعتراف جاء بعد المعرفة بالتسجيلات فآمن **أسامة بن لادن** بأنَّهم من قام بذلك، خاصَّة وأنَّهُ أنكر ضلوع القاعدة بالحداث مرات كثيرة لا مرَّة واحدة قبل ذَلكَ.

وأمَّا التسجيلات فإمَّا أنَّها سجلت من خلال اختراقهم، والقاعدة مخترقةٌ، مثلما يفعل أيُّ جهاز مخابرات بإيهام الشباب بأنهم جهاديون فيما هم ينفذون إرادة جهاز المخابرات. أو أنَّهم سجَّلوا ذَلكَ تحت الإكراه فهم معتقلون لدى الاستخبارات الأمريكيَّة وتحت تصرفها بطريقةٍ أو بأخرى. وهٰذا احتمال يبقى قائماً. ولٰكنَّ الذي تجدر الإشارة إليه أنَّ متابعة التسجيلات بهدوءٍ قليلٍ تجعلك تكتشف أن هٰذه التَّسجيلات لا تشير إلى العمليَّة بوضوحٍ ولا بصراحةٍ، وأنَّها تصلح لأيِّ عمليَّةٍ. وهٰذا يرجِّح جانب الخداع فيها والاختراق الإيحائي.

الباب الثالث

لماذا كانت تفجيرات أيلول؟

الفصل الأول

التفجيرات فاتحة المستقبل الأمريكي

المفارقة غير المضحكة هي ما كان ولم يزل مطلوباً تعويضاً أو ثمناً لتفجيرات الحادي عشر من أيلول هو ذاته سيَّان أكانت الولايات المتحدة هي الَّتي قامت بذَلكَ على أيِّ مستوى من مستويات التَّخطيط والتَّنفيذ، أم لم يكن لها بذَلكَ أيُّ علم.

ولٰكنَّ الفرق بَيْنَ الاحتمالين هو أنَّ احتمال اشتراك الولايات المتحدة في التَّخطيط والتَّنفيذ، يعني أنَّ النتائج قَدْ وضعت أولاً، ومن ثمَّ فإنَّ مخطَّطات تنفيذها جاهزةٌ ناجزةٌ تنتظر المباشرة الَّتي تقدِّرها الولايات المتحدة وحدها فَقَطْ.

أمَّا الاحتمال الثَّاني فَيُمَثِّلُ الفرصة المناسبة الَّتي تقدِّم للولايات المتحدة إمكانيَّة تنفيذ كلِّ ما يحلو لها من مخطَّطات تدعم سيادتها وهيمنتها وتفردها؛ سيَّان ما كان منها جاهزاً أم ما يمكنها أن تضعه في فترة قصيرة هي فترة إدارة الأزمة. ولٰكنَّ الذي بدا حَتَّى الآن أنَّ المخطَّطات كانت جاهزةً وإن حدث بعض الارتباك.

تفاصيل المخطَّط رُبَّما لم تكن واضحةً، وهٰذا أمرٌ عادي لأنَّ سياسة الولايات المتحدة تقوم على مبدأ التَّحرك في المتاح والضَّروري واستثمار الظروف، ولذَلك بدا لنا أنَّ هناك ارتباك داخل القيادة السياسية الأمريكيَّة في تحديد نقطة انطلاق المشروع، والمشروع واضح المعالم محدَّدها. ولننظر إلى احتلال العراق مدخلاً لقراءة الحدث.

إذا كانت أسباب احتلال العراق هي أسلحة الدَّمار الشَّامل كما زعمت الولايات المتحدة فقد ثبت قبل هٰذه الحرب من قبل فرق التفتيش أَنَّهُ لا توجد أسلحة دمار شامل في العراق، بل ولا توجد إمكانيَّة لإنتاج هٰذه الأسلحة، ولم تستطع الولايات المتحدة أن تجد هٰذه الأسلحة بعد الحرب، ولم تسمح لفريق

التَّفتيش بالعودة إِلَى العراق، والسبب كما يرى المحللون في العالم الغربي قبل العالم العربي هو محاولة تلفيق أدلَّة لإدانة العراق بامتلاك أسلحة الدَّمار الشَّامل.

وإذا كانت الأسباب هي النَّفط فقد أعلنت العراق قبل الحرب أنَّ الولايات المتحدة هي أكبر من المستفيدين من النِّفط العراقي من دون حرب!!

وإذا كانت الحرب صليبيَّةً كما أعلن **جورج بوش الثاني** فلماذا قامت المظاهرات الكبرى من المسيحيين في العالم، وعلى رأسها الرَّفض القاطع الظاهر من البابا **يوحنا بولس الثاني** بابا الفاتيكان برفض هٰذه الحرب وإدانتها؟

رُبَّما يكون لكلٍّ من هٰذه الأسباب أو المقدمات يدٌ في هٰذه الحرب، ولكِنَّهَا كما تبيَّن غير كافيةٍ لتفسير شنِّ الحرب العدوانيَّة على العراق، ولا بدَّ أنَّ هناك أسباباً أُخْرَى. فما عساها تكون هٰذه الأسباب؟

راج في الصحافة الأمريكيَّة قبل غيرها، وفي الصحافة العربيَّة أيضاً، أنَّ **جورج بوش الثاني** يحمل التوراة تحت إبطه ويندفع في هٰذه الحرب وفق مخطَّطٍ توراتيٍّ لتحقيق الحلم الصهيوني بإقامة دولةٍ من الفرات إِلَى النيل، تمهيداً لعودة **المسيح**. والطَّريف في الأمر أنَّ **جورج بوش الثاني** ذاته لا ينكر ذٰلكَ فقد أعلن أكثر من مرَّة أن عودة **المسيح** قَدْ اقتربت، وأَنَّهُ هو المبشر **بالمسيح**...

رُبَّما يكون في هٰذا الكلام جانبٌ من الحقيقة، ولكِنَّها ليست كلَّ الحقيقة.

كلُّ هٰذه الجوانب أوجهٌ من الحقيقة، ولكنَّ أيًّا منها منفرداً لن يكون كافياً لتفسير ما حدث وسيحدث. ورُبَّما فيما حدث ويحدث بعد انتهاء الحرب ما يؤكِّد هٰذا الفهم، فالولايات المتحدة، فيما يبدو صريحاً، ولم يكن قبل الحرب سرًّا ولا خافياً، لا تريد الخروج من العراق في الزمن القريب، ولا تريد أن تسمح لأحدٍ غيرها أن يستثمر نتائج هٰذه الحرب... وفي هٰذا في حقيقة الأمر ما يفسِّر لنا مقدِّمات

الحرب، ويكشف لنا في الوقت ذاته عقابيل هٰذه الحرب، أي ما سيأتي بعدها من مخطَّطات للعراق وللمنطقة العربية ومحيطها.

المفتاح يوجد عند **ابن خلدون** ونظريته في عمر الدولة عبر أجيالها الثلاثة، وفي نظرية المفكر الأمريكي **بول كينيدي** في صعود الإمبراطوريات وسقوطها، فعلى ضوء هاتين النظريتين تبدو الإمبراطورية الأمريكيَّة اليوم وقد شارفت على السُّقوط، على الانهيار. أي إنَّ الولايات المتحدة اليوم تلفظ أنفاسها الأخيرة.

كم سيستغرق لفظ الأنفاس الأخيرة هٰذا؟

لم تختلف النظريات والرؤى الَّتي حاولت وتحاول تقدير كم سيستغرق لفظ الأنفاس الأخيرة للإمبراطوريَّة. وباستنهاض وقائع صعود الإمبراطوريات وسقوطها عبر التاريخ، وقياس الإمبراطورية الأمريكية إِلَى تلك الإمبراطوريات يبدو أنَّنا أمام فترةٍ غير قصيرةٍ من سيادة الإمبراطورية الأمريكيَّة، قَدْ تمتد خمسين عاماً وقد لا تتجاوز العشرين، ولكِنَّها على أيِّ حال تتراوح في هٰذا الفلك.

هنا نهض فريق المختصين لتدارك السُّقوط فخرج علينا **صاموئيل هانتنغتون** بنظريته في صراع الحضارات، متزامناً مع **فرانسيس فوكوياما** في نظريته في نهاية التاريخ، كلتا النظرية تقتضي أنَّ التاريخ قَدْ توقف وانتهى على أعتاب قداسة صاحبة الجلالة الإمبراطورية الأمريكيَّة.

هنا في حقيقة الأمر يكمن الدافع المحور لتفجيرات الحادي عشر من أيلول التي أخرجت المخططات الأمريكية إلى الملأ بلا حرجٍ؛ احتلال أفغانستان التي تتوسط آسيا الشَّرقية وتضعها كلَّها في المرمى الأمريكي، ثُمَّ احتلال العراق الذي يضع غرب آسيا وشرق آسيا بَيْنَ فكِّي الكماشة، وانطلقت من ثمَّ لتهدد سوريا ولبنان والسودان والصومال، وتضغط على مصر والسعوديَّة وتبتزهما وغيرهما من

الدول العربية الأخرى... وكل ذَلكَ بدا بالعلن، ناهيك عن أنَّ مختصاً أو خبيراً لم يعد يجهل المخطَّطات الأمريكية لدمقرطة المنطقة العربيَّة وتغيير الأنظمة وإعادة ترتيب خريطة المنطقة؛ جغرافيًّا وسياسيًّا وحَتَّى أخلاقيًّا واجتماعيًّا ونفسيًّا. والذي تريده الولايات المتحدة من ذَلكَ معلنٌ على لسان مسؤوليها وليس سرًّا.

إنَّها تحاول، ورُبَّما لم تستطع أن تخفي ذَلكَ، أن ترسم معالم العالم الجديد على نحوٍ يحقِّق للولايات المتحد الأمريكيَّة القدرة على التَّحكم بالعالم كلِّه أطول مدَّة ممكنة. **وجورج بوش ذاته** لم ينف، بل أكَّد أَنَّهُ لن يسمح بقيام أيِّ قوَّةٍ منافسةٍ للولايات المتحدة. وكي تستطيع أن تنفلت من عقال الضَّبط والنَّقد كان لا بُدَّ من حدث عظيمٍ مجلجلٍ، فكان الحادي عشر من أيلول.

في الحادي عشر من أيلول حققت الولايات المتحدة الشروط اللازمة والضرورية من أجل جمع العالم الغربي حولها بقوة لا تقلُّ أبداً، بل تزيد عما كانت عليه إبان الحرب الباردة التي امتدت منذ الحرب العالمية الثانية إلى انهيار الاتحاد السوفيتي عام ١٩٩٠م.

هي تدرك أنَّها في طريقها إلَى السقوط، ولذَلك تحاول أن تؤجل أمد هٰذا السُّقوط قَدْر الإمكان. إدراك الولايات المتحدة أنَّها إمبراطورية آيلة للسقوط ليس اكتشافاً جديداً على أيِّ حالٍ. كتب غير واحدٍ في تفاصيل وأسباب وعوامل هٰذا الانهيار، وبحثت الولايات المتحدة عن الحل وكان من تصدى لتقديم الحلول، وأبرز المتقدمين كما أشرنا قبل قليل الشهيران بما قدماه: **هنتنچتون وفوكوياما**. وعلى ضوء ذَلكَ تم التفكير في الحل والمنقذ من الانهيار.

ليس الموقف الأمريكي الحرج هٰذا وحده هو المشكلة، وليس هو وحده وراء أحداث الحادي عشر من أيلول، لقد وجدت الولايات المتحدة نفسها تحديداً،

كونها قائدة المنظومة الرَّأسمالية، أمام جملةٍ من التَّحديات والمخاطر التي تستدعي منها التَّصرف الإنقاذي مهما كان الثَّمن. إنَّهَا ترى أنَّ أيَّ ثمنٍ لإنقاذ ما يمكن إنقاذه أقلُّ بكثيرٍ من ترك الأمور تجري على عواهنها. ويمكن إجمال هٰذه التَّحديات بوصفها أسباباً لقيام الولايات المتحدة بأحداث الحادي عشر من أيلول بما يلي:

أولاً: انهيار الاتحاد السوفيتي

كان الاتحاد السوفيتي منذ نهاية الحرب العالميَّة الثَّانية العدو الأكبر والحقيقي، نظريًّا، الذي سوَّغ للولايات المتحدة الوجود الكبير في دول أوروبا الغربيَّة؛ عسكريًّا وسياسيًّا واقتصاديًّا. وانهيار الاتحاد السوفيتي أدَّى إلى ولادة انطباعٍ عند الشُّعوب الغربيَّة، وحَتَّى ساسة الغرب غير الأمريكي أنَّ مسوِّغ الهيمنة الأمريكية على أوروبا قد زال، وعلى الولايات المتحدة أن تجرَّ أذيالها وتغادر أوروبا وتتركها لأهلها. وعلى هٰذا الأساس كانت الوحدة الأوروبية التي سرعان ما التأمت، وتسارعت وتائر الوحدة وخطواتها على مختلف الأصعدة والمستويات... وهٰذا ما أثار هلع الساسة الأمريكان الذين شعروا بخروج أوروبا من قبضة الولايات المتحدة. وكان لا بُدَّ من حلٍّ سريعٍ قبل انفراط العقد. الحلُّ السَّريع الحاسم هو العدو المشترك الذي يهدِّد مصالح المنظومة الرأسمالية مشتركة ويفرض عليها أن تقف معاً.

ثانياً: البحث عن عدو جديد

لا تستطيع الإمبراطوريات العيش من دون أعداء. هٰذه حقيقةٌ تاريخيَّة. لقد ولَّد انهيار الاتحاد السوفييتي أزمة كبرى أمام الولايات المتحدة الأمريكية خاصَّة التي تقود المعسكر الرأسمالي. ولقد أدركت الولايات المتحدة هٰذه الحقيقة فور انهيار الاتحاد السوفيتي. ولذلك عقب هٰذا الانهيار فوراً عقب الأمين العام لحلف شمال الأطلسي في أوَّل مؤتمر للحلف بعد انهيار الاتحاد السوفيتي قائلاً: «عدونا القادم هو الإسلام».

ولٰكنَّ كيف يمكن أن يكون العدو القادم هو الإسلام من دون سببٍ؟ من دون حدث يؤكِّد ذٰلكَ تأكيداً قاطعاً؟

الحلُّ جريمةٌ كبرى، حدثٌ كبيرٌ يرتبكه المسلمون يجعلهم العدو الأكبر والحقيقي بقناعةٍ أكيدةٍ. حَتَّى تستطيع الولايات المتحدة حشد الرأي العام وراء أي عمل تريد أن تقوم به ضد العالم الإسلامي.

ثالثاً: تفكك المنظومة الرأسمالية

منذ ما قبل انهيار الاتحاد السوفيتي وأوروبا الغربيَّة في حالة تململٍ من الصِّراع الأمريكي السوفيتي تحت سقف الحرب الباردة. ولكنَّ انهيار الاتحاد السُّوفيتي فجَّرَ كلَّ المتناقضات دفعةً واحدةً تقريباً. وبدا أنَّ المنظومة الرأسمالية قد تفكَّكت أو أوشكت على التفكك لزوال المنظومة الاشتراكيَّة التي كانت سبب أو مسوِّغ وجود المنظومة الرأسمالية. وبالفعل سرعان ما التأم عقد الوحدة الأوروبيَّة، وبسرعة صارت تتقدم هٰذه الوحدة على مختلف الأصعدة والمستويات لتحتل مكانها قطباً ينافس الولايات المتحدة الأمريكيَّة لا تابعاً لها. ولقد حاولت الولايات المتحدة عرقلة هٰذه الوحدة(٥٩) ولٰكنَّهَا وجدت نفسها تخفق من جهة وستجعل العالم الأوروبي يزداد نفوراً منها، وقد يدخلها معها في حالة صراع.

ما العمل؟ العمل هو شدُّ مفاصل المنظومة الرأسماليَّة وتأكيد وحدتها بوحدة العدو ووحدة المصالح وضرورة التَّخندق معاً. وهٰذا ما يكشف لنا عن سبب استهداف برجي مركز التِّجارة العالمي. مركز التِّجارة العالمي هو معقل المنظومة الرأسمالية ورمزها. هو الجامع الأكبر للاقتصاد الليبرالي، الرأسمالي. وضرب هٰذا الرمز

---

(٥٩) . ناقشنا ذٰلكَ مفصلاً في كتابنا: **النظام الاقتصادي العالمي الجديد؛ من حرب الأعصاب إلى حرب الاقتصاد** . دار الفتح . دمشق . ١٩٩٣م.

هو ضرب للرأسمالية والسياسة الرأسمالية، والدول الرأسمالية، والاقتصاد الرأسمالي... هو رسالة لكلِّ دول النِّظام الرأسمالي أنَّها واحدةٌ وعدوُّها واحدٌ.

رابعاً: الانهيار الأمريكي ذاته

قبل كلِّ تلك الأسباب وبعدها يقف سببٌ رئيسٌ لقيام الولايات المتحدة بمثل هٰذه العمليَّة الكبرى وهو انهيار الولايات المتحدة ذاتها. الولايات المتحدة منذ أواخر السَّبعينيات بدأت عصر الأفول من النَّاحية النَّظرية بناء على جملة من المعايير، زيادة الدَّين الداخلي، زيادة الدَّين الخارجي، التَّرهل الهيكلي... وقد استنزفت الكثير في مواجهة الاتحاد السوفيتي وخاصَّةً في الثمانينيات، الأمر الذي أدَّى إلى تفاهم مديونيتها خاصَّةً. وقد صدرت عدَّةُ دراسات حول هٰذا الموضوع تكشف عن تدهور السِّيادة الأمريكيَّة. وقد أدركت الولايات المتحدة هٰذه الحقيقة وراحت تدرس كيفيَّة تجاوز هٰذه المعضلة.

إنَّ حدثاً من قبيل الحادي عشر من أيلول كفيل بإنقاذ الموقف على مختلف الأصعدة والمستويات. منها الأسباب السَّابقة التي أشرنا إليها، ومنها هٰذا الجانب تحديداً ففيه ما يسرع وتائر النَّشاط الاقتصادي ويسهم في امتصاص فائض الدين، ويضخُّ الحيوية في شرايين الحياة الأمريكيَّة. هٰذا على الأقل من الناحية النَّظريَّة.

خامساً: الانتشار الإسلامي

منذ أوائل الثمانينيات بدأ يلحظ الغرب دخول الأوروبيين إلى الإسلام بأعداد آخذة في التزايد من سنةٍ إلى أخرى. ولقد كوَّن هٰذا الأمر هاجساً لدى ساسة الغرب وعقدوا المؤتمرات والنَّدوات لمعالجة هٰذه الظاهرة ووضع حدٍّ لها.

كان المشاركون في هٰذه المؤتمرات من الباحثين الغربيين على نحوٍ خاصٍّ ومن يغرِّد على الطَّريقة الغربيَّة. أذكر أنَّهُ حدثنا **صادق جلال العظم** في عام ١٩٩٤م

فيما أذكر عن آخر حضورٍ له في هٰذه المؤتمرات، كان في الدنمارك، وكيف استطاع إنقاذ الموقف باقتراحٍ على درجةٍ من الدهاء لا تخطر في بال إبليس، فقد اقترح على الغرب أن يؤورب الإسلام مقابل أسلمة أوروبا، وبذٰلكَ تنجو أوروبا من خطر الامتداد الإسلامي. أوربة الإسلام أي جعل المسلمين يتعاملون مع الإسلام كما يتعامل الغرب المسيحي مع المسيحيَّة.

هٰذه الفكرة لم تستطع أوروبا تنفيذها، ولم تستطع وضع حدٍّ لانتشار الإسلام الذي أخذ بالتزايد بشكل أكبر بكثير. وازدادت المخاوف والهواجس. أوروبا وأمريكا يبحثون عن حلٍّ لمواجهة هٰذا المد الإسلامي. ولعَلَّ في هٰذا أيضاً ما يكوِّن عاملاً مهماً من عوامل القيام بتفجيرات أيلول من أجل إيجاد قطيعة بَيْنَ الغربيين والإسلام، وشحن الناس بكره الإسلام والنفور منه، لوضع حدٍّ لدخول الناس في الإسلام.

خاتمة

نحن نضع هٰذه الأسباب هنا في الفصول الأخيرة من الكتاب لنفسر حقيقة ما حدث، لنستطيع أن نفهم الأدلة الدَّامغة على ضلوع الولايات المتحدة بالحدث. هٰذا الباب بفصوله المتتالية يفترض أن يكون الأوَّل لا الأخير، كي تتأكَّد الأدلَّة المقدمة وتصبح واضحةً أكثر. ولٰكنَّنا آثرنا البدء بفهم الحدث تقنيًّا والوصول إلى الجاني من خلاله بعيداً عن الأهواء أو التوقعات. أعني أنَّ هٰذه العوامل احتماليَّة، هي صحيحة واقعيًّا، ويرجح ترجيحاً أعظميًّا أن تكون هي التي وقفت وراء أحداث الحادي عشر من أيلول. إذن هٰذه ليست أدلَّةً بقدر ما هي قرائن ومحددات لفهم الحدث والأدلة.

الفصل الثاني

المطلوب ثمنا للتفجيرات

إنَّ السُّؤال الأكثر الأهميَّة، وهو الذي يفرض ذاته الآن، وإلى سنواتٍ كثيرةٍ قادمةٍ، إلى جانب كونه قَدْ هيمن على ساحات الأذهان كلِّها إثر التَّفجيرات مباشرةً، وهو: كيف سترُدُّ الولايات المتحدة على هٰذه التَّفجيرات؟.

هٰذا السُّؤال بصيغته هٰذه يفترض براءة الولايات المتحدة ذاتها حصراً من أيِّ تدخلٍ في هٰذه التَّفجيرات أولاً، وجهلها المطلق بها ثانياً، بغضِّ النَّظر عن الفاعل أيًّا كان. ولكنَّ المفارقة غير المضحكة هي أنَّ الردَّ، أو المطلوب تعويضاً أو ثمناً للتَّفجيرات هو ذاته سيَّان أكانت الولايات المتحدة بريئة من الفعل أم كانت هي الَّتي قامت بذٰلكَ على أيِّ مستوى من مستويات التَّخطيط والتَّنفيذ كما أوضحنا في الفصول السَّابقة.

والمفارقة الثَّانية هي أنَّ المخطَّط كان معدًّا مسبَّقاً على نحوٍ واضحٍ في مركز صناعة القرار الأمريكي. وقد حاولت الولايات المتحدة أن تخفي قَدْرَ المستطاع أنَّ المخطط مكشوفٌ وتخفي أنَّها تتصرف على أساس مخطَّطٍ مسبَّقٍ.

في كلِّ الحوادث (الإرهابية) السَّابقة كبرت أو صغرت تظلُّ الولايات المتحدة تماطل في توجيه الاتهامات؛ توجِّه الاتهام إلى فريقٍ لا تؤكِّده، ثمَّ تعدل عنه إلى ثانٍ فثالثٍ فسلَّةِ متهمين... ومع الأيام تركِّز على هدفٍ واحدٍ. في هٰذا الحدث لم يكن هناك أيُّ خيارٍ، هناك هدفٌ واحدٌ محدَّدٌ هو الإرهاب الإسلامي ممثلاً بتنظيم القاعدة... والمسلمون كلهم متهمون.

في رده على اعتراضات أعضاء من الكونجرس على تأخير إعلان علم الإدارة الأمريكيَّة بالتفجيرات أكَّد **ديك تشيني** نائب الرَّئيس الأمريكي «أَنَّهُ لا يعارض قيام الكونجرس بالتَّحقيق في ذَلكَ، ولٰكن يجب أن يقوم بالتَّحقيق مشرِّعون «يهدفون إلى تحسين قدراتنا الدِّفاعيَّة، وليس من قبل هؤلاء الباحثين عن مكاسب سياسية قصيرة الأجل»[٦٠].

ديك تشيني بهٰذا التصريح الواضح يكشف عن حقيقةٍ كبيرةٍ وخطيرة، إنَّهُ يقول بوضوح: على من يريد أن يحقق في تغافل الإدارة الأمريكية عن التحذيرات أن ينزر في مصلحة الولايات المتحدة من هٰذا التفجيرات وما يمكن أن تقوم به من أجل تحسين قدرتها الدفاعية، حضورها في العالم، زعامتها للعالم... الحدث وقع ويجب أن نستثمره إلى أقصى حدٍّ ممكن. هٰذا إذا غضضنا الطرف عن الوجود الأمريكي الصريح في صنع الحدث. لا يجوز للتحقيقات أن تبحث عن سبب سكوت الإدارة الأمريكية عما سمي بالتحذيرات من وقوع الحدث، أي العلم اليقين للإدارة الأمريكية بالأحداث قبل وقوعها بوقت كبير.

وبرز السُّؤال من جديدٍ: ما الذي تريده الولايات المتحدة ثمناً لهٰذه التَّفجيرات؟

قامت الولايات المتحدة بهٰذه التَّفجيرات لأسباب. بعضها على الأقل مما ذكرناه في الفصل السَّابق. ورُبَّما هناك غير ما ذكرناه في الفصل السَّابق مما ذكرناه في فصول الكتاب السَّابقة مثل أنَّ البرجين معرضين للانهيار لسبب أو لآخر، ولٰكنَّ مثل هٰذا السبب على احتمال كونه

---

(٦٠) . خبر تناقلته وكالات الأنباء المختلفة يوم **الجمعة ١٤٢٣/٣/٥هـ الموافق ٢٠٠٢/٥/١٧م. انظر الجزيرة نت.**

السَّبب الوحيد المباشر للتَّفجيرات فإنه لن يكون السَّبب الفعليَّ الوحيد، ولن ينجلي عنه ثمنٌ مباشرٌ مطلوبٌ للتَّفجيرات، ولٰكنَّهُ يمكن أن يستثمر في ثمنٍ آخر.

إذن السَّبب الفعليُّ أو الأسباب الفعليَّة التي أشرنا إليها في الفصل السَّابق هي التي ستكون الثَّمن المطلوب للتفجيرات. وهٰذا الثَّمن يبدو لنا في الأمور السِّت التالية، لا ننفي أنَّها قد تكون أكثر أو أقل من الحقيقة، ولٰكنَّ لا نستطيع إلا تأكيد أنَّها حقيقة.

شد أواصر الحلف الأطلسي

يجب أن نستحضر هنا أنَّ الصُّورة الحقيقية الوحيدة التي شاهدها العالم ولا شكل فيها هي أنَّ طائرتين اقتحمتا برجي مركز التجارة العالمي. وما سوى ذٰلكَ فلا أصل له من الصِّحة ولا وجود له حسب ما توافر من أدلةٍ لا تقبل الشَّك. إذا الحقيقة الوحيدة التي لا يستطيع تكذيبها أحدٌ هي أنَّ رمز وحدة المنظومة الرأسماليَّة وحلف شمال الأطلسي، مركز التِّجارة العالمي، هو الضَّحية. أي إنَّ العالم الرأسمالي، حلف شمال الأطلسي هو الهدف وهو العدو. والنَّتيجة المباشرة لذٰلك هي قيام الولايات المتحدة بكلِّ الجهود الممكنة من أجل فرض إيقاعاتٍ شديدةٍ من شدِّ أواصر الحلف حَتَّى ولو كان على رغم بعض الإرادات الغربيَّة. وشدُّ أواصر الحلف كما أبنا من أجل ألا ينفرط العقد الذي تقوده الولايات المتحدة وتجد نفسها أمام منافسين جددٍ. يجب أن يظلَّ الحلف بوتقةً واحدةً تتنافس في ظلِّ القيادة الواحدة وليس خارجها. لأنَّ انفراط العقد سيعني أيضاً تدهور وضع الولايات المتحدة وتكاثر المنافسين لها وربَّما وحدتهم ضدها مما سيخرجها من دائرة القوَّة والهيمنة رويداً رويداً.

تأكيد إسرائيل نقطة ارتكاز

إنَّ ا لقداسة التي تمتعت بها إسرائيل تحديداً منذ نشأتها، والصهيونية عامَّة منذ نشأة إسرائيل أمرٌ تحسد عليه حسداً لا حدود له. يستطيع أيُّ أوروبيٍّ أن ينتقد ما شاء كيفما شاء مع قَبْلةٍ على جبنيه إلا إذا دنا من إسرائيل أو اليهود فإنَّهُ مفقودٌ مفقودٌ مفقود!!! لقد عشَّش الخوف من نقد اليهود وإسرائيل في العقليَّة الغربيَّة مثلما عشَّش الرُّعب من نقد الحكَّام العرب عند المواطنين العرب وأكثر.

ولٰكنَّ ملامح تزعزع هٰذه القداسة بدأت منذ بضع سنواتٍ بطريقةٍ لفتت أنظار المهتمين، ومنهم اليهود على نحوٍ خاصٍّ. وإذا ما استمرَّ الأمر كذٰلكَ فإنَّ هٰذه القداسة في طريقها إلى الانهيار، وانهيار هٰذه القداسة يعني على نحوٍ مباشرٍ إمكانيَّة زوال إسرائيل من الوجود. وهٰذا ما لا ترضاه السياسة الغربية وعلى رأسها الأمريكيَّة، ولا تقبل به على الإطلاق.

من هٰذا الباب لم نستبعد في اللحظات الأولى من الحدث أن تكون إسرائيل هي الفاعل، أو أن تكون شريكاً أساسيًّا في الحدث، وهٰذا ما لا نستبعده مع كلِّ ما سبق من أدلَّةٍ وقرائن.

من استثمارات الحدث الأساسيَّة أن تعمل الولايات المتحدة على تكريس إسرائيل محور ارتكاز العالم الغربيِّ في المنطقة والعالم، في الأساس في لجم تطرف المنطقة ومنع توحدها أو تقاربها، وإبقاءها مشغولةً عن التنمية والقوة والفعل والوحدة... وكل ذٰلكَ مما يضمن مصالح الغرب والولايات المتحدة ضمناً ورأساً. والحديث في هٰذا طويلٌ كان جزءاً كبيراً من توضيحه موضوع كتابناً انهيار أسطورة السَّلام الذي أشرنا إليه سابقاً.

ضرب أعداء المصالح الأمريكية والغربية

لنعد إلى مقدِّمة الكتاب وصورة الحدث: حَرْبٌ عَالَمِيَّةٌ تَتَعَرَّضُ لَهَا الولايَاتُ الْمُتَحِدَةُ الأَمَرِيْكِيَّةُ. عُدْوَانٌ هَمَجِيٌّ كَبِيْرٌ تَتَعَرَّضُ لَهُ المصالح الأمريكيَّة... هٰكذا صُوِّرَ الحدث في حملةٍ إعلاميَّةٍ موجَّهةٍ بدقَّةٍ. وقد وجدنا التَّعاطف العالميَّ الشَّامل بكلِّ تفاصيله وصوره مع الولايات المتحدة.

الدَّولة العظمى الأولى في العالم وهي تتعرض إلى هٰذه الحرب فإنَّ من حقِّها أن تحارب كلَّ من يحاربها، وكلَّ من تشكُّ في أنَّهُ يحاربها، وهي تفعل مثل ذٰلكَ أصلاً من دون هٰذه الأحداث، فكيف سيكون الأمر مع وجود هٰذه الأحداث؟ وبالمثل أيضاً فإنَّهُ لن يكون لدولةٍ عذرٌ في رفض التَّعاون مع الولايات المتحدة في جربها على من تريد. ولذٰلك كان أوَّل تصريحٍ في أوَّلِ خطابٍ للرئيس الأمريكيِّ **جورج بوش الابن**، وظلَّ يردِّدهُ المسؤولون الأمريكيون كباراً وصغاراً هو: «على العالم أن يختار إمَّا أن يكون مع الولايات المتحدة أو مع الإرهاب... مع الخير (الولايات المتحدة) أو مع الشَّر (من ليس مع الولايات المتحدة)...».

وما هو الإرهاب؟ لم يطل تفسير ذٰلكَ كثيراً ففي الخطاب ذاته، وفي العبارة ذاتها تقريباً قال: «إنَّها الحرَّب الصَّليبية الجديدة».

على هٰذا الأساس تمَّ تقسيم العالم إلى عالمٍ إنسانيٍّ حرٍّ وهو الحلف الغربي، وعالمٍ همجيٍّ هو عالم العرب ولإسلام... والحرب القادمة هي ضدَّ كل الدول الَّتي تؤوي الإرهاب والإرهابيين... وهٰذه الدول هي بالضرَّورة الدول الَّتي لا تقف مع

الولايات المتحدة[٦١]. وسرعان ما بدأت الولايات المتحدة إجراءاتها العملية فقد «توجَّه فريقٌ من المارينز الأمريكيِّ للتَّمركز في البحر الأبيض المتوسط»[٦٢]. وما هي إلا أيامٌ قليلةٌ من التَّفجيرات حَتَّى أعلن وزير العدل الأمريكي أنَّ الولايات المتحدة تبحث عن عملاء يتقنون اللغة العربية واللغة الفارسيَّة... فلماذا؟

كلُّ الإجراءات والتَّصريحات موجهة إلى عدِّ العدو الوحيد والحقيقي لأمريكا والغرب هو العرب خاصَّة والمسلمون عامَّةً. ولٰكنَّ ذٰلكَ لا يمنع أن تستمثر هٰذه الأحداث في احتواء الأعداء القدامى أو المحتملين من غير العرب، وهٰذا ما سمِّي العودة إِلَى الخطَّة البريطانيَّة المسمَّاة باللعبة العظمى وهي احتواء روسيا ومنعها من الوصول إِلَى المياه الدافئة؛ مياه الخليج العربيِّ عن طريق أفغانستان والباكستان وإيران. وكذٰلكَ احتواء الصِّين الطَّامحة ومنعها من الوصول إِلَى المحيط الهندي برًّا. كل ذٰلكَ من خلال نشر الوجود الأمريكي في محيط هاتين الدولتين بذريعة محاربة الإسلاميِّ في الدُّول المحيطة بهما. ومحاربة الإرهاب الإسلامي، والإسلام، ليست ذريعة لمحاصرة روسيا والصين، هي المتن في حقيقة الأمر، لأنه حَتَّى في ظل أخسن المواجهات بَيْنَ المعسكرين الرأسمالي والاشتراكي ظلَّ الإسلام في نظرهما معاً هو العدو المشترك وربَّما الوحيد.

الحد من اندماج المسلمين بالمجتمع الغربي

نحن نتحدث هنا عن أمرين متلازمين تقريباً **أوَّلهما** الحدُّ من انتشار الإسلام في أوروبا والغرب عامَّةً، **وثانيهما** الحدُّ من اندماج المسلمين بالمجتمع الغربي للحدِّ

(٦١) . هذه الفكرة بمختلف صورها وأشكالها ترددت على لسان كبار المسؤولين الأمريكيين بدءاً من جورج بوش الابن وديك تشيني وكولن باول ودونالد رامسفيلد وجون أشكروفت وغونداريسا رايس... وصولاً إِلَى أدنى المسؤولين، ووسائل الإعلام، ولم يكن ذلك مرة واحدة بل مرَّات بدأت مع الأزمة وما زالت مستمرة.

(٦٢) . جاء هذا في الإعلان الأمريكي عن إعادة انتشار القوات الأمريكيَّة في ٢١/ ٩/ ٢٠٠١م.

من التواصل الإسلاميِّ مع المجتمع الغربي والحدِّ من دخول أناسٍ جددٍ إلى الإسلام، أي الحدَّ من انتشار الإسلام في المجتمع الغربيِّ. ولذلك نحن أمام هدفٍ واحدٍ بأكثر من صورةٍ.

إنَّ إعلان بدء الحرب الصَّليبية الجديدة في أول تصريح في أول خطاب للرئيس الأمريكي **جورج بوش الابن** لم يكن زلَّة لسانٍ كما حاول المفكرون ترقيع الصَّراحة الوقحة في إعلان هٰذه الحرب. **فجورج بوش الابن** الذي يعرف تفاصيل الحدث قبل أن يحدث بأشهر لم يفاجئ به ليهذي ويهلوس من غير درايةٍ. وحَتَّى لو افترضنا أنَّهُ فوجئ بالحدث فإنَّهُ ليس أيَّ رجلٍ ليهذي ويلهوس بما هبَّ ودبَّ. الخطاب مدروسٌ بعمق. وعلى أساسه قسَّم العالم إلى عالمٍ متحضِّرٍ وعالمٍ متخلِّفٍ، عالمِ أهل الخير وعالمِ أهل الشرِّ... وعلى المواطن الغربي أن يدرك أنَّ المسلمين أشرارٌ لا يجوز الاقتراب منهم، والإسلام دينُ الإرهاب لا يجوز الاقتراب منه.

لقد أرادت الولايات المتحدة وضع حواجز نفسية بَيْنَ الغربيين والإسلام على نحوٍ يجعلهم ينفرون منه ولا يفكِّرون في محض الاقتراب لا من المسلمين ولا من معرفة الإسلام. وقد وجدنا نتائج ذٰلكَ على الأرض على نحوٍ مدهشٍ فقد تعرَّض المسلمون والعرب وكل ذوي اللحى إلى هجماتٍ شنيعةٍ في المجتمعات الغربية وخاصَّة في الولايات المتحدة الأمريكية.

ولٰكنَّ السُّؤال الذي لا بُدَّ أن يطرحه كثيرون: هل هٰذا الهدف أو الاستثمار يأتي في المرتبة الرابعة من الأولويات؟ أي حسبما رتبتاها!

الحقيقة أنَّهُ لا مشكلة في ذٰلكَ فالأهداف في جملتها تنويعات على نغمٍ واحدٍ، كلُّ واحدٍ منها مرتبطٌ بالأهداف الأخرى ارتباطاً تلازميًّا. ولذلك لا فرق

بَيْنَ أن يأتي الهدف أولاً أو رابعاً. وإنَّما رتبناهاً على ما وردت عليه من ترتيب على أساسٍ منطقيٍّ لا على أساسٍ أولوليٍّ. لأنَّنا نرى أنَّ الأهداف الخمسة هي ذاتها من زاويا مختلفة.

تشتيت العالمين العربي والإسلامي

الحدُّ من اندماج المسلمين بالمجتمع الغربيِّ يستهدف المسلمين الموجودين في المجتمع الغربي. هنا الهدف هو المسلمون في مجتمعاتهم ذاتها. وفي لقاء أجرته معه قناة الجزيرة قال **ميرزا أسلم بك** رئيس أركان الجيش الباكستاني السابق: إن هدف الولايات المتحدة من وراء التوجه إلى أفغامستان هو منع قيام أيِّ حلف إسلامي يضمُّ الباكستان وإيران وأفغانستان.

إنَّ العمل على عدم قيام أيِّ وحدةٍ عربيَّةٍ أو إسلاميَّة، أو حَتَّى أيِّ تقاربٍ فاعلٍ بَيْنَ هٰذين المكونين هو هدف الغرب الأساس منذ ما مطالع القرن العشرين على الأقل. وكان لنا أكثر من حديث في هٰذا الموضوع في غير هٰذا الموضع. وسنعود إليه بشيءٍ من التَّفصيل في الفصل التالي.

هٰذا الهدف لم يقل حدَّةً عن هاجس السَّعي وراءه في العالم الغربي بحال من الأحوال. ولٰكنَّ التَّطورات التَّاريخيَّة المتلاحقة أدَّت إلى انفلات الأمور نوعاً ما، مثلما حدث في تغير صورة العربيِّ، وتغير صورة الإسلام في الذهنيَّة الغربيَّة. والأمر ذاته تقريباً حدث في العالم العربيِّ والإسلاميِّ من تفتح الوعي من جهةٍ، وثورة المعلومات التي بدأت فيما يبدو بتغيُّر خريطة التَّفكير.

الولايات المتحدة في وجهة نظري مطمئنةٌ إلى الأنظمة الحاكمة. ولٰكنَّهَا تريد مزيداً من الإمساك برقاب الحكام العرب من جهة، وتكريس التشرذم العربي من

خلال ما سمَّته الحرب على الإرهاب والحرب ضدَّ قوى الشر... لهٰذا الأمر كفيل بإيجاد مزيدٍ من الشُّروخ بَيْنَ الأنظمة والشعوب؛ بَيْنَ الأنظمة ذاتها من جهةٍ، وبَيْنَ الأنظمة والشعوب من جهةٍ أخرى.

خاتمة

السُّؤال الذي سيفرض ذاته بقوَّةٍ هنا هو: هل ستنجح الولايات المتحدة في تحقيق لهٰذه الأهداف؟

البوادر تقول حَتَّى الآن إنَّهَا نجحت، وربَّما نجحت بقوَّة. نجحت فيما يبدو في شدِّ أواصر الحلف الغربيِّ وفي طريقها إلى إعادة بناء المنظومة الرأسماليَّة واحتمال النجاح في ذٰلكَ كبيرٌ جداً. لهٰذا على الرَّغْمِ من الانشقاق الظَّاهر في مسألة احتلال العراق. وكذٰلكَ استطاعت الولايات المتحدة أن تعيد انتشارها الجيوستراتيجي في العالم، وتضع قواعدها في تقاطع نقاط تغطية شبه شاملةٍ للعالم. والفتنة بَيْنَ الأنظمة العربيَّة والشُّعوب العربية على قدمٍ وساقٍ... وكذٰلكَ فيما بدا أمر التعامل الغربيِّ مع الإسلام.

ولٰكن، لهٰذا ما ظهر. ومما ظهر مما يبدو مؤشراً على الإخفاق أن الإقبال الغربيَّ وخاصَّة الأمريكي على التَّعرف على الإسلام من خلال الكتب والقرآن والنت قد تزايد بأرقامٍ كبيرةٍ ومدهشةٍ. ولهٰذا مما سينعكس سلباً على التَّصور الأمريكي لاستثمار الحدث من لهٰذه النَّاحية. لهٰذا من النَّاحية النَّظرية.

في الوقت ذاته فإنَّ المنطق الجدليَّ والتَّاريخي يقول إنَّ استثمار الأحداث بهٰذه الطَّريقة سيؤدِّي تدريجيًّا إلى انقلاب الأمور على أصحابها. أي كما يقول **هيجل**: الفكرة تولد نقيضها من ذاتها. لهٰذه الحرب الأمريكيَّة، في ظلِّ تعاظم ثورة المعلومات

والتَّواصل، ستؤدِّي من وجهة نظري إلى انقلاب السِّحر على السَّاحر، وسيكون ذَلكَ وبالاً على أمريكا. أصلاً القلوب بأحداث أيلول حبلت بكره أمريكا أكثر بألف مرَّةٍ مما كان من قبل بسبب الخطاب الأمريكي والدعاية الأمريكيَّة والحرب الظالمة على الإسلام والمسلمين. ولا أظنُّ إلا أنَّ قادم الأيام سيكون أسوأ ما يكون على الولايات المتحدة تحديداً ثمَّ على المجتمع الغربي عامَّةً. مع تذكر أنَّ الولايات المتحدة ستكون أكبر المتضررين ذَلكَ أنَّها كالعود اليابس ينكسر ولا يلين. بينما أوروبا عود رطب يلين ولا ينكسر. هناك فرق بَيْنَ العقليتين على المستوى السياسي.

على أيِّ حال، لن يطول انتظارنا فالقطار يسير بسرعة تفوق سرعة انتظارنا.

الفصل الثالث

الضحية الجاهزة

التضافر اللاشعوري على العرب والإسلام

زَلَّةُ اللسِانِ تَعْبِيْرٌ عَمَّا فِي الوِجْدَان.

هٰذه حكمة عربيَّة ليست بالجديدة على أيِّ حال. هي في القوت ذاته قاعدة في علم النفس، رُبَّما يكون فرويد أظهر من قال بها وأسس لها، ولٰكنَّهَا قاعدة نفسيَّة في تحليل العقل الباطن وزلات اللسان والتصرفات اللاشعويَّة عامَّةً.

الحرب الصَّليبية الغربيَّة الجديدة التي ستندلع بَيْنَ العالم المسيحيِّ والعالم الإسلاميِّ التي أعلنها الرَّئيس الأمريكيُّ **جورج بوش الابن** في أوَّل ظهورٍ إعلاميٍّ لم تكن زلَّة لسانٍ، ولا تلويحاً، ولا تهديداً... لقد كانت تعبيراً صريحاً عن أمور ثلاثة:

أولها: أمَّ العرب والمسلمين هم العدوُّ الذي يأكل العقل الباطن الغربيَّ ويهيمن على لا شعوره وسلوكه اللاشعويِّ.

ثانيها: الضَّحيَّة الجاهزة لأيِّ اتهام بأيِّ سلوكٍ خاطئٍ أو إجراميٍّ يحدث في العالم. وسنرى تجليَّات ذٰلكَ بعد قليلٍ.

ثالثها: أمرٌ مرجَّح باحتماليَّةٍ عظمى بناءً على ما سبق من معطيات في الفصول السابقة، وهو أنَّ ثَمَّة مخطَّطٌ جاهزٌ مسبَّقاً للأحداث وتلبيس العرب والمسلمين التُّهمة بإرادةٍ جليَّةٍ وتصميمٍ لا رجعة عنه، ولا احتماليَّة لتغييره.

لقد حاول وزير الخارجيَّة الأمريكيُّ **كولن باول**، ومعه الكثيرون، أن يصحِّح **لجورج بوش الابن**، ويوجد التَّسويغات لتصريحه الفج الوقح. ولٰكنَّ

زعماء أوروبا معظمهم أعلنوا الحرب ذاتها تقريباً في اليوم الأول من الضَّربة. والكلُّ في الوقت ذاته يقول إنَّ هٰذه زلة لسانٍ. أمَّا وسائل الإعلام الغربيَّة فلم تحاول أن تبحث عن مسوغات لإعلانها الحرب الصليبيَّة. لقد كانت تسير في عزف نوتةٍ إعلاميَّةٍ جاهزةٍ موزَّعةٍ على الجميع؛ كلُّ واحدٍ يعزفها على آلته الخاصَّة، ولٰكنَّ اللحن في المحصلة واحدٌ. النشاز رُبَّما يكون موجوداً، ولٰكنَّهُ نشازٌ لا أكثر. ولقد اعترف **خافيير سولانا** المنسق العام لشؤون الاتحاد الأوربي بأنَّ «تعبير الحرب الصليبيَّة يتكرر كثيراً في وسائل الإعلام الغربيَّة»(٦٣). وإن حاول أن يقلِّل من قيمة هٰذا الانتشار بأنَّهُ من باب الكلام الشَّائع الذي يخلو من المضمون.

الولايات المتحدة الأمريكيَّة وأوربا الغربيَّة أعلنتا أنَّ الحرب حرباً صليبيَّة، وهما بذٰلكَ لم تخطئا بل أفصحتا عن الوجه الحقيقيِّ للسياسة الغربيَّة. ولٰكن تبيَّن لهما أنَّ مثل هٰذا الإعلان قَدْ يضرُّ بمصالحهما فادعتا أنَّ هٰذه غلطة، زلَّة لسانٍ غير محسوبةٍ، وصار واجبُ العالم كلُّه أن يبحث عما يثبت أنَّ هٰذا الكلام كان غلطةً لا تؤاخذ، ولا يحاسب عليها، وكانت الأبواق القذرةُ في العالم العربيِّ؛ أبواق السَّلاطين والمرتزقة والمأجورين، أبرز النُّشطاء في البحث عن الأدلة الَّتي تؤكِّد حسن النوايا الأمريكيَّة من الحملة الصليبيَّة.

ولٰكنَّ زلَّة اللسان ليست زلَّة لسانٍ، قالوا زلَّة لسان في الإعلام، ومارسوها على أرض الواقع. ولماذا نبتعد كثيراً؟ لقد أعلن وزير الدفاع الأمريكي **دونالد رامسفيلد** أنَّ «**أسامة بن لادن** ليس هو الحل،

(٦٣) .كان هذا الكلام في لقاء أجرته معه قناة الجزيرة الفضائيَّة في ١٨/ ٩/ ٢٠٠١م.

ستكون الضَّربة موجعة للجميع»[٦٤]. ومثل هٰذا الكلام جاء على لسان **جورج بوش الابن** مرات كثير في الأيام القليلة التالية للحدث وما بعده على امتداد ما مضى إلى الآن. ويؤكِّد ذٰلكَ خير تأكيدٍ ما أعلنه **آري فلايشر** النَّاطق باسم البيت الأبيض يوم الثلاثاء ٢/١٠/٢٠٠١م عندما «أكَّد أنَّ الرَّئيس الأمريكي **جورج بوش الابن** لم يَعِدْ أبداً بعدم مهاجمة دولٍ عربيَّةٍ بينها العراق في إطار الحملة ضدَّ الإرهاب»[٦٥].

ذكر العراق تحديداً لأنَّ الأنظار معظمها توجهت إلى أنَّ الهدف الأول أو أحد أبرز الأهداف الأولى سيكون الحرب على العراق. ولٰكنَّ إدخال العراق هنا في حقيقة الأمر ليس إلاَّ لذرِّ الرماد في العيون وتعمية المخططات الَّتي تضمرها القيادة الأمريكيَّة، لأنَّ ضرب العراق أمرٌ لا صلة له بالأحداث الَّتي جرت، والولايات المتحدة مع حليفتها بريطانيا لم تتوقفا عن ضرب العراق منذ عشر سنوات. ودليلنا على ذٰلكَ، على أنَّ إدخال العراق ليس إلا لذر الرماد في العيون، وأنَّ أيَّ دولةٍ عربيَّةٍ قد تكون هدفاً محتملاً هو قول وزير الخارجيَّة الأمريكي **كولن باول** عندما «أوضح أنَّ الرئيس الأمريكي لم يستبعد أيَّ هدفٍ فيما اسماه بالمراحل الثَّانية والثَّالثة والرَّابعة من الحملة العسكريَّة ضدَّ الإرهاب»[٦٦].

لاحظوا جيِّداً المخطَّط الأمريكي المسبَّق: هناك مرحلةٌ أولى وثانيةٌ وثالثةٌ ورابعةٌ... وليس الأمر أمر القاعدة أو أفغانستان فقط أو العراق التي أنكر

---

(٦٤). من تصريح له في ١٨/ ٩/ ٢٠٠١م.

(٦٥). جريدة **البعث**. العدد ١١٦١٠. الأربعاء ١٦ رجب ١٤٢٢هـ/ ٣/١٠/ ٢٠٠١م.

(٦٦). م. س. ذاته.

الأمريكيون غير مرَّةٍ أن يكون لها صلةٌ بالأحداث. هناك مخطَّطٌ إذن، ظهر مع التَّصريحات الأولى والأيام الأولى في الحدث.

العالم الإسلاميُّ تحديداً هو الهدف وهو المشروع الأمريكي. يجب أن نتذكَّر هنا التَّطورات السَّابقة على الحدثِ الأمريكيِّ مما سبق وأشرنا فيما يتعلَّق بتنامي الإقبال الأوروبيِّ على الإسلام وبدء تداعي المنظومة الغربيَّة الرأسماليَّة، وبوادر انهيار القداسة الصهيونيَّة. ولٰكنَّ ما لم نشر إليه أيضاً أن هناك مشروع بدأ يظهر على السَّاحة الإسلاميَّة منذ بضع سنواتٍ بمعالم باكستانيَّة تركيَّة إيرانيَّة ولا أعرف لماذا يزج بالسُّعوديَّة في الموضوع، يهدف إلى قيام نوعٍ من الوحدة تمتدُّ من السُّعودية إلى الباكستان؛ ليست وحدة بقدر ما هي سوقٌ مشتركةٌ تارةً، وحلفٌ تارةً أخرى. ناهيكم عن الخلافة التي ظهرت في أفغانستان مع حركة طالبان عام ١٩٩٦م. وفي هٰذا الإطار فسَّر **ميرزا أسلم بك** رئيس أركان الجيش الباكستاني السَّابق، التوجُّه الأمريكي إلى ضرب أفغانستان بأنَّهُ يهدف إلى منع قيام أيِّ حلفٍ إسلاميٍّ يضمُّ الباكستان وإيران وأفغانستان.

كلُّ هٰذه العوامل مشتركةً كانت حاضرةً في الذِّهنية السِّياسيَّة الأمريكيَّة خاصَّة والغربيَّة عامَّةً. وبدأت المخطَّطات لوضع حدٍّ للتدهور الغربيِّ والمدِّ الإسلاميِّ بشقيه في العالم الغربيِّ وفي بيئته معاً. ولذٰلك كان ثَمَّة مطالب أمريكيَّة من أكثر من دولةٍ إسلاميَّةٍ منذ ما قبل الأحداث بزمنٍ، وقد أعلن الباحث في معهد الدِّراسات السياسيَّة في الباكستان **خالد رحمان** أنَّ «المطالب الَّتي قدَّمتها الولايات المتحدة للباكستان بعد التَّفجيرات هي ذاتها الَّتي تقدَّمت بها قبل التَّفجيرات بزمن غير بعيد»[٦٧].

(٦٧) . جاء هذا الكلام في لقاء معه أجرته محطة الجزيرة في ١٧/ ٩/ ٢٠٠١م.

يجب أن نلاحظ هنا أمرين فيما يخصُّ موضوعنا عن الضَّحية الجاهزة للاتِّهَام بأحدث الحادي عشر من أيلول:

أولهما: العقليَّة الجاهزة مسبَّقاً لاتهام العرب والمسلمين بأيِّ عملٍ إجراميٍّ ليس بمستوى تفجيرات أيلول وحسب بل بأيِّ عملٍ إجراميٍّ لا يُعرف من هو فاعله.

ثانيهما: والتَّخطيط الجاهز منذ ما قبل الأحدث لتوجيه الاتهام إلى العرب والمسلمين وعدم ترك أيِّ ثغرةٍ في الجوقة الإعلاميَّة التي تصبُّ كلَّ اتهاماتها على العرب والمسلمين، وشحن النفوس وتهيئتها لتقبُّل أيِّ عملٍ إجراميٍّ ضدَّ العرب والمسلمين وعدم الاعتراض عليه مهما كان.

ولذلك منذ اليوم الأوَّل من أحداث الحادي عشر من أيلول راحت تُروَّجُ في وسائل الإعلام فكرة: مطاردة العرب، ومتابعة العرب، وملاحقة العرب، واعتقال العرب، والتضييق على العرب... حَتَّى صارت كلمةُ عربيٍّ في الأوساط الغربيَّة قرينةً للإرهاب، والتَّخلف، والتَّطرف، والمطلوب رأسه على طريقة الكابوي الأمريكيَّة، ولم تكن هٰذه صورة العرب والمسلمين في الذِّهنيَّة الغربيَّة مخالفةً لهٰذه الصورة قبل ذٰلكَ أصلاً. ولٰكنَّ الأمر مع الحدث أخذ بعداً آخر؛ التَّجاوب العفويُّ التلقائيُّ اللاشعوريُّ مع شيطنة العرب والمسلمين بطريقةٍ غير مسبوقةٍ، والضخ الإعلامي غير المسبوق في هٰذا الاتجاه. وصار العرب في هٰذه الدول، وتنتقل العدوى إلى الدول العربيَّة ذاتها أيضاً، يتكنُّون بأقطارهم لا بعروبتهم؛ صار من الطَّبيعي جدًّا والمحبوب والمحبَّذ أن يقول المرء: أنا سوري، أنا مصري، أنا سعودي... ويشعر بالخوف والقلق من قوله: أنا عربي. بل رُبَّما بات يشعر بالعار من

قوله: أنا عربي. لأنَّ فروة رأس العربي مطلوبة، العربي مطلوب رأسه للعدالة الدوليَّة...

الجدير بالذكر هنا أنَّ هٰذا السُّلوك في حقيقته ليس سلوكاً طارئاً كما بيَّنا غير مرة في هٰذا الكتاب ومقالاتٍ أخرى كثيرةٍ. إنَّهُ جزءٌ من الحملة على العروبة والإسلام بغرض تعزيز الهويَّة القطريَّة العربيَّة وتكريس هٰذا الانتماء الجزئي وتحويله من هويَّةٍ وطنيَّةٍ إلى هويَّة قوميَّة؛ أي جعل الحالة القطرية هي الوطنية والقوميَّة في آن معاً، وإمحاء الهوية القوميَّة العربيَّة، والقضاء على فكرة الأمة الإسلاميَّة. وكذٰلكَ أيضاً العمل على إحياء الانتماءات القبليَّة والطائفيَّة وإدخالها في أتون صراعاتٍ مصيريَّة تريح الغرب من عناء بذل الجهود الكبيرة والمكلِفة في محاربة العرب والمسلمين؛ عندما يدخل العرب والمسلمون في صراعاتٍ طائفيَّةٍ أو قبليَّةٍ أو مشتركةٍ فإنَّهَا ستخفِّف من عناء الغرب في مراقبة المنطقة ومتابعتها. ولهٰذا المشروع في إحياء هٰذا النَّمط من الصِّراع في المنطقة مشروعٌ قديمٌ ليس بالجديد. حسبنا قول **موشي دايان** منذ أكثر من ثلاثين سنةً: «ما زالت القنبلة الموقوتة في يدنا»، وعنى بذٰلكَ الصراع الطائفي بَيْنَ العرب والمسلمين. ولا أبالغ إذا قلت بأنَّ الغرب سيجد لدى العرب خاصَّة والمسلمين عامَّةً من الغباء ما يكفي لإشعال مثل هٰذه الحرب الطَّائفية. وسيكون لدينا من الأغبياء ما يغني الغرب عن الخونة والعملاء.

إعلامنا العربيُّ يكرِّر بغباءٍ أَو خيانةٍ ما تقرِّره مراكز صنع القرار الغربيَّة من تحويل العربيِّ إلى مطلوبٍ رأسُه ممن استطاع إلى ذٰلكَ سبيلاً. حَتَّى صار مقتل العربي خبراً صحافيًّا متميزاً، وليس خبر اليوم هو الخبر

الأول ولا الوحيد، فما أكثر ما تردَّد على أسماعنا مثل هٰذا الخبر، فقد سمعنا أكثر من مرَّةٍ عن ملاحقة العرب في أماكن معينةٍ، وعن اعتقالات بالجملة والمفرق للعرب في أصقاع العالم المختلفة، وعن قتل بالخطأ لأشخاصٍ يشبهون العرب. إنَّهُ لمثيرٌ للاشمئزاز أن نجد أنَّنَا نفرح لكوننا ملاحقين بكلِّ التُّهم الشَّنيعة، وأن نستمتع بذَلكَ ونتعامل مع أنفسنا مثلما يتعامل الغرب معنا وكأنَّنا نحن لسنا نحن!! نخرج من جلودنا ونجلس مع النَّاظرين نراقب ازدراء العالم لنا ونستمتع به!!!

لا تظنُّوا الأمر تخيلاتٍ ولا أوهاماً... الذين يرسمون معالم الاستراتيجا في الغرب أناس مختصُّون لديهم كلُّ الإمكانات التي يحتاجونها لتوجيه دفَّة الشُّعوب. فيما الذي يرسمون معالم مستقبل أمَّتنا ثلةٌ من الأوباش الأغبياء، لا هم أوباش فقط ولا هم أغبياء فقط، إنَّهُم أوباش وأغبياء معاً، اصنعتهم الأنظمة الحاكمة في عالمنا العربي والإسلامي ليلمعوا صورهم القبيحة، ويدافعوا عن زورهم وبهتانهم وطغيانهم.

السيد أحمد

الفصل الرابع

لماذا أفغانستان؟

لقد كشفنا في الفصول المختلفة السَّابقة، وحَتَّى فيما سيأتي تفاصيل الأسباب والأهداف وملابساتها. وسنركِّز هنا تحديداً على سبب اختيار أفغانستان لتكون الهدف الأول من أهداف العمليَّة العسكريَّة الأمريكيَّة ثأراً لاستهدافها؛ أعني استثماراً لعمل قامت به هي.

لم نحصل على أيِّ وثائق أو تصريحاتٍ تنبئنا عن سبب اختيار أفغانستان أوَّلاً. أمامنا تصريحات اتهام القاعدة، نعم، وهي السَّبب الظَّاهر المباشر. ولٰكنَّ بناء على تصورنا للحدث، والأدلَّة القاطعة على ضلوع الولايات المتحدة بالحدث من ألفه إلى يائه، وإدارة الحدث بالطَّريقة التي سَلَفَ الحديثُ فيها، يعني احتمال وجود أهداف متنوِّعةٍ مرسومةٍ مسبقًّا وأسباب رُبَّما لا تكون ظاهرةً في التَّصريحات العلنيَّة لاختيار الأهداف المعلنة وغير المعلنة في المرحلة الأولى والثانية والثالثة والرَّابعة كما صرَّح **كولن باول**.

فوبيا الخلافة الإسلامية

على الرَّغْمِ من أنَّ الخلافة ليست نظام الحكم الإسلامي الوحيد، ولا الواجب، ولا النافل... فهي هي نظام حكمٍ من عشرات أنواع أنظمة الحكم التي لا تتعارض مع الإسلام ولا يعارضها الإسلام[٦٨]... إلا أنَّها تظلُّ الصُّورة الرمزيَّة

(٦٨) . سمي أبو بكر الصديق خليفة الرسول صلى الله عليه وسلم، وعمر بن الخطاب الذي خلف أبا بكر سمي أمير المؤمنين، ولم يسم الخليفة وإن ظهر وصف خليفة خليفة رسول الله، ولذلك لم يسم عثمان خليفة خليفة خليفة رسول الله... ولٰكنَّ لقب الخليفة عاد وصفاً مع بني أمية وسمي نظام الحكم بالخلافة، وكان ينادى الخليفة أمير المؤمنين.

لمجد الأمَّة ووحدتها في الذِّهنيَّة الإسلامية قاطبةً، وتظلُّ مطمحاً يداعب أخيلة المسلمين دائماً لا بوصفه صورةً من الماضي وإنَّمَا بوصفها مخرجاً للأمَّة من ضعفها وهوانها وَمِحَنِهَا وتردِّيها وتدهورها وتشرذمها وتتالي هزائمها المخزية على مدار أكثر من قرن... وأرجو أن لا نعجب من سلسلة المخازي هٰذه فهي الحقيقة التي يعيشها العرب والمسلمون ويعانون بها ومنها شديد المضض؛ المادِّي والمعنوي.

ولٰكن في الوقت ذاته، ومن ناحية أخرى فإنَّ الخلافةُ الإسلاميَّة هي البعبع الذي يخافُ الغرب من انتشار فكرته بَيْنَ المسلمين أكثر مما يخاف من المسلمين(٦٩)... ولذلك استنفرت أمريكا كلَّ جهودها والعالم معها وأحداث الحادي عشر من أيلول للقضاء على الخلافة في أفغانستان على الرَّغْمِ من أنَّهَا لا تهش ولا تنش... ولٰكنَّ فكرة أنَّ هناك خلافةٌ إسلاميَّةٌ قائمةٌ يجلب الضَّجر والقلق والأرق والصُّداع والسَّرطان للغرب... ولذلك فإنَّ قيام الخلافة أمرٌ لا تسمح به السِّياسة الغربية مهما كلَّفها ذلكَ من ثمنٍ. ولا يمكن تخيُّل أنَّ الغرب في هٰذا السِّياق يعمل بكلِّ ما يستطيع للحيلولة دون التفكير فيها طالما هو قادر على ذلكَ، متَّخذاً ما استطاع من السُّبل والوسائل والأدوات. فكيف لو أنَّ الخلافة قامت تحت أيِّ صيغة من الصِّيغ وفي أيِّ مكان كما هو الحال في أفغانستان؟!

لا يمكن أن يسمح الغرب ورأس حربته الولايات المتحدة بهٰذه الخطوة مهما كلَّفها ذلكَ من ثمنٍ. صحيحٌ أنَّ أفغانستان لا حضور لها على الخريطة السياسيَّة ولا الاقتصاديَّة وهي بلد فقيرٍ يموت جوعاً... نعم، هٰذا صحيح، ولٰكنَّ فكرة الخلافة وحدها أكبر من ذلكَ جميعاً، وهي ولو محض فكرةٍ أخطر ما يهدِّد الوجود الغربي الماهوي.

---

(٦٩) . لن نطيل في موضوع محاربة الخلافة فهو أمر طويل يستحق وقفة مستقلة رُبَّما تتاح لنا الفرصة للعودة إليها.

هنا صار من السَّهل أن ندرك لماذا استبعدت العراق من قائمة المتهمين، لأنَّ محاربة الخلافة الموجودة على أرض الواقع أولويَّةٌ مطلقةٌ على غيرها من المخاطر مهما بلغت اللهم إلا الاستثناء منقطع النَّظير وهو غير موجود على أيِّ حال. بل ولماذا استبعدت إيران أيضاً التي فيها دولة إسلاميَّة يشبه أن تسمَّى دولة خلافةٍ عمرها أكثر من عشرين سنة.

هنا لا بُدَّ أن نعرِّج على مسألة غاية في الأهمية والخطورة. تتوافق الذِّهنيات اليهودية والمسيحية والإسلاميَّة توافقاً كبيراً في مسائل البعث والقيامة ونهاية الدولة اليهودية... سنجد من يقول هٰذا الكلام ليس علميًّا، وليس منهجيًّا... سنقول هٰذا صحيحٌ. ولٰكنَّ من يؤمن به لا ينتظر العلم ولا المنهج كي يصحِّح له إيمانه... إنَّ **جورج بوش الابن** الذي يحلم **بالمسيح** عليه السلام كلَّ يومٍ ويتلقَّى منه الأوامر يقود أعظم دولةٍ في العالم وهي دولةٌ علمانيَّةٌ... ومن يفكِّر بهٰذه الطَّريقة لا يمكن تصديق أنَّهُ لا يرسم سياسته على ضوء نبوءات الأديان والعمل بمقتضاها.

هنا تحضر الأحاديث النبوية في هٰذا الشأن، وربَّما على رأسها فيما يخص موضوعنا الرَّايات السُّود القادمة من الشَّرق ولا تتوقَّف إلا في بيت المقدس. يقول رسول الله ﷺ «ثُمَّ تَطلعُ الرَّاياتُ السُّودُ من قِبَلِ الْمَشْرِقِ فيقتلونكم قتلاً لم يقتله قَوْمٌ، فَإِذَا رَأيتمُوْهُ فَبَايعوهُ وَلَوْ حَبْواً على الثَّلجِ، فإنَّهُ خليفة الله **المهدي**»(٧٠). بغضِّ النَّظر عن مدى صحَّةِ الحديث فإنَّ من يظنَّ أنَّ كواليس السياسة الغربية تتجاهله فهو مخطئ، ويخطئ من يظنُّ خلاف ذَلكَ.

---

(٧٠) . رواه ابن ماجة في سننه. ورواه القرطبي صاحب التفسير في التذكرة للقرطبي بالرقم: ٦١٤ وقال إسناده صحيح. ورواه ابن كثير في نهاية البداية والنهاية وقال إسناده قوي صحيح. ورواه الحاكم في مسنده. ورواه صاحب البحر الزاخر تحت رقم ١٠٠ وقال حديث صحيح.

فما هو هٰذا الشَّرق؟ الشَّرق هو الشَّرق بالنسبة لبيت المقدس والشَّام أرض الملحمة الكبرى، قد يكون الشَّرق هو العراق أو إيران أو أفغانستان ومحيطها[٧١].

كون **المسيح الدَّجال** سيظهر في إيران (أصفهان) واليهود حوله كما تروي الأحاديث، ولا تختلف المسيحيَّة واليهوديَّة مع الإسلام في هٰذا الشأن، فإيران إذن ليست هي العدو[٧٢]. بقيت العراق وأفغانستان ومحيطها. وكون الخلافة قائمةً في أفغانستان فهي الأولى بالضَّربة من غيرها ووضع اليد عليها.

التجريب بدولة تكون قاعدة انطلاق

في حين أنَّ كلَّ القوَّات التي يمكن أن تواجه أمريكا في أفغانستان لا تزيد بحالٍ من الأحوال عن مئتي ألف مقتل بالأسلحة الخفيفة وحَتَّى السَّخيفة بالمقارنة مع الأسلحة الأمريكيَّة قوامها الأسلحة الفرديَّة ونحو مئتي دبابة من مخلَّفات الحرب العالميَّة الثانية ورُبَّما الأولى مع عشر طائرات لا يمكن أن تطير، ونحو مئة صاروخٍ مضاد للطائرات لا يمكن أن تصل إلى أيِّ طائرةٍ أمريكيَّةٍ، ناهيكم عن غياب بنية الدَّولة ومؤسَّساتها والتخلُّف الفظيع الذي تعيشه هٰذه الدولة... فقد حشدت الولايات المتحدة وحدها أكثر من ٥٠٠ طائرة مقاتلة، وأربع مجموعات من حاملات الطائرات محصَّنةٍ ومسنودةٍ بنحو مئتي سفينةٍ حربيَّةٍ ومعها عشر بوارج ومدمِّراتٍ مدجَّجةٍ بصواريخ كروز وتوماهوك، وسيدخل المعركة البرية ما بَيْنَ ٢٥٠ ألف و٣٠٠ ألف مقاتل من القوات البرية والخاصَّة ومشاة الأسطول. هٰذا ما عدا الثلاثين دولة المشاركة في العدوان على أفغانستان.

---

(٧١) . روى الترمذي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ قالَ: «تَخْرُجُ مِنْ خُرَاسَانَ رَايَاتٌ سُودٌ لاَ يَرُدُّهَا شَيْءٌ حَتَّى تُنْصَبَ بِإِيلِيَاءَ». وإيلياء هي بيت المقدس. والأحاديث في ذٰلكَ متعددة الروايات.

(٧٢) . عدم وضع إيران على خريطة الأهداف ولا قائمة المتهمين أمر ملفت في ظل ما يبدو من عداء ظاهر كبير.

لماذا كل ذَلكَ؟

أظـنُّ أنَّ الولايـات المتحـدة تشـعر بنـوعٍ مـن عقـدة الـنَّقص تجـاه تاريخهـا الإمبراطـوري الـذي يخلـو مـن سـجل الاحـتلال كمـا كـان حـال كـلُّ الإمبراطوريـات السَّابقة عبر التَّاريخ، رُبَّما هي الإمبراطوريَّة الوحيدة التي لم تحتل دولاً أخرى احتلالاً مباشراً مثل سابقاتها، ولذَلك فهي تريد أن تعيش هٰذه الحالة. ورُبَّما لمثل ذَلكَ قال وزير الخارجيَّة الأمريكي **كولن باول**: «سنبقى طويلاً في أفغانستان»[٧٣]. وليس الوحيد الذي قال هٰذا القول أو مثله بل أكثر كبار المسؤولين الأمريكيين صرَّحوا مثل هٰذا التَّصريح. وإذا نجحت التَّجربة ستكون أفغانستان نقطة انطلاق إلى دول أخرى.

أفغانستان ستكون نقطة انطلاق وارتكاز لخطواتٍ قادمةٍ ليس على صعيد الاحتلال وحسب، بل على أصعدة أخرى، ومن ثمَّ فإنَّ مثل هٰذا التَّصريح السَّابق ليس فقط لغرض الاحتلال. فالخطط الأمريكيَّة للمرحلة القادمة تقتضي الانتشار الاستراتيجي الذي يؤمن لها المرتكزات اللوجستيَّة الكافية والمناسبة لأيِّ خطواتٍ قادمةٍ في المخطَّط الأمريكي من جهة، ولمواجهة أيِّ تحديدات طارئة أو مرتقبة من جهةٍ ثانيةٍ. وفي هٰذا السِّياق يمكن أن نفهم تصريح الباحث في معد الدراسات السِّياسيَّة في الباكستان **خالد رحمان** أنَّ «المطالب الَّتي قدَّمتها الولايات المتحدة للباكستان هي ذاتها الَّتي تقدَّمت بها قبل التَّفجيرات بزمنٍ غير بعيدٍ»[٧٤]. وفي هٰذا التَّصريح ذاته وبحرفه ما يوحي بأنَّ المخطَّط الأمريكي سابقٌ على التَّفجيرات، واحتمال أنَّ التَّفجيرات جاءت لتنفيذ هٰذا المخطط احتمال كبيرٌ.

---

(٧٣) . أعلن كولن باول ذلك في المؤتمر الصحافي الذي عقده في أفغانستان يوم السبت ٢٠٠٢/١/١٩م.

(٧٤) . جاء هذا الكلام في لقاء معه أجرته محطة الجزيرة في ١٧/ ٩/ ٢٠٠١م.

تجريب الأسلحة الجديدة

أن تجعل الولايات المتحدة الحرب على أفغانستان محطَّةً لتجريب أسلحتها الجديدة أمرٌ أرجو أن لا يستغربه أحدٌ. حسبنا أنَّها فعلت ذَلكَ كثيراً في كثيرٍ من الأشياء، وحسبنا أنَّ أحد الاحتمالات المرجِّحة لضلوع الولايات المتحدث بأحداث الحادي عشر من أيلول هو تجريب منظومات التَّحكم الجديدة.

في كلِّ حربٍ من الحروب التي خاضتها الولايات المتحدة جرَّبت أسلحةً جديدةً، وهي ليست الوحيدة في ذَلكَ على أيِّ حالٍ. في حرب تحرير الكويت جرَّبت أنواعاً متعدِّدةً من الأسلحة، وفي عدوانها المتواصل على العراق جرَّبت أسلحةً متعدِّدةً...

ولٰكن أن تكون الحرب على أفغانستان من أجل تجريبِ أسلحةٍ جديدةٍ، أو قديمةٍ، فهٰذا أمرٌ يحتاج بعض التَّروي. نحن متَّفقون من جهة المبدأ على أنَّ الحرب على أفغانستان أو غيرها تقتضي أو تنطوي بالضَّرورة على تجريب أسلحةٍ غيرَ مجرَّبةٍ سابقاً. هٰذا أمر لا خلاف عليه يمكن أن تقوم به أيُّ دولةٍ، وليست الولايات المتحدة استثناء.

ولٰكنَّ الإغراءات مع أفغانستان شيءٌ آخر. أفغانستان بيئةٌ استثنائيَّةٌ في جبالها وتضاريسها مغريةٌ إلى أبعد الحدود في تجريب أسلحة مخصَّصةٍ لمثل هٰذه البيئة أو ما هو دونها مما يشابهها. لا تبتعدوا كثيراً، لننطلق من قول الكاتب الأمريكي **دونالد لامبرو** «رُبَّما يرى العالم أفغانستان كتلة من الجبال تعلوها الأتربة والدخان وتنمحي معالمها بَيْنَ الأطلال المنتشرة في كلِّ مكان، لٰكنَّ الجيولوجيين كان لهم رأيٌ آخر، فهم يرون في أفغانستان ثروةً طبيعيَّةً منحها الله تعالى إيَّاها ودفن في

ترابها أغلى الثَّروات الطَّبيعيَّة التي لو توافرت في دولةٍ أخرى لم تشهد كلَّ هٰذه الحروب لكانت من أغنى الدول وأقواها على الإطلاق»(٧٥).

هٰذا في حقيقة الأمر الوجه الأوَّل والظَّاهر من الطَّبيعيَّة الجغرافيَّة لأفغانستان. لنتابع مع **دونالد لامبرو** تحليله للعامل الاقتصادي قبل المتابعة في العامل التَّجريبي العسكري، يقول: «ونظراً للأهمية القصوى لتلك الثَّروات التي تملكها أفغانستان ذٰلكَ البلد الفقير، فقد فكَّر مسؤولون أمريكيون ذوو نظرةٍ بعيدة المدى في استغلال تلك الثَّروات، **عن طريق عمل خرائط تفصيليَّةٍ تغطِّي كلَّ شبرٍ من تراب أفغانستان من حيث الطبيعة الجغرافيَّة**، على نحوٍ يمكن من خلالها تحديد مواقعها وتوزيع سكَّانها وحجم ثروات البلاد الطَّبيعيَّة وجودتها بما في ذٰلكَ مناطق موارد المياه، وأيضًا تحديد المناطق التي تكون مصدرًا للزلازل»(٧٦).

أقول هنا حشواً: إنَّ توقُّعي قيام الولايات المتحدة بتجريب أسلحةٍ جديدةٍ قد ترافق مع توجيه الاتهام للقاعدة، واختيار أفغانستان هدفاً أولاً للثَّأر الأمريكي. وقد ثبت تأكُّد ذٰلكَ مع تتابع المعركة وتتالي أيامها، استهداف الجبال بصواريخ خاصَّة تستخدم لأوَّل مرَّةٍ. منها تجريب منظومة القنابل والصَّواريخ فائقة الدِّقَّة في جميع الظُّروف الجوية GDAM الموجهة بالأقمار الصُّنعيَّة، وكذٰلكَ صواريخ كروز المطور أو توماهوك (BGM).

ولم ينكر البنتاچون أنَّه عمل على تطوير صواريخ وقنابل لتدمير حظائر الطَّائرات ومواقع الدِّفاع الجويِّ ومراكز التَّحكُّم والقيادة تحت الأرض والملاجئ الحصينة والكهوف والتَّحصينات تحت الأرض، وزوَّدتها بأجهزة تسمح للقنبلة بأن

(٧٥) ـ دونالد لامبرو: **الهدف الحقيقي من الحرب** ـ صحيفة الواشنطن تايمز ـ عدد ٢١/ ٧/ ٢٠٠٢م.

(٧٦) ـ دونالد لامبرو: **الهدف الحقيقي من الحرب** ـ صحيفة الواشنطن تايمز ـ عدد ٢١/ ٧/ ٢٠٠٢م.

تعدَّ الطبقات الأرضية اللازم اختراقها قبل أن تنفجر عند الهدف وحَتَّى عمق ٢٠ متراً، ولهذه الصواريخ والقنابل موجهة ليزريًّا من قاعدةٍ أرضيَّةٍ أو من الطَّائرة.

لقد استخدمت الولايات المتحدة، فيما تناهى إلينا، لمرَّةٍ واحدةٍ قنبلةً تجريبيَّةً خطيرةً جدًّا، أخطأت الهدف. تستطيع هٰذه القنبلة أن تقطع التَّيَّار الكهربائي وتؤدِّي من ثَمَّ إلى تعطيل الأجهزة والمعدَّات التي تعمل بالكهرباء وأبرز المقصود محطَّات الرَّادار والحسابات الإلكترونيَّة ومراكز الاتصالات الخاصَّة بالقيادة. ومهمتها كذَلكَ نشر ضغطٍ وموجةٍ حراريَّةٍ هائلةٍ كافيةٍ لتدمير الْمُرَكَّبَات البيولوجيَّة للأمراض المعدية مثل الجمرة الخبيثة والجدري وغيرها. ولهٰذه الأسلحة الجرثوميَّة هي التي يمتلكها العراق.

هٰذه القنبلة هي بلو ١١٤. ولٰكنَّ الولايات المتحدة جرَّبت أيضاً قنبلة أخطر منها ومتطوِّرة أكثر منها وبآثار تدميريَّةٍ أكثر تنوعاً، هي بلو ١١٨ التي استخدمها الأمريكان على نطاقٍ واسعٍ ضدَّ قوَّات طالبان والقاعدة المتحصنة في كهوف جبال تورابورا، حيث تصدم هٰذه القنبلة الكتلَ الصَّخريَّة، ثُمَّ تمتص الاكسجين من الممرات تحت الأرض وكهوف الجبال والمساحات المغلقة، فتحدث خنقاً في الأجهزة التَّنفسيَّة للبشر الموجودين فى هٰذه الأماكن مما يدفعهم إلى سرعة الخروج من هٰذه الأماكن إلى حيث الهواء الطلق فيكونوا عرضة للقتل بالأسلحة التقليدية أو الأسر.

على أيِّ حالٍ هٰذه عيِّنةٌ صغيرةٌ من التَّجارب التي أجرتها الولايات المتحدة الأمريكيَّة في أفغانستان الشَّاسعة المتنوعة تنوعاً مغرياً إغراءً مذهلاً للتجارب العسكريَّة. من المتعذَّر معرفة كلِّ ما ترغب الولايات المتحدة في تجريبه، ولا كلَّ ما جرَّبته. التَّسريبات التي يمكن أن تصلنا هي التي سنعرفها فقط. من التجارب التي

نفَّذتها القوات الأمريكية في أفغانستان تطوير التراسل بَيْنَ الطائرات الحربية ومنصَّات إطلاق الصَّواريخ المعادية بحيث تتمكَّن الطَّائرات الأمريكيَّة من تدمير صواريخ سكود في اللحظة التي تظهر إذ تتمكَّن طائرات الـ ف ١٥ من استلام بياناتٍ دقيقةٍ توفِّر صورةً راداريَّة تمتدُّ لمئات الأميال وتتيح لها التَّعرف على عشرات الأهداف المتحركة فى الوقت نفسه من أجل دقَّة التَّصويب من النَّظام الراداري المشترك وبسرعةٍ فائقةٍ.

إذن لن نسترسل في ذَلكَ كثيراً فالأمر مفتوحٍ على احتمالات كبيرةٍ للتجريب. ولٰكنَّ السؤال الذي يفرض ذاته هنا هو لماذا؟ ولماذا أفغانستان تحديداً؟

منطقيًّا يمكن أن ندرك ذَلكَ وليس لدينا أدلَّةٌ ولا وثائق على ذَلكَ. الحقيقة أنَّ أفغانستان بلادٌ شاسعةٌ، غير مستقرَّةٍ، لا توجد فيها دولة، وضعيفة، عاجزة عن الرَّد والمواجهة. بما يعني أنَّ هٰذا الكيان الضَّعيف سيكون حقلَ تجارب من أجل أهدافٍ محتملةٍ أو قادمةٍ، وفي سياق ما سبق ما يشير إلى احتمال أن تكون العراق هي الهدف القادم، وهٰذا ليس باكتشاف فالولايات المتحدة أعلنت العراق هدفاً قائماً للاحتلال الأمريكي.

المكانة الجغرافية

أشرنا إلى أنَّ أفغانستان ستكون نقطة انطلاق وارتكاز لخطوات قادمة ليس على صعيد الاحتلال وحسب، بل على أصعدة أخرى.

الموقع الجغرافي لأفغانستان موقع استراتيجي إلى أبعد الحدود بالنسبة لمشروع التمدد والانتشار الأمريكي في العالم لملئ الفراغ الذي تركه الاتحاد السوفيتي وللسيطرة على التركة السوفيتية على نحو الخصوص. ولٰكنَّ الأمر يتجاوز ذَلكَ أيضاً إلى كون أفغانستان هي قلب القارة الآسيوية ونقطة ارتكاز تكاد تكون منقطعة

النظير للإحاطة بخصوم الولايات المتحدة فأفغانستان خاصرة روسيا والصين والباكستان وإيران والهند...

بانهيار الاتحاد السوفيتي صار الفضاء الفارغ واسعاً جدًّا وإذا لم تملؤه الولايات المتحدة فإنَّ ذَلكَ سيفسح في المجال أمام قوى أخرى في الظهور والانتشار إن لم يكن على حساب الحضور الأمريكي فإنه سيكون مهدداً للحضور الأمريكي بحكم عقليتها الإمبراطورية، وبحكم طبيعة الحال، فأيُّ قوَّةٍ جديدةٍ ستنشأ ستكون على حساب تآكل القوَّة الأمريكيَّة والحضور الأمريكي. ولذلك يجب على الولايات المتَّحدة أن تملأَ الفراغات التي خلَّفها الاتحاد السوفيتي بأسرع وقتٍ، ولا خيار غير ذَلكَ أمامها في حقيقة الأمر. ولعلَّ في هٰذا ما يعزِّز أدلَّة اتهام الولايات المتحدة ذاتها بالقيام بتفجيرات أيلول لتتخذ ذريعةً تسمح لها بالدخول إلى هٰذه المنطقة، قلب آسيا، من دون أي اعتراضات وخاصَّة من الصِّين وروسيا.

ولٰكنَّ هٰذا الخيار الوحيد المتاح أمام الولايات المتحدة سيحمِّلها أعباء إضافيَّةً غالباً ما ستكون أكبر من طاقتها وقدرتها على الانتشار، ناهيكم عن التَّكاليف. وهٰذا سيكون أحد عوامل انهيارها وتآكل قوتها. هي تسعى إلى تعزيز قوَّتِهَا وحضورها بما يؤدِّي إلى هلاكها على الرَّغْمِ من منها[٧٧].

على أيِّ حالٍ، للمكانة الجغرافية لأفغانسان أهميَّةٌ بالغةٌ في جعلها هدفاً أولاً للغزو الأمريكي ونشر قواتها في هٰذه المنطقة، ومن ثمَّ فإنَّ مثل هٰذا التَّصريح السَّابق **لخالد رحمان** بأنَّ «المطالب الَّتي قدَّمتها الولايات المتحدة للباكستان هي ذاتها

٧٧ ـ الحديث عن نهاية الإمبراطورية الأمريكية ظهر في أوائل التسعينيات من القرن الماضي، وقد ناقشنا مثل هٰذه الفكرة في كتابنا: **كيف ستواجه أمريكا العالم** ـ دار الفتح ـ دمشق ـ ١٩٩١م.

الَّتي تقدَّمت بها قبل التَّفجيرات بزمن غير بعيد»[٧٨]، يصحُّ هنا أيضاً، فجغرافيا الباكتسان وأفغانستان متقاربةٌ، وكلاهما يمكن أن يحلَّ محلَّ الآخر إذا اقتضى الأمر، وكون الباكستان هي الحليف الاستراتيجي لأمريكا فقد كانت لها مطالبها السَّابقة على الأحداث، ورُبَّما لم يصلوا إلى اتِّفاقٍ يرضي الحضور الأمريكي في المنطقة فكانت خطة غزو أفغانستان.

أسباب اقتصادية

يتحدَّث الكثيرون عن أسبابٍ اقتصاديَّةٍ ونفطيَّةٍ وغازيَّةٍ وراء اختيار أفغانستان هدفاً للحرب الأمريكيَّة. بعد استعراض العوامل والأسباب السَّابقة أرى أنَّ مثل هٰذا الهدف هامشيٌّ أكثر منه جوهريٌّ، ورُبَّما حَتَّى لذرِّ الرَّماد في العيون وتغييب الأهداف الحقيقية وراء استهداف أفغانستان. ومع ذٰلكَ لا يمكننا إنكار أنْ تكون هٰذه العوامل الاقتصاديَّة مهمَّةً وحاسمةً أيضاً.

لنقف عند أنموذجٍ أمريكيٍّ من الحديث عن الأسباب الاقتصادية لغزو أفغانستان، هو الذي كتبه الأمريكي **دونالد لامبرو** تحت عنوان الهدف الحقيقيِّ للحرب الأمريكيَّة على أفغانستان. يقول: «رُبَّما يرى العالم أفغانستان كتلةً من الجبال تعلوها الأتربة والدُّخان وتنمحي معالمها بَيْنَ الأطلال المنتشرة في كلِّ مكان، لكنَّ الجيولوجيين كان لهم رأيٌ آخر، فهم يرون في أفغانستان ثروةً طبيعيَّةً منحها الله تعالى إيَّاها ودفن في ترابها أغلى الثَّروات الطَّبيعيَّة التي لو توافرت في دولةٍ أخرى لم تشهد كلَّ هٰذه الحروب لكانت من أغنى الدُّول وأقواها على الإطلاق»[٧٩].

---

(٧٨) . جاء هذا الكلام في لقاء معه أجرته محطة الجزيرة في ١٧/ ٩/ ٢٠٠١م.

(٧٩) . دونالد لامبرو: **الهدف الحقيقي من الحرب** . صحيفة الواشنطن تايمز . عدد ٢١/ ٧/٢٠٠٢م.

الحقيقة التي قرَّرها **لامبرو** منطقيَّةٌ تماماً وهي أنَّ الحروب المتتالية التي خاضها الأفغان ضدَّ الغزاة وضدَّ أنفسهم كانت السَّبب الرَّئيس في عدم الاهتمام بهٰذه الكنوز النَّادرة وعدم اكتشافها بل ومحوها تحت غبار الحروب. يتابع **لامبرو** مستعيناً بالعالم الجيولوجي والجغرافي **جاك شرودر** أنَّ العلماء الأمريكيين من الجيولوجيين والجغرافيين وضعوا خريطةً تفصيليَّةً لأفغانستان عقب أحداث حرب الاتحاد السُّوفييتي مع أفغانستان عام ١٩٧٨م بقيادة العالم **جاك شرودر** وجدوا «أنَّ أفغانستان تملك أكبر مخزون في العالم من النُّحاس الأصفر، وتعد ثالث أكبر دولةٍ تملك مخزونًا من الحديد الخام الذي يدخل في أغلب الصِّناعات الحديثة المدنيَّة منها والعسكريَّة، وتعدُّ أيضًا ثالث أكبر الدُّول التي تملك احتياطاً من النِّفط والغاز الطَّبيعي في شمال البلاد وفي بعض أجزائها الجنوبيَّة»(٨٠). ويؤكِّد **شرودر** ذٰلكَ بقوله التَّصريحي: «أفغانستان بلد يعوم على بحر من الثَّروات الطَّبيعيَّة».

لننتبه إلى هٰذا الكلام جيِّداً، يؤكِّد المسئولون الأمريكيون، حسب **لامبرو**، أنَّ التَّكاليف المبدئيَّة لعمل تلك الخرائط بالإضافة إلى نفقات التَّدريب والبحث تقدر بـ ٦٥ مليون دولار. ويتابع بأنَّهم أكَّدوا أنَّ الهدف من وراء تلك الخرائط هو الوقوف على حجم الثَّروات الحقيقيَّة الموجودة في أفغانستان بحيث يمكن استخدامها والاستفادة منها. «وأكَّدوا أيضاً أنَّهُ بمحض الانتهاء من تصميم تلك الخريطة يجب أن يبادر المستثمرون لاستغلال وتصنيع تلك الموارد العظيمة»(٨١).

هنا أعود إلى التَّذكير بضرورة الانتباه، لماذا وجب أن ننتبه جيِّداً هناً؟ لأنَّ هٰذه الخرائط يتمُّ العمل عليها منذ بدء الحرب الأفغانيَّة مع الغزو السُّوفيتي في عام

(٨٠) ـ دونالد لامبرو: **الهدف الحقيقي من الحرب** ـ صحيفة الواشنطن تايمز ـ عدد ٢١/ ٢٠٠٢/٧م.

(٨١) ـ دونالد لامبرو: **الهدف الحقيقي من الحرب** ـ صحيفة الواشنطن تايمز ـ عدد ٢١/ ٢٠٠٢/٧م.

١٩٧٨م. أي إنَّ اختيار أفغانستان ليس مصادفةً، وليس وليد السَّاعة، ولا وليد أحداث الحادي عشر من أيلول.

خاتمة

نحن أمام خمسة عوامل على الأقل هي فوبيا الخلافة الإسلاميَّة، وخوض تجربة احتلال، وتجريب أسلحة في أرض قل نظيرها جغرافيا وسياسيا وعسكريا لتكون حقل تجارب لمثل ما أرادت الولايات المتحدة أن تجربه من أسلحة، والموقع الاستراتيجي جغرافيًّا للولايات المتحدة من ناحية الانتشار والقواعد العسكريَّة، وأخيراً الجانب الاقتصادي... كل ذَلكَ بما أوضحناه من أدلة وأسباب. كل عامل من هٰذه العوامل يكفي وحده أو بعضها على الأقل يكفي ليكون سببين معاً:

الأول: سببٌ لقيام الولايات المتحدة الأمريكية بتفجيرات أيلول من أجل إيجاد مسوغات القيام به.

الثاني: وسببٌ من أجل احتلال أفغانستان، وتقديمها على أيِّ أولويَّةٍ أخرى من أولويات الولايات المتحدة الأخرى التي يمكن تأجيلها إذا ما قورنت بأهمية احتلال أفغانستان.

والسُّؤال الذي يفرض ذاته بعد اجتماع هٰذه الأسباب معاً: أليس فيها فيها مجتمعة ما يكفي من الإغراء لتكون سبباً في احداث أيلول؟ رُبَّما نعم ورُبَّما لا، ولٰكنَّ بالتأكيد فيها من المغريات ما يكفي لجعل أفغانستان أولاً في الأهداف الانتقاميَّة الأمريكيَّة سواء أكانت أفغانستان هي التي قامت بالحدث أم لا، سواء أكانت القاعدة هي التي قامت بالحدث أم لا. ولنا في العقلية السياسية الأمريكية ما يكفي من الشواهد والأدلة على أنَّ الولايات المتحدة في مثل هٰذه الأحداث كبرت أو صغرت توجه التهمة إلى جهةٍ أو عدة جهات ثمَّ تركز هلى الجهة التي لها

في استهدافها مصلحة ما حَتَّى ولو كانت بريئة من الحدث، ثمَّ تتابع تحقيقها في الحدث بالطَّريقة السَّليمة لتصل إلى الفاعل وتترك للظروف طريقة التعامل معه بما يتناسب مع المعطيات الجديدة.

والسُّؤال الذي سيظهر الآن:

ماذا بعد أفغانستان؟

من غير المعقول أن يكون حدثٌ بهٰذا الحجم ولا يستثمر أكبر استثمار. والحقيقة أنَّ أمام الولايات المتحدة سلَّة أهداف لا هدفٌ واحد. وهٰذا ما سنقف عند في الفصل التالي.

الفصل الخامس

ماذا بعد أفغانستان؟

فور وقوع التَّفجيرات تداعى المسؤولون الأمريكيون والإعلام الأمريكي إلى نفي أيِّ صلة **لصدام حسين** بالأحداث. لم يكن لدى مركز صناعة القرار الأمريكي أيُّ نيَّةٍ لفتح أيِّ جبهةٍ مع العراق، ولا أيِّ لتشتيت جهات أصابع الاتهام؛ يجب أن يكون الاتهام محدَّداً موجَّهاً إلى بؤرةٍ واحدةٍ حَتَّى تحترق احتراقاً تامًّا. ولذلك كانت البؤرة الوحيدة هي القاعدة وأفغانستان حاضنة القاعدة.

معالم المخطط الأمريكي

بعد الفراغ من تحقيق المطلوب من هٰذا الهدف سيكون من غير الصَّعب التوجه إلى الأهداف الأخرى. ولو كان الهدف غير ذٰلكَ لوجدت أمريكا صعوبةً بالغةً في الوصول إلى قلب آسيا الذي ظلَّ عصيًّا عليها منذ دخولها معترك السِّياسة العالميَّة. وهٰذه الفرصة لن تتكرر.

ماذا بعد أفغانستان؟

أمام الولايات المتحدة مجموعةٌ من الأهداف والوثبات التي تحقِّق لها الانتشار العالمي من خلال بؤر سهلة التَّواصل التي تحقِّق لها ضبط إيقاع العالم وخاصَّةً أفريقيا وآسيا، فيما أمريكا بشقيها تحت السَّيطرة وأوروبا معظمها تحت السَّيطرة سابقاً وبحكم السيطرة على الأمريكية على آسيا وأفريقيا.

كـون العـراق تحـت اليـد الأمريكيـة بحكـم قـوانين (الشَّـرعية الدوليـة) فـإنَّ العـراق سـتكون لقمـة سـائغةً في أيِّ وقـتٍ ولا داعـي لتضـييع الجهـد والجـيش والوقـت في بلـدٍ هـو بحكـم اللقمـة الجـاهزة مـتي أرادت الولايـات المتحـدة[٨٢]. ولٰكـن مـن خـلال مخطَّـط العمـل الأمريكـي وسـوابقها يمكـن القـول إنَّ مـا يلـي أفغانسـتان هـو السُّـودان والصُّـومال أحـدهما أو كلاهمـا، علـى اعتبـار كونهمـا قاعـدتي انطـلاق لإفريقيـا مـن الجبهـة الشـرقيَّة، وإلى آسـيا أو الخلـيج العـربي تحديـداً مـن الجهـة الغربيَّـة... وبـذٰلكَ يكـون مـا يسـمى الشـرق الأوسـط بَـيْنَ فكي الكماشة الأمريكية.

قد يتساءل متسائل: أليس الخليج العربي تحت السيطرة الأمريكية؟

هٰذا صحيح، بل إن بعض دول الخليج العربي أكثر إخلاصاً لأمريكا من أمريكا ذاتها. ومع ذٰلكَ فإن عقلية اليمين الأمريكي المتطرف التي تحكم أمريكا اليوم، وهي جزء من مركز صناعة القرار الأمريكي الثابتى نسبيًّا، لها تصورات مختلفةٌ، إنها حسب تصوري تريد أن تعيد إنتاج منطقة الخليج العربي سياسيًّا وعسكريًّا وثقافيًّا واجتماعيًّا...

أعـني بـذٰلكَ أن بنيـة التَّفكـير المسـيطرة علـى الولايـات المتحـدة اليـوم أمامهـا فرصـة تاريخيـة لإعـادة بنـاء العـالم الإسـلامي بمـا يضـمن المصـالح

(٨٢) ــ هٰـذا الكتـاب كمـا ابنـا في المقدمـة مكتـوب كلـه في الأسـابيع الأولى مـن الحـدث، وللضـرورة تأجـل النشـر، وتمـت بعـض الإضـافات مـن الشـواهد، وقـد وقـع العـدوان الأمريكـي قبـل نشـر الكتـاب. وإلى عنـد هٰـذه الحاشـية كلـه مـن النسـخة الأولى مـن الكتـاب وكانـت هٰـذه الفقـرات السـابقة مـن هٰـذا الفصـل ختـام الفصـل السـابق، ولٰكـنَّ بعـد كتابـة الفصـل هٰـذا المتعلـق بـاحتلال العـراق أضـيفت إليـه لـدى إخـراج الكتـاب للطباعة.

الأمريكيَّة عشرات بل مئات السِّنين القادمة طالما هي قادرة على ذَلكَ، والفرصة المتاحة أمامها الآن فرصة تاريخية غير قابلة للتعويض، ناهيكم عن أنَّ أحداثاً كبرى اصطنعت من أجل هٰذا الغرض ألا وهي أحداث الحادي عشر من أيلول.

ما تفوح رائحته من مراكز صنع القرار الأمريكية، ومما وراء سطور صناع السِّياسة الأمريكيَّة من المفكرين البارزين أمثال **هنتنچتون وفوكوياما** خاصَّةً، وكذَلكَ إلى حدٍّ كبير **إلفان توفلر وتوماس فريدمان** كذَلكَ أيضاً... يشير إلى أنَّ الولايات المتحدة الأمريكية عازمة على إعادة بناء علاقتها مع دول الخليج العربي التي هي في حقيقة الأمر أهم الركائز الأمريكية في العالم، وأهم الحلفاء لها، رُبَّما أكبر من معظم دول أوروبا الغربيَّة.

كيف ستعيد بناء علاقتها مع دول الخليج العربي؟

لا يمكن التنبؤ بذلك تماماً، ولٰكنَّ المؤَكَّد في استقرائي أنَّ الولايات المتحدة عازمةٌ بجدِّيَّةٍ على إعادة بناء هٰذه العلاقة:

قد يكون ذَلكَ بالاحتلال المباشر وهو أمرٌ غير مستبعدٍ وقد تناهي إلينا أن رسائل التهديد والمطالب الأمريكية قد وصلت إلى معظم دول الخليج العربي وسوريا إثر احتلال العراق.

وقد يكون ذَلكَ بالاستفزاز للحصول على هيمنةٍ أكبر وأكثر استراتيجيَّة في هٰذه المنطقة، وفور احتلال العراق أبرقت الخارجية الأمريكية رسائلها إلى دول الخليج العربي بقائمة مطالب تحت عنوان الدَّمقرطة، ورُبَّما أخطر ما فيها تحديد دروس التربية الإسلامية في المدارس وتوجيهها.

لا ندري تحديداً كيف ستكون إعادة بناء العلاقة الأمريكية الخليجية ولكنَّها غالباً ما تدور في أحد الإطارين السَّابقين، ورُبَّما يكون احتمال آخر موجوداً. فالحقيقة أنَّ الإدارات الأمريكيَّة المتعاقبة تعاني حرجاً دائماً أمام شعوبها من وقفوها مع الأنظمة الخليجية وخاصَّة السعودية في حين أنَّها في عرفهم على الأقل دولة دينية استبدادية تفرِّخ الإرهابيين، وقد وجدنا كيف أن معظم المتهمين بتفجيرات أيلول من السُّعودية، وفي هٰذا دلالة على الرَّغبة الأمريكية المسبقة في حشر السعودية في زاوية ما من المطالب الأمريكيَّة.

رُبَّما كانت سوريا في المخطط الأمريكي ثانياً بعد أفغانستان، ورُبَّما بعد العراق. ولٰكنَّ سوريا جزء من المخطط الأمريكي في هٰذه الحملة بكل تأكيدٍ. ولٰكنَّهَا تريدها لقمة سهلةً بعد التهام المحيط. إنَّ الدخول في سوريا أمر يكوِّن خطورةً على إسرائيل وغالباً ما ستكون خطورةً بالغةً قد يصعب ضبطها؛ أقلُّها الفوضى التي ستتولد في هٰذه المنطقة المحيطة بإسرائيل. ولذٰلك تريد أمريكا أن تكون سوريا في خاتمة المطاف بعد قصقصة كل الأجنحة المحيطة بها حَتَّى لا تثير أي دربكةٍ أو فوضى على حدود إسرائيل.

فماذا حدث[٨٣]؟

الحقيقة أنَّ كلَّ ما سبق الكلام فيه في هٰذا الفصل محض تصوُّراتٍ مبنيةٌ على تحليل آفاق التفكير الأمريكي مع بعض المعطيات أو ملامح التصريحات الأمريكية. ويبدو أنَّها كانت كلُّها صحيحةً، وفيما سيأتي ما سيؤكِّد هٰذه الحقائق، ورُبَّما ينفيها، لا ندري.

(٨٣) ـ هٰذه الفقرة وما بعدها تحديداً كتبت وأضيف إلى هٰذا الفصل بعد احتلال العراق .

هٰذا التحليل لا يتضمن المستجدات الطارئة التي لم تكن في الحسبان. أعني بذٰلكَ أنَّ هٰذه المخطط المتصور لاستثمار الولايات المتحدة التفجيرات فيما لو سارت الأمور على نحو ما هو مرسوم من دون مفاجئات. والمفاجأة غير المتوقعة حدثت بالفعل، وهٰذه المفاجأة غيرت كثيراً في المخطط. وهٰذا ما سنعود إليه بعد قليل. بعد الوقوف عند احتلال العراق.

الحرب على العراق

إذا كانت الحرب العدوانية على العراق فعلاً فلا فعل من دون سبب، وإذا كانت نتيجةً فلا نتيجة من دون مقدِّمات. ولكن إذا لم يكن هناك اختلافٌ على صورة هٰذه الحقيقة المنطقيَّة فإنَّ الاختلاف هو على مادَّة هٰذه الحقيقة، أي تحديد السَّبب والمقدمات؛ فهناك من قال إن النِّفط هو الذي دفع الولايات المتحدة إِلَى العدوان على العراق، وهناك من قال إنَّ أصل هٰذه الحرب العدوانيَّة ديني وحسب **فجورج بوش الابن** أعلنها حرباً صليبيَّة صراحة، ثُمَّ تراجع نزولاً عند نصائح مستشاريه، وهناك من قال إنَّ الحرب هي حرب على الإسلام، وذهب آخرون إِلَى أنَّها حربٌ على العرب...

ولٰكن هل هٰذه هي الحقيقة؟

وأين هي الحقيقة من كلِّ هذه الاحتمالات؟

إذا كانت الأسباب هي أسلحة الدَّمار الشَّامل كما زعمت الولايات المتحدة فقد ثبت قبل هٰذه الحرب من قبل فرق التَّفتيش أَنَّهُ لا توجد أسلحة دمار شامل في العراق، بل ولا توجد إمكانيَّة لإنتاج هٰذه الأسلحة، ولم تستطع الولايات المتحدة أن تجد هٰذه الأسلحة بعد الحرب، ولم تسمح لفريق التفتيش بالعودة إِلَى العراق، والسبب كما يرى المحللون في

العالم الغربي قبل العالم العربي هو محاولة تلفيق أدلَّة لإدانة العراق بامتلاك أسلحة الدَّمار الشَّامل.

وإذا كانت الأسباب هي النفط فقد أعلنت العراق قبل الحرب أنَّ الولايات المتحدة هي أكبر من المستفيدين من النفط العراقي من دون حرب!!

وإذا كانت الحرب صليبيَّةً كما أعلن **جورج بوش الثاني** فلماذا قامت المظاهرات الكبرى من المسيحيين في العالم، وتوجها الرَّفض القاطع من البابا **يوحنا بولس الثاني** بابا الفاتيكان برفض هذه الحرب وإدانتها؟

رُبَّما يكون لكلٍّ من هٰذه الأسباب أو المقدمات يدٌ في هٰذه الحرب، ولٰكن من المؤكَّد أنَّ أمرين يجب أن يؤخذا بعين النظر هنا:

أولهما أنَّ هٰذه الأسباب إن كانت هي فعلاً دوافع الحرب فإنَّها تعبِّر عن خصوصيَّة ارتباطها بالرَّغبة الأمريكيَّة، بل برغبة الإدارة الأمريكيَّة وحدها دون الشَّعب الأمريكي، ودون الشَّعب الأوربي المشترك مع الشعب الأمريكي بجزءٍ من عناصر الهويَّة ومحدداتها.

ثانيهما أنَّ هٰذه الأسباب كما تبيَّن لنا غير كافية لتفسير شنِّ الحرب العدوانيَّة على العراق، ولا بدَّ أنَّ هناك أسباباً أُخْرَى. فما عساها تكون هٰذه الأسباب؟

راج في الصِّحافة الأمريكيَّة قبل غيرها، وفي الصحافة العربيَّة أيضاً، أنَّ **جورج بوش الثاني** يحمل التوراة تحت إبطه ويندفع في هٰذه الحرب وفق مخطَّطٍ توراتيٍّ لتحقيق الحلم الصهيوني بإقامة دولةٍ من الفرات إلَى النيل، تمهيداً لعودة المسيح الذي سيحقِّق السلام ويحكم إلَى الأبد. والطريف في الأمر أنَّ **جورج بوش الثاني** ذاته لا ينكر ذٰلكَ فقد أعلن اكثر من مرَّةٍ أن

عودة **المسيح** قَدْ اقتربت، وأَنَّهُ هو المبشر بالمسيح... الرجل الصالح الذي يسبق ظهور المسيح.

رُبَّما يكون في هٰذا الكلام جانب من الحقيقة، ولكِنَّها ليست كلَّ الحقيقة.

كل هٰذه الجوانب أوجهٌ من الحقيقة، ولكنَّ أيًّا منها منفرداً لن يكون كافياً لتفسير ما حدث وسيحدث. ورُبَّما فيما حدث ويحدث بعد انتهاء الحرب ما يؤكِّد هٰذا الفهم، فالولايات المتحدة، فيما يبدو صريحاً، ولم يكن قبل الحرب سرًّا ولا خافياً، لا تريد الخروج من العراق في الزَّمن القريب، ولا تريد أن تسمح لأحدٍ باستثمار نتائج هٰذه الحرب غيرها... وفي هٰذا في حقيقة الأمر ما يفسِّر لنا مقدِّمات الحرب، ويكشف لنا في الوقت ذاته عقابيل هٰذه الحرب، أي ما سيأتي بعدها من مخططات للعراق وللمنطقة العربية ومحيطها.

المفتاح يوجد عند **ابن خلدون** ونظريته في عمر الدولة عبر أجيالها الثلاثة، وفي نظرية المفكر الأمريكي **بول كينيدي** في صعود الإمبراطوريات وسقوطها، فعلى ضوء هاتين النظريتين تبدو الإمبراطورية الأمريكيَّة اليوم وقد شارفت على السقوط، على الانهيار. أي إنَّ الولايات المتحدة اليوم تلفظ أنفاسها الأخيرة.

كم سيستغرق لفظ الأنفاس الأخيرة هٰذا؟

لم تختلف النَّظريات والرؤى الَّتي حاولت وتحاول تقدير كم سيستغرق لفظ الأنفاس الأخيرة للإمبراطوريَّة. وباستنهاض وقائع صعود الإمبراطوريات وسقوطها عبر التَّاريخ، وقياس الإمبراطورية الأمريكية إِلَى تلك الإمبراطوريات يبدو أنَّنا أمام فترةٍ غير قصيرة من سيادة الإمبراطورية

الأمريكيَّة، قَدْ تمتدُّ خمسين عاماً وقد لا تتجاوز العشرين، ولكِنَّها على أيٍّ حال تتراوح ما بَيْنَ هاتين المدَّتين.

هنا نهض فريق المختصين لتدارك السُّقوط فخرج علينا **صاموئيل هانتنغتون** بنظريته في صراع الحضارات، متزامناً مع **فرانسيس فوكوياما** في نظريته في نهاية التاريخ، كلتا النظرية تقتضي أن التاريخ قَدْ توقف وانتهى على أعتاب قداسة صاحبة الجلالة الإمبراطورية الأمريكيَّة.

هنا في حقيقة الأمر يكمن الدافع المحور للحرب على العراق، بل على أفغانستان قبلها، وعلى المنطقة العربي عامَّةً بعد العراق، فلا أحد بات يجهل المخططات الأمريكية لدمقرطة المنطقة العربيَّة وتغيير الأنظمة وإعادة ترتيب خريطة المنطقة؛ جغرافيًّا وسياسيًّا وحَتَّى أخلاقيًّا واجتماعيًّا ونفسيًّا.

ما الذي تريده الولايات المتحدة من ذَلكَ؟

إنَّها تحاول، وربَّما لم تستطع أن تخفي ذَلكَ، أن ترسم معالم العالم الجديد على نحوٍ يحقِّق للولايات المتحد الأمريكيَّة القدرة على التَّحكم بالعالم كلِّه أطول مدَّة ممكنة، **وجورج بوش الابن** ذاته لم ينف، بل أكَّد أَنَّهُ لن يسمح بقيام أي قوة منافسة للولايات المتحدة.

هي تدرك أنَّها في طريقها إِلَى السُّقوط، ولذَلك تحاول أن تؤجل أمد هٰذا السقوط قَدْ الإمكان؟

كيف يمكن ذلك؟

ماذا بعد العراق؟

كانت النَّشوة الأمريكيَّة باحتلال العراق عارمةً غامرةً، ورُبَّما غيرَ مسبوقةٍ؛ تسعة عشر يوماً فقط هي التي استغرقتها أمريكا وحلفاؤها لاحتلال العراق وإسقاط نظام **صدام حسين** والحلول على حافة الخليج العربي احتلالاً مباشراً وليس من خلال قواعد عسكريَّة أو اتفاقيَّات... إلى جانب كون ذَلكَ الخطوة التالية بعد احتلال أفغانستان... بما عنى ذَلكَ للولايات المتحدة تسير في تحقيق مشروعها بسهولة ويسر وسرعة.

هٰذه النَّشوة أفقدت الولايات المتحدة صوابها، جعلتها تظنُّ أنَّها قد انفردت في قيادة العالم وبسط نفوذها في المكان الذي تشاء متى تشاء كيفما تشاء، وبدأت على الفور، ومن دون أيِّ انتظارٍ بإرسال التهديدات وقوائم الطلبات إلى دول الخليج العربي وسوريا ولبنان بشكل خاص...

فقدان الصَّواب هٰذا والتَّصرفات التي تلته ليست عجيبةً ولا غريبةً على أيِّ حالٍ، إنَّهَا نشوة النَّصر واندفاعة المنتصر التي يحتوي التاريخ والحاضر على كثيرٍ من أمثالها على صعيد الدول والجيوش والأفراد.

النشوة عادية إذن، ولٰكنَّ المشكلة تكمن في عنصر المفاجأة في المخطط الأمريكي.نحن لم نعلم المخطط، نحن توقعناه، وليست المفاجأة في مخالفة أمريكا لتوقعاتنا، ولٰكن أن تتوجه الولايات المتحدة إلى العراق والعراق في الأصل تحت اليد أي لحظة هو المفاجئ. المفاجأة أنَّ الولايات المتحدة وثبت إلى احتلال العراق متجاوزة الأهداف التي كانت متوقعة في إفريقيا والخليج العربي. رُبَّما يكون هٰذا هو المخطط فعلاً وليس فيه من

مفاجأة كما أشرنا. ونكون نحن أخطأنا تقدير أنَّ العراق تحت الطَّلب في أيِّ لحظةٍ ولذلكَ، في افتراضنا، لن يكون الخطوة التالية لأفغانستان. رُبَّما كان العراق هو الخطوة التالية في المخطَّط الأمريكي ليكون على حافة دول الخليج مباشرة من الجبهة الشَّرقيَّة، ورُبَّما تكون الولايات المتحدة متخوِّفة من وثبةٍ تسليحيَّةٍ غير متوقَّعةٍ في العراق تجعله هدفاً صعباً ولذلك أرادت أن تستبق الفعل.

وعلى افتراض أن هٰذا الانقلاب ليس مفاجئاً فإنَّ المفاجئ والذي قلب الموازيين هو التَّوجه مباشرة إلى دمشق برسائل تهديدية صريحة بعد سقوط بغداد. ففي اليوم التالي لإعلان الرئيس الأمريكي **جورج بوش الابن** من فوق البارجة الحربيَّة الأميركية أنَّ المهمَّة قد أُنجزت في العراق، وصل **كولن باول** وزير الخارجيَّة الأمريكيَّة إلى دمشق حاملاً سلَّة مطالبه، وقد أعلن في المطار عند وصوله قائلاً: «سأوضح للرئيس **بشار الأسد** جليًّا كيف تنظر الولايات المتحدة إلى تبدل الوضع في المنطقة مع رحيل نظام **صدام حسين**»(٨٤). وعند سؤاله عن العواقب التي ستواجهها سوريا في حال عدم تجاوبها مع واشنطن، قال: «هٰذه قرارات سنتخذها بعد أن نرى الأداء وهل سيتغيرون أو لا».

لعَلَّ ثَمَّة من همس أذن الولايات المتحدة بعدم التَّورط في سوريا، ليس لشيءٍ إلا للحيلولة دون جعل الشَّام والعراق جبهةً واحدةً مفتوحةً في مواجهة الاحتلال الأمريكي من جهةٍ أولى، وتهديد إسرائيل من جهة ثانيةٍ.

(٨٤) . كان ذٰلكَ في يوم الجمعة ٢ أيار ٢٠٠٣م.

رُبَّما وجد من همس هٰذه الهمسة في الأذن الأمريكية ورُبَّما أدركتها الولايات المتحدة من دون همس.

هٰذا لا يعني أنَّ الولايات المتحدة غضَّت النَّظر عن سوريا، فالأمور ما زالت في بداية الطَّريق ولا ندري ماذا قد يكون في الأيام القادمة. رُبَّما تتوجه الأنظار الأمريكية السُّودان والفضاء الأفريقي ريثما تعرف ماذا سيكون جرَّاء وجودها في العراق، ورُبَّما تصب ضغطها على دول الخليج العربي... ورُبَّما تركِّز على سوريا تركيزاً مباشراً من أجل تحقيق مطالبها منها... لا أظن إلا أنَّ الأيام القريبة ستكشف الكثير مما نحاول التَّكهن به الآن من مشاريع ومخططات.

إلا أنَّ ما لا يمكن أن نتجاهل أن نختم به هو أنَّ الولايات المتحدة الأمريكية لو توقف مشروعها عند هٰذه النقطة التي نحن فيها الآن وحسب، وليس السَّير في بقيَّة الخطوات الأخرى المتوقَّعة، تكون قد أسهمت في حفر قبرها في يدها وتسريع انهيارها بدل تأجيله كما تخطط وترجو. ذٰلكَ أنَّها عما قريب بالكاد تستطيع الدفاع عن وجودها في العراق وأفغانستان.

صحيحٌ أنَّ الحسم قد تم، وبدا أنَّ الأمور مستقرةٌ ومستتبَّةٌ في أفغانستان والعراق، إلا أنَّ ذٰلكَ ليس إلا فتور امتصاص الصَّدمة في ظنِّي. ولا أظنُّ إلا أنَّ الولايات المتحدة ستبحث عن النَّجاة من جحيم العراق وأفغانستان كما بحثت عنه في الصومال ورُبَّما أكثر. ومحض خروجها مهزومة من هاتين الدولتين سيكسر شوكتها ويضعها في مأزق حرج على الصَّعيدين الدَّاخلي والخارجي. الأمر الذي سيقصِّر يدها ويجعل بل يفرض

علـى دورهـا الـدولي أن يبـدأ في الانحسـار والتراجـع، وفي هٰـذا وحـده مـا سيسرع تقهقرها وانهيارها.

أي إنَّ الولايـات المتحـدة الأمريكيـة قامـت بضـربتها الكـبرى المسـمَّاة أحـداث الحـادي عشـر مـن أيلـول، مـن أجـل تنفيـذ خطتهـا الكـبرى في إعـادة هيكلـة العـالم وفـق منظومـة جيواسـتراتيجيَّة عسـكريَّة جديـدة تمـلأ فيـه الفراغـات الـتي خلفهـا الاتحـاد السـوفيتي، لتفـرض نفسـهاً وصـيًّا علـى العـالم، الإمبراطـورة الوحيـدة الـتي تحكـم العـالم.... وإذا بهـا تجـرُّ الويـل والثبـور علـى نفسـها. حَـتَّى الآن الأمـور تحـت السـيطرة فيمـا يبـدو، والخطـة تسـير بنجـاح فيمـا يظهـر، ولٰكـنَّ الأيـام القادمـة ستكشـف عـن مـدى الجنايـة الـتي جنتهـا على نفسها الولايات المتحدة الأمريكية.

الفصل السادس

الجاحظ

يدحض مزاعم القضاء على الإرهاب

لعَلَّنَا لا نعدو الحقيقة إذا قلنا إنَّهُ لا تمرُّ حقبةٌ من الدَّهر إلا ويمرُّ شتم الشرِّ ولعنه وتمنِّي زواله على ألسنة كلِّ أهل الحقبة حَتَّى الشريرين منهم، ولٰكن لم نسمع قطُّ أنَّه تنطَّع أحدٌ أو أمَّة تنطعت للقضاء على الشَّر قضاءً مبرماً، أو سعت أو حَتَّى فكَّرت في استئصال الشَّر من جذوره...

لم نجد ذَلكَ عَبْرَ ما مضى من التاريخ لأنَّهُ رُبَّما لم يأت أبداً من أوصلته مخيِّلته إلى أنَّهُ مطلقُ القدرة والفعل، حَتَّى أدعياء الألوهة، مثل **فروعون**، لم يصل بهم الخيال إلى حدِّ زعم تحقيق العدالة المطلقة أو اجتثاث الشَّر والإرهاب من جذورهما. ولٰكن، ولٰهذا من باب السَّعادة المطلقة قياساً على العدالة المطلقة، أنَّ أناس لٰهذا الزَّمان يعيشون في ظلِّ دولةٍ اسمها الولايات المتحدة الأمريكيَّة الَّتي تستطيع أن تفعل ما لا تستطيع أن تفعله أمَّةٌ أو دولةٌ على الإطلاق، وقد أكَّدت ذَلكَ غير مرَّةٍ بأفعالٍ لا يجرؤ من كان إنساناً على فعلها ولا يستطيع إنسانٌ تخيُّل إمكانية فعلها حَتَّى بعد فعلها. ولذَلك لا عجب أن يطلع علينا **جورج بوش الابن** في آخر لٰهذا الزَّمان ليعلن أنَّه أو أنَّ الولايات المتحدة ستحلُّ محلَّ الله في تحقيق العدالة المطلقة، ورُبَّما في أشياء أُخْرَى. ويعلن مراتٍ ومراتٍ أَنَّهُ سيقتلع الشرَّ (العنف والإرهاب...) من جذوره وأساساته جذوره[٨٥]، وأنَّهُ لن يبقي على إرهابيٍّ، ولا على إرهابٍ، ولتنعم البشريَّة بالعدالة المطلقة، أي ليلتف بذَلكَ على مشاعر

(٨٥) .كان ذلك في خطابه في الخامس والعشرين من أيلول عام ٢٠٠١م. وتكرر المضمون في خطابات كثيرة لاحقة.

من خدعهم بالتراجع عن تسمية العدالة المطلقة، لأنَّهُ باقتلاع الشَّرِّ من جذوره سيحقِّق العدالة المطلقة سيَّان بقيت التَّسمية أم ألغيت.

ومن غرائب الأقدار وطرائفها أنَّ العالم كلَّهُ يقرُّ **جورج بوش الابن** في كلِّ قراراته، وكلَّما أصدر فرماناً رفعت قادة الشُّعوب أيديها وقالت آمين اللهم آمين... والأكثر غرابة من كلِّ ما يمكن أن يستغرب هو العالم العربي ومن ورائه العالم الإسلامي الذي يقرُّ بكلِّ ما تقرره الولايات المتحدة حَتَّى عندما تقرر الولايات المتحدة سحق العالم العربي والإسلامي. وعلى الرَّغم من أننا نحسب أنَّ هٰذا الأمر هو أكثر ما يستغربه فإننا نظلُّ نصدم بأشياء لم تكن لتخطر في البال أو الحسبان أبداً، ومن ذٰلكَ إجماع قادة الشُّعوب على إقرار **جورج بوش الابن** على أَنَّهُ سيحقِّق العدالة المطلقة ويجتث الإرهاب من جذوره على الرُّغم من بداهة امتناع ذٰلكَ منطقيًّا وواقعيًّا.

قَدْ يحسب بعضهم أنَّنا نناصر الإرهاب، أو نؤيده، وهٰذا محض وهمٍ في حقيقة الأمر، لأنَّ تناول الشَّيء في حقيقته لا يعني أبداً تسويغه أو الدفاع عنه، وإذا نظرنا إلى الإرهاب نظرةً تحليليَّةً تأخذ الأبعاد العقليَّة والنظريَّة والواقعيَّة بعين الحسبان وجدنا أنَّ القضاء على الإرهاب أمرٌ غير ممكن، ومن ثمَّ فإنَّ اجتثاثه من جذوره ضربٌ من التَّخريف الذي لا يأخذ في حسبانه أيُّ اعتبارٍ لأدنى أوليات العقل وأبسطها. ويزداد الأمر إيغالاً في التَّخريف إذا كان المقصود هو القضاء على الإرهاب في كلِّ العالم لا في بقعةٍ واحدةٍ منه أو أكثر دون الكل.

بغضِّ النظر عن ضرورة التَّمييز بَيْنَ ما هو إرهاب وما هو حقُّ الشعوب وواجبها في الدفاع عن حقوقها وقيمها وسيادتها أو ما يسمى النِّضال الوطني أو القومي، فإنَّ الإرهاب بحدِّ ذاته بما هو عنف أو شرٌّ منبوذٌ سيظلُّ موجوداً ولن يمكن

القضاء عليه على الإطلاق، ذَلكَ أن الإرهاب، من الناحية الأولى، انطلاقاً من معناه اللغوي الذي يعني الإخافة أو بثَّ الرَّعب والرَّهبة في نفوس الآخرين يأتي من طرفين متناقضين طرف ضعيف وطرف قويٌّ:

الطَّرف الضَّعيف يحاول الدفاع عن ذاته، أو تأكيد ذاته، أو الثأر من القويَّ أو غير ذَلكَ مما يندرج في إطار معناه، وغالباً ما يأتي هٰذا النوع من الإرهاب على نحوٍ خفيٍّ أو سريٍّ لأنَّهُ عاجزٌ في الأصل عن المواجهة المباشرة... قَدْ يوصف بإرهاب الجبان، أو بالممارسة الجبانة أو غير ذَلكَ، ولا يوجد ما يمنع أن نحمله هٰذا الاسم حَتَّى وإن عدَّه صاحبه منتهى الشجاعة، بل إن صاحب هٰذا الفعل ذاته يدرك تماماً أَنَّهُ إنَّما قام بهٰذا الفعل على هٰذا النحو لأنَّهُ لا يجرؤ على القيام به علناً، ولذَلك رُبَّما لا يمانع أو لا يحتج على وصف فعله بأنَّهُ جباناً. والذي تجدر الإشارة إليه هنا هو أنَّ هٰذه الممارسة الإرهابيَّة من الضَّعيف أمرٌ ضروريٌّ لا يمكن الاستغناء عنه، وهو مسوَّغ له من الناحية النظرية والعمليَّة، ورُبَّما يكون واجباً عليه. ولٰكنَّ هٰذا التسويغ والوجوب خاص بالضعيف وحسب، لأنَّ القوي لا يعترف بذَلكَ ولا يقبله ولا يسمح به، ولا يلام القوي في ذَلكَ أيضاً ولذَلك من حقِّه أن يجد له من الأسماء ما شاء.

أمَّا الطرف القويُّ فإنَّه مضطر أيضاً لممارسة الإرهاب حَتَّى ولو لم يكن محتاجاً إليه، وهو يمارس الإرهاب ضدَّ من يشاء وفي الوقت الذي يشاء وللسَّبب الذي يشاء، وهو قادرٌ على ممارسة هٰذا الإرهاب جهاراً نهاراً، بل إنَّهُ مضطر لممارسة هٰذا الإرهاب جهاراً نهاراً، وقد يكون مضطراً لممارسة هٰذا الإرهاب ضدَّ الضُّعفاء المظلومين مع وضوح أنَّهم مظلومين ليؤكِّد للجميع أنَّهُ هو الذي ينصف وهو الذي يظلم وهو الذي يعطي العدل والظلم ما يستحقانه من المعاني وعلى

الجميع موافقته على ما يفعل حَتَّى ولو خالف كلَّ منطقٍ وعقلٍ وعُرْفٍ وخلق... والحقُّ أَنَّ هٰذه الممارسة الإرهابيَّة من القويِّ مسوَّغةٌ أيضاً ولا يوجد ما يمنعها أو يحول دونها طالما أنَّ القوي قويٌّ، وكما أنَّ من حقِّ الضَّعيف وواجبه أن ينتصف بطريقته من ظالمه فإنَّ من حقِّ القويِّ وواجبه أيضاً أن يحافظ على مصالحه ومكانته وهيبته أمام الجميع لأنَّهُ لو ترك الحبل على الغارب لتناهشته الضُّعفاء من كلِّ حدبٍ وصوبٍ.

إنَّ هٰذين الضَّربين من الممارسة الإرهابية متكافآن في ميزان الحقِّ والعدالة ومن الصُّعوبة بمكانٍ إنكار ذٰلكَ من النَّاحية النظريَّة المحض على الأقل. ولٰكنَّ المشكلة هي أنَّ القوي لا يقتنع ولا يريد أن يقتنع بأنَّ ما يمارسه هو الإرهاب على الأقلِّ أمام الآخرين. وعلى الآخرين أن يقتنعوا بما يريد هو أن يقتنعوا به، ولذٰلك يجب على العالم كلِّهِ أن يقتنع بأنَّ ما تمارسه الولايات المتحدة هو الحقُّ والعدل الإنصاف، وكذٰلكَ كان شأن الحضارات السَّابقة كلِّها عندما كانت تشكِّل أقطاباً عالميَّة، وكل واحدةٍ في حينها كانت على أتمِّ القناعة بأَنَّها هي وحدها على صواب، وثقافتها هي ثقافة العدل والحريَّة والتسامح... ولٰكن على الرَّغْمِ من كلِّ هٰذه القناعات فقد ظلَّت الشُّعوب الأُخْرى تعدُّها مستبدَّةً ظالمةً سارقةً، ولم تقتنع بما كانت تقتنع به، وناضلت أو مارست الإرهاب من أجل أن يرتفع صوتها الذي تؤمن بأنَّهُ هو صوت الحق والحقيقة... هٰذه هي سُنَّةُ الحضارات.

لَقَد أدركت الولايات المتحدة تحديداً هٰذه الفكرة وأدركت معها أنَّها شاخت وعمرها في أواخره، وهي تحاول منذ سنوات الاستفادة من دروس الحضارات السَّابقة في إدامة سطوتها وهيمنتها، ولٰكنَّ الصُّعوبات لا تقف عند حدٍّ، والمشكلات تنبع من بعضها بعضاً، وفي كلِّ مرَّةٍ تحاول الولايات المتحدة أن تتجاوز

الظروف، وهي مقتنعةٌ تماماً بأنَّهَا تستطيع أن تظلَّ إلى الأبد سيدة العالم، بل مقتنعة بأَنَّهَا يجب أن تظلَّ سيدة العالم. يقف وراء ذَلكَ أسباب كثيرة رُبَّما أبرزها هو خوفها مما ارتكبته من جرائم لا تكفي وحشية العالم كلها للاقتصاص منها، ورُبَّما هو الحفاظ على امتيازاتها على الصعيد العالمي وهٰذا الأكثر صواباً.

إن ما يصعب أن يخطر في البال هو أنَّ الولايات المتحدة، في صلب تفكيرها الآن، لا يمكن أن تقبل أو تتصوَّر أن يسود العالم غيرها، ولذَلك فهي على استعداد لإبادة العالم كلِّه حَتَّى يظل الأمريكيون وحدهم على الأرض!!!

قَدْ يعترض كثيرون على ذَلكَ، ولٰكن هٰذه هي الحقيقة، ويكفينا للتَّأكد من ذَلكَ أن نراجع التَّصريحات الَّتي يدلي بها مسؤولو الولايات المتحدة خاصَّةً، وكثيرٌ من مفكِّريها عَبْرَ السَّنوات العشر السابقة فَقَطْ. ونضيف إلى ذَلكَ التَّجارب الَّتي أجرتها على الشَّعب العراقي في أثناء حرب تحرير الكويت، والتَّجارب اللاحقة الَّتي أكملتها في حرب البلقان عندما استخدمت اليورانيوم المنضب لمعرفة آثاره على أرض الواقع؛ هٰذه الآثار الَّتي تشوِّه الحياة وتقضي عليها في البقعة المستخدمة فيها لملايين ورُبَّما مليارات السِّنين..!!!

ورُبَّما ستكون هناك تجارب من نوعٍ جديد في أفغانسان[٨٦]، وهٰذا ما أحذر العالم منه قبل أن يقع، لأنَّ المسؤولين الأمريكيين قَدْ أعلنوا ذَلكَ صراحةً منذ أيام وخاصَّةً **جورج بوش الابن** ووزير الدِّفاع **دونالد رامسفيلد** عندما أعلنا غير مرَّةٍ أنَّ هٰذه الحرب نوعٌ جديدٌ من الحروب، والأسلحة المستخدمة غير الأسلحة التَّقليدية المعروفة تماماً[٨٧]..!!

---

(٨٦) .كتب هٰذا الفصل قبل العدوان على أفغانستان.

(٨٧) . ناقشنا ذَلكَ في الفصل الثالث من هٰذا الباب: لماذا أفغانستان؟.

لَقَد أحسن الجميع الظن في هذه العبارات الخطيرة، والأكثر من خطيرة، وفاتهم أن يسألوا أنفسهم كيف ستكون هذه الحرب خارج أنواع الحروب، وكيف ستكون بأسلحة غير تقليدية، وفاتهم أنَّ أفغانستان حقل تجارب خصب وكبير لعقد النقص الأمريكيَّة الَّتي ستجرب أشياء لم تجربها بعد، ولسنا ندري حَتَّى الآن ما هي.

هٰذا من النَّاحية الأولى الَّتي هي كما أشرنا ناحية الدَّلالة اللغويَّة والممارسة الفعليَّة من القوي والضعيف بوصف الإرهاب بالنسبة لكلٍّ منهما أمراً مسوَّغاً ومشروعاً وواجباً أيضاً، حَتَّى مع تعاكس وجهتي نظر الفريقين؛ القوي والضعيف. ولكنَّنا إذا تجاوزنا هٰذه النَّظرة الَّتي تعد إيجابيَّة للإرهاب من وجهة نظر صاحبه أو ممارسه مع إمكانية كونه كذٰلكَ في كثيرٍ من الحالات، ونظرنا إلى الإرهاب بوصفه محض شرٍّ مرفوضٍ من كلِّ الناس وعلى كلِّ المستويات فهل يمكن أن ينتفي هٰذا الإرهاب أو الشر؟ وهل يمكن القضاء عليه أو اجتثاثه من جذوره كما يريد **جورج بوش الابن؟**

إنَّ «الشَّر المطلق ينحلُّ، آخر المطاف، إلى زوال الضَّمائر وإمحائها»[٨٨]، وقد عبَّر **جوتة** عن هٰذه الفكرة ببراعةٍ على لسان شيطانه **مفيستوفيليس** . مثال الشَّر . الذي عرَّف الشَّر بالذَّات، الشَّر المطلق بقوله: «إنَّنِي الرُّوح الذي ينفي دائماً. ذٰلكَ أَنَّهُ . كما يعقِّب أستاذنا **عادل العوا** . يتطلَّع إلى خسارة الضَّمائر جميعاً. بعد أن حُكم عليه أن يضلَّ إلى الأبد، فالنهاية الأخيرة لفاعليته هي إبادة الكون الروحي ذاته»[٨٩].

---

(٨٨) . عادل العوا: **القيمة الأخلاقية** . ص ١٣٢.

(٨٩) . م.س . ص ١٣١.

الحقُّ أنَّ هٰذا هو ما لم نرده، وما لم ندع إليه، ولذٰلك مرَّةً أُخْرَى نؤكِّد أنَّنا ونحن ندافع عن وجود الإرهاب فإننا لا ندافع عن الإرهاب بحدِّ ذاته ولا نناصره ولا ندعو إليه، ولسنا الوحيدين الذين ندافع عن وجود الإرهاب فثَمَّة كثيرون، وهٰذا الدفاع عن وجود الإرهاب هو من مقتضيات العقل والمنطق والواقع أيضاً، لأنَّ زوال الإرهابِ تماماً من الوجودِ يعني أنَّ الإنسانَ لم يعد إنساناً، يعني أنَّ الإنسانَ قَدْ صارَ إمَّا آلةً تعمل بالأزرار والبرمجة، أو أنَّه أصبحَ ملاكاً، والملاك لا يفترق عن الآلة المبرمجةِ على أداء معينٍ محدَّدٍ إلا في كينونته النُّورانيَّة اللاماديَّة. وفي الحالين كليهما لم يعد الإنسانُ إنساناً فهل يعقل هٰذا أو يمكنُ؟؟

في الجنة وحدها، كما وعدنا الله، يمكن أن تنتفي الشرور ومن بينها الإرهاب، فهل ستحققُ لنا الولايات المتحدة الأمريكيَّة وعد الله وتجعل هٰذه الأرض هي الجنة؟!

ولَعَلَّ من أبلغ المناقشات الَّتي أوجبت وجود الشَّر ودافعت عن هٰذا الوجود هي تلك الَّتي قدَّمها **أبو عثمان الجاحظ** منذ نحو ألف عام، وهو لم يقدِّم هٰذه المناقشة لأنَّهُ توقع أن **جورج بوش الابن** سيأتي بعد أكثر من ألف سنةٍ ليدَّعي أَنَّهُ سيقضي على الشر، وإنَّما لأنَّ القضية مطروحة على ساحة الفكر، وهي:

هل يمكن القضاء على الشَّر؟

ولماذا يوجد الشَّر أصلاً؟

في إجابته عن هٰذين السؤالين نفى **الجاحظ** إمكانية القضاء على الشر أو الإرهاب الذي هو شر، ودحض مزاعم **جورج بوش الابن** قبل أكثر من ألف عام من ظهورها، ونحن إذ نجعل **الجاحظ** يدحض مزاعم **جورج بوش الابن** فإننا لا نقدِّمه أمامنا خوفاً من يضمنا إلى حملته في القضاء على الإرهاب، وإنَّما لنبين له أن

زعمه مدحوض منذ أكثر من ألف عام من قبل مفكر من أمَّةٍ كان بإمكانها في زمانه أن تدَّعي أنَّها قادرةٌ على تحقيق العدالة المطلقة، وتسوِّغ، لنفسها وللعالم، هيمنتها على العالم بدعوى همجية تلك الشعوب ومعادتها لقيم العدالة والديمقراطية والحضارة... ولٰكنَّ مفكِّريها مثل قادتها في ذٰلكَ الحين كانوا يقفون مع العقل والمنطق ويميزون بَيْنَ الحقِّ وحقِّ القوَّة وقوَّة الحق، وعلى هٰذا الأساس بنى **الجاحظ** دفاعه عن ضرورة وجود الشَّر لا عن الشَّر ذاته.

لم يكتف **الجاحظ** بنفي إمكانية القضاء على الشَّر، والإرهاب جزء منه، وما صدق على الكلِّ صدق على الجزء، وإنَّما تجاوز ذٰلكَ إلى إثبات أنَّ وجود الشَّر ضروريٌّ حَتَّى يكون لحياة الإنسان معنى وقيمة. وقد بَيَّنَ ذٰلكَ من خلال النقاط التالية:

أولاً: زَعَمَتْ بعضُ الفرق ولا سِيَّما المعطِّلة أنَّ وجود الشَّر دليلٌ على عدم وجود الله «فلو كان للعالم خلاَّقٌ رؤوفٌ رحيمٌ ـ كما يزعمون ـ فلِمَ تحدث فيه مثل هٰذه الأمور المكروهة؟» ولٰكنَّ **الجاحظ** لم ترقه هٰذه الفكرة ولم يقتنع بها وذهب إلى أنَّ وجود الشَّر دليلٌ على وجود الله وعلى حكمته «فلو خلا العالم من المكاره والشُّرور وغدت الحياة كلُّها صفاءً لا يكدِّره مكدِّر فإنَّ الإنسان سيركبه الأشر[٩٠] والعتو، والأشر والعتو يقودانه إلى فساد الدِّين والدُّنيا»[٩١].

ثانياً: ولطالما كان الأمر على هٰذا النَّحو فإنَّنا نستطيع القول ـ بالمفهوم الجاحظي ـ إنَّ الشَّر يقود إلى بعض المحاسن بحدوثه لا بمبادئه ونتائجه المباشرة،

---

(٩٠) ـ الأشر: المرح أو البطر وقيل أشد البطر. وقال ابن فارس: الهمزة والشين والراء أصل واحد يدل على الحدَّة، ومن ذلك قولهم هو أَشِرٌ أي بطرٌ متسرعٌ ذو حدَّة.

(٩١) ـ الجاحظ: **الدلائل والاعتبار** ـ ص ٦٨.

ويمكن للصالح والطالح في آن معاً أن يستجليا هٰذه المحاسن، فحدوث الشَّر «للصَّالحين يذكرهم بنعيم ربِّهم عندهم في سالف أيَّامهم فيدفعهم هٰذا إلى الشُّكر والصَّبر، أمَّا إصابة الطالحين فمن شأنه أن يخفِّف شرَّهم ويمنعهم عن المعاصي والفواحش»(٩٢).

ثالثاً: وهنا الأمر الأساس الذي يستحقُّ الوقوف عنده، ويكشف عن حقيقة ضرورة وجود الشَّرِّ فهو أنَّ انتفاء الشَّر، كما يحبُّ بعض النَّاس ويرغبون، من أجل أن يسود الخير وحده في العالم محرَّراً من نقيضه، ليس بالأمر الحسن كما يعتقد هؤلاء ويتمنون لأنَّ عدم وجود الشَّر يعني استواء ضروب السُّلوك والأفعال والأقوال... في الميزان، وهٰذا ما يؤدِّي إلى خمود العقل ومن ثمَّ إلى انتفاء الفكر لأنَّهُ . كما يقول **الجاحظ** . «لو كان الأمر على ما يشتهيه الغرير والجاهل بعواقب الأمور، لبطل النَّظر وما يشحذ عليه وما يدعو إليه ولتعطَّلت الأرواح من معانيها والعقول من ثمارها، ولعدمت الأشياء حظوظها وحقوقها»(٩٣) ويقول أيضاً: «**ولو كان الخير محضاً سقطت المحنة وتقطَّعت أسباب الفكرة، ومع عدم الفكرة يكون عدم الحكمة، ومتى ذهب التَّخيير ذهب التَّمييز، ولم يكن للعالم تثبُّت وتوقُّف وتعلم، ولم يكن علم...**»(٩٤).

الآن أصبح بمقدورنا أن نفهم ما الذي يعنيه **جورج بوش الابن** بالقضاء على الإرهاب واجتثاثه من جذوره، وماذا تريد الولايات المتحدة من ذٰلكَ. إنَّها تعني القضاء على الإرهاب الذي تعدُّه هي إرهاباً، والقضاء على كلِّ من لا يعترف

---

(٩٢). م.س . ص ٧٠.

(٩٣). الجاحظ: **الحيوان** . ج ١ . ص ٢٠٥/٢٠٦.

(٩٤). الجاحظ: **الحيوان** . ج ١ . ص ٢٠٤.

للولايات المتحدة بالسِّيادة، بل القضاء على كلِّ من لا يقبل الخضوع الذَّليل للولايات المتحدة الأمريكيَّة وما تقرِّره الولايات المتحدة حَتَّى وإن لم يتِّفق مع أيسر مسلَّمات العقل وبداهاته... والأصل في ذَلكَ كلِّه هو أن يطول عمر السيادة الأمريكيَّة قَدْرَ الإمكان لأنَّ عصر السيادة قَدْ بدأ بالتَّراجع، ومتى بدأ تراجع الحضارات لن يكون هناك ما يوقف هٰذا التراجع أو التدهور... كل ما بقي لها هو السيرورة الطَّبيعيَّة حَتَّى تحلَّ محلها أمَّةٌ أُخْرَى.

خاتمة

لقد أشبعنا هٰذا الحدث تحليلاً حسب ظني. مستعرضين كثيراً من الأدلَّة القاطعة أو شبه القاطعة على ضلوع الولايات المتحدة الأمريكية بتفجيرات أيلول التي هزت العالم، والولايات المتحدة الأمريكية ضمناً.

قلنا معظم الأدلَّة لأنَّنا على ثقةٍ ويقينٍ بأنَّ الأدلَّة القاطعة بالوثائق قد تظهر يوماً ما. قد تظهر وقد لا تظهر، ولٰكنَّ عدم ظهورها لا يغير في الحقيقة شيئاً. فما قدمنا من أدلَّةٍ وقرائن تقطع دابر الشَّكِّ باليقين، ويكفي أبعاضها كلُّ بعضٍ مستقل ليدين الولايات المتحدة بتفجيرات أيلول.

لن نعيد أو نوجز شيئاً، سنتختم بما يشبه الطرفة، ولٰكنَّهَا طرفة عجيبة على أيِّ حال. بل هي مجموعة من المصادفات العجيبة جدًّا التي تستحق الوقوف عندها، كلها تتعلق بتاريخ الحدث وطبيعته. سنوردها تبعاً، ونعلق عليها ختاماً.

أولاً: اسم نيويورك بالاتيني (New York City) يتألف من (١١) حرفاً.

ثانياً: نيويورك تتألف فيها (١١) مدينة.

ثالثاً: الطائرة الأولى التي ارتطمت بالبرج الأول رقمها (١١).

رابعاً: الطائرة الأولى رقم (١١) التي ارتطمت ببرج التجارة العالمي كان فيها حسب ما قالوا (٩٢) راكباً وهي بطريقة أخرى (٩+٢=١١).

خامساً: الطائرة الثانية ذات الرحلة رقم (٧٧)، التي ارتطمت بالمبنى الثاني كان فيها (٦٥) راكباً حسبما قالوا، وهي بطريقة أخرى أيضاً (٥+٦=١١).

سادساً: أفغانستان تكتبت باللاتيني (Afghanistan) ومجموع أحرفها (١١) حرفاً.

سابعاً: الإرهابي الذي هدد الولايات المتحدة في عام ١٩٩٣م بمهاجمة البرجين اسمه (Ramsin Yuseb) ويتكون من (١١) حرفاً.

ثامناً: الرئيس الأمريكي الذي وقع الحدث في عهده هو جورج بوش الابن (George W Bush) ويتكون من (١١) حرفاً.

تاسعاً: عدد ضحايا الطائرات الأربع حسب إحصاءاتهم هو (٢٥٤)، أي بطريقة أخرى (٢+٥+٤=١١).

عاشراً: الحدث، التفجيرات، كانت في الحادي عشر من أيلول، أي (٩/١١)، وبطريقة أخرى: (١+١+٩=١١).

حادي عشر: رقم الطوارئ الذي وزع في هٰذا اليوم هو (٩١١)، أي بطريقة أخرى (١+١+٩=١١).

بعد أيام من الحدث انتشر انتشار النار في الهشيم أن الدليل على ضلوع إسرائيل بالحدث هو أن رقم رحلة الطائرة التي ضربت البرج هو (Q33 NY)، ظلل هٰذا الرقم في صفحة الورود واختر له خط (Wingdings) ستجد أنَّهُ تحول إلى طائرة تنسف البرجين وتؤدي إلى خطر صنعه اليهود على النَّحو التالي (✈▤▤ ☠✡).

سيسأل أيُّ سؤولٍ: لماذا المايكروسوف وليس الماكنتوش؟

هٰذا إذا كان اسم الرِّحلة أو رقمها هو كذٰلكَ فعلاً. تركيب اسم الرحلة بما ينسجم مع الصورة المرسومة أمرٌ ليس صعباً.

ولٰكنَّ المصادفات الأخرى السابقة تبقى مثار تساؤل.

ولماذا تبقى مثار تساؤل؟

هل مخططوا الحدث وضعوا في الطائرات الافتراضية من الركاب العدد المرقوم ليكون مجموعة (١١)؟ وهل وهل...؟

الحقيقة أنَّها على كثرتها تبقى مصادفات. فاختيار الحادي عشر من أيلول ليس بسبب تلك المصادفات وإنما المصادفات كانت بسبب أنَّ الحدث كان في الحادي عشر من أيلول.

كل هٰذه المصادفات هنا لا تقدم ولا تؤخر في حقيقة الحدث. وإنما آثرنا أن نختم بها بوصفها نوعاً من الطَّرافة أو المصادفات الطَّريفة أو العجيبة إن كانت عجيبة.

إنَّ الذي يعنينا هنا ختاماً هو أنَّ كلَّ القرائن والأدلة الظاهرة والباطنة والتي تم استنتاجها واستقراؤها من خلال مختلف المؤشرات... كلها تتجه بأصابع الاتهام إلى جهةٍ واحدةٍ هي الاستخبارات الأمريكية. ورُبَّما يكون لإسرائيل يدٌ فيها، رُبَّما لأنه ليس مؤكَّداً أكثر من الاحتمال الأول. ولكنَّ الأكيد كل التأكيد حسبما بيَّنا أنَّ الاستخبارات الإسرائيلية كانت على درايةٍ أكيدة بالتفجيرات وتوقيتها الدَّقيق.

لقد صنعت الولايات المتحدة هٰذا الحدث لتصنع المستقبل. وقد قطعت شوطاً مهما على هٰذا الطريق فيما يبدو. ولٰكنَّ هل ستفلح في المتابعة؟

قلنا إنَّ الولايات المتحدة فتحت على نفسها نار جهنم بدل أن تحقق مشروعها الذي ترنو إليه. لأنَّها ستجد نفسها منفلشة على نطاق واسع غير قادرة على ملء فراغاته ولا إيفائه حقه من الانتشار. الأمر الذي سيوهنها أكثر ويسرع في انهيارها أكثر.

لا شيء يبدو واضحاً اليوم، رُبَّما الأيام القادمة القريبة تكشف لنا عن ذَلكَ.

(✈▤▤ ☠✡)

صدر من كتب المؤلف

- الأمم المتحدة بين الاستقلال و الاستقالة و الترميم . مكتبة دار الفتح . دمشق . ١٩٩٣م.
- أَميرة النَّار والبحار (شعر) – دار الأصالة للطباعة . دمشق . ١٩٩٧م.
- أَنا صدى الليل (شعر) . دار الأَصالة للطباعة – دمشق – ١٩٩٥م.
- أنا لست عذري الهوى (شعر) . دار الأصالة للطباعة . دمشق . ١٩٩٩م.
- أنا وعيناك صديقان (شعر) دار الأصالة للطباعة . دمشق . ٢٠٠١م.
- أُنشودة الأَحزان (شعر) – دار الأصالة للطباعة – دمشق . ١٩٩٦م.
- انهيار أسطورة السلام؛ مصير السلام العربي الإسرائيلي . ط١: مكتبة دار الفتح . دمشق . ١٩٩٦م. ط٢: دار الفكر الفلسفي . دمشق . ٢٠٠١م.
- انهيار الشعر الحر – دار الثقافة – دمشق (ط١) ١٩٩٤م. ـ دار الفكر الفلسفي . دمشق – (ط٢) ٢٠٠٣م.
- انهيار دعاوى الحداثة ؛ الحداثة ضرورة تاريخيَّة لا خيار سياسي – دار الثقافة – دمشق – ١٩٩٥م.
- انهيار مزاعم العولمة؛ قراءة في تواصل الحضارات وصراعها . اتحاد الكتاب العرب . دمشق . ٢٠٠٠م.
- بديع الكسم . وزارة الثقافة . دمشق – ١٩٩٤م.
- تفجيرات أيلول وصراع الحضارات . دار إنانا . دمشق . ٢٠٠٣م.
- الحداثة بين العقلانية واللاعقلانية . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ١٩٩٩م.
- الدخيل على المصلحة (قصص) – ن . م – دمشق – ١٩٩٣م.

- دفاع عن الفلسفة ؛ الفلسفة ثرثرة أَم أُمُّ العلوم ؟ – دار الأصالة للطباعة . دمشق . ١٩٩٤م.
- علم الجمال المعلوماتي: نحو نظريَّة جديدة . دار الأصالة للطباعة . دمشق . ١٩٩٤م.
- غاوي بطالة (قصص قصيرة) – دار الأصالة للطباعة . دمشق . ١٩٩٦م.
- فلسفة الفن و الجمال عند ابن خلدون – دار طلاس – دمشق – ١٩٩٣م.
- قراءات في فكر بديع الكسم . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ١٩٩٨م.
- قراءات في فكر عادل العوا . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ٢٠٠١م.
- كيف ستواجه أمريكا العالم؟ . دار السلام للطباعة . دمشق . ١٩٩٢م.
- لا تعشقيني (شعر) – دار الأصالة للطباعة . دمشق . ١٩٩٤م.
- مكيافيليَّة ونيتشويَّة تربوية: نحو سلوك تربوي عربي جديد . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ١٩٩٨م.
- من رسائل أبي حيان التوحيدي . وزارة الثقافة . دمشق . ٢٠٠١م.
- الموت من دون تعليق (قصص قصيرة جداً) – دار الأصالة للطباعة . دمشق . ١٩٩٤م.
- النظام الاقتصادي العالمي الجديد . مكتبة دار الفتح . دمشق . ١٩٩٣م .
- نهاية الفلسفة . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ١٩٩٩م.
- هؤلاء أَساتذتي : من رواد الفكر العربي المعاصر في سوريا – دار الثقافة – دمشق – ١٩٩٤م.
- هؤلاء أَساتذتي : من رواد الفكر العربي المعاصر في سوريا (ط٢) – دار الفكر الفلسفي – دمشق – ٢٠٠٣م.

المحتويات

- **الإهداء** ٥
- **مقدمة الكتاب** ٧
- **الباب الأول**: أبعاد الحدث وتداعياته ١٣
  - **الفصل الأول**: هول الصدمة والتعاطف الزائف ١٥
  - **الفصل الثاني**: أصحاب المصالح في الثأر والانتقام..... ٢٥
    - ✓ أولاً: العرب والمسلمون..... ٢٨
    - ✓ ثانياً: ابن لادن وجماعته..... ٣١
    - ✓ ثالثاً: اليابان ٣٥
    - ✓ رابعاً: ألمانيا والاتحاد الأوروبي ٣٧
    - ✓ خامساً: صربيا (يوغسلافيا)..... ٣٩
    - ✓ سادساً: النُّمور الآسيويَّة..... ٣٩
    - ✓ سابعاً: قائمة الاحتمالات اللامنتهية ٤١
  - **الفصل الثالث**: المستفيدون من التفجيرات..... ٤٥
  - **الفصل الرابع**: بصمات الفاعل الحقيقي ٥٥
    - ✓ إسرائيل..... ٥٧
    - ✓ الولايات المتحدة الأمريكية..... ٦٧

■ **الباب الثاني**: الخداع الواضح في العملية..... ٧٩
♦ **الفصل الأول**: طائرتا برج التجارة العالمي..... ٨١
♦ **الفصل الثاني**: التحذيرات التي سبقت العملية..... ٨٩
✓ أولاً: تحذيرات التحضير للعمليَّة..... ١٠١
✓ ثانياً:: تحذيرات يوم العمليَّة..... ١٠٦
♦ **الفصل الثالث**: طائرة البنتاچون..... ١١١
♦ **الفصل الرابع**: طائرتا بنسلفانيا والبيت الأبيض..... ١٢٣
✓ أولاً: تحذيرات طائرة بنسلفانيا..... ١٢٦
✓ ثانياً:: تحذيرات يوم العمليَّة..... ١٣٤
♦ **الفصل الخامس**: الصناديق السوداء..... ١٣٩
♦ **الفصل السادس**: أسماء الفاعلين وحقيقتها..... ١٥٣
■ **الباب الثالث**: لماذا كانت تفجيرات أيلول؟..... ١٦٧
♦ **الفصل الأول**: التفجيرات فاتحة المستقبل الأمريكي..... ١٦٩
✓ أولاً: انهيار الاتحاد السوفيتي..... ١٧٥
✓ ثانياً: البحث عن عدو جديد..... ١٧٥
✓ ثالثاً: تفكك المنظومة الرأسمالية..... ١٧٦
✓ رابعاً: الانهيار الأمريكي ذاته..... ١٧٧
✓ خامساً: الانتشار الإسلامي..... ١٧٧
✓ خاتمة..... ١٧٨
♦ **الفصل الثاني**: المطلوب ثمناً للتفجيرات..... ١٧٩
✓ شد أواصر الحلف الأطلسي..... ١٨٣

- ✓ تأكيد إسرائيل نقطة ارتكاز ١٨٤
- ✓ ضرب أعداء المصالح الأمريكية والغربية..... ١٨٥
- ✓ الحد من اندماج المسلمين بالمجتمع الغربي..... ١٨٦
- ✓ تشتيت العالمين العربي والإسلامي..... ١٨٨
- ✓ خاتمة..... ١٨٩
- ♦ **الفصل الثالث**: الضحية الجاهزة؛ العرب والإسلام..... ١٩١
- ♦ **الفصل الرابع**: لماذا أفغانستان؟..... ٢٠١
- ✓ فوبيا الخلافة الإسلامية..... ٢٠٣
- ✓ التجريب بدولة تكون قاعدة انطلاق..... ٢٠٦
- ✓ تجريب الأسلحة الجديدة..... ٢٠٨
- ✓ المكانة الجغرافية..... ٢١١
- ✓ أسباب اقتصادية..... ٢١٣
- ✓ خاتمة..... ٢١٥
- ♦ **الفصل الخامس**: ماذا بعد أفغانستان؟ ٢١٧
- ✓ معالم المخطط الأمريكي..... ٢١٩
- ✓ الحرب على العراق ٢٢٣
- ✓ ماذا بعد العراق؟..... ٢٢٧
- ♦ **الفصل السادس**: الجاحظ يدافع عن الإرهاب..... ٢٣١
- ■ **خاتمة**..... ٢٤٣
- ■ **صدر للمُؤَلف** ٢٤٩
- ■ **المحتويات**..... ٢٥١

السيد عزت احمد

SEPTAEMBER ACT
AND
CIVILIZATION'S
CONFLICT

U.S.A. Makes The Action To Make The Future

BY
Ph.D. EZZAT AS-SAYED AHMAD

Published By
ENANA
Emil: sameah3@gmail.com

الدكتور عزت السيد أحمد

تفجيرات ايلول وصراع الحضارات

الولايات المتحدة صنعت الحدث لتصنع المستقبل

إيتانا للدرسات والترجمة والنشر
دمشق 2003